مناهج البحث الاجتماعي

دكتور
علي عبد الرازق جلبي
أستاذ علم الاجتماع
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

دكتور
محمد أحمد بيومي
أستاذ ورئيس قسم علم الاجتماع
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

دكتورة
نادية عمر
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية





دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - إسكندرية
ت : ٤٨٣٠١٦٣

مناهج البحث الاجتماعي

دكتور
علي عبد الرازق جلبي
أستاذ علم الاجتماع
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

دكتور
محمد أحمد بيومي
أستاذ ورئيس قسم علم الاجتماع
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

دكتوره
نادية عمر
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٩٢

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - اسكندرية

تصـدير

تمثل مجموعة المحاضرات التى بين أيدينا حول مناهج البحث الاجتماعى حيث الإجراءات والتطبيقات محاولة متواضعة يجد فيها الطالب المهتم بموضوع مناهج البحث الاجتماعى إجابة على الكثير من التساؤلات التى تثار في ذهنه حول البحث الاجتماعي، ومفهوماته، وقواعد، وبداية وتطور استخدامه للمنهج العلمي، وموجهاته وأنواع المناهج والطرق والأدوات التى يحتاج إليها وغيرها.

والواقع أن هذه المجموعة من المحاضرات ثمرة عمل وجهد تعاون مشترك، وجدنا أنه من الضرورى في اعتقادنا، وفى ضوء الحاجة إلي المزيد من الكتابات حول البحث الاجتماعي نتيجة لندرة المؤلفات المنشورة باللغة العربية في هذا الصدد، أن نضطلع بمسئوليات هذا العمل، ونقسم واجباته بيننا، حتي تتاح الفرصة لكل واحد منا فى ضوء قراراته وخبراته أن يسهم فى اظهار هذا العمل علي أمل أن تستفيد من خبراتنا أثناء القاء هذه المحاضرات، ومن ماتجده من توجيهات وانطباعات لدي كل من يهمه موضوع البحث الاجتماعي من السادة الزملاء والأساتذه والباحثين في علم الاجتماع، مانستطيع أن نستعين به بعد ذلك، في تطوير وتنمية هذا الجهد.

والله ولى التوفيق

أ. د. على عبدالرازق جلبى

أ. د. محمد أحمد بيومي

د. نادية عمر

تمهيد:

نحاول في الفصل الحالي توضيح المقصود بالبحث الاجتماعي وتصميمه والمناهج والطرق والأدوات باعتبارها وسائل فى التوصل إلي المعرفة العلمية حول المجتمع أو غيره من موضوعات في البحث أو الدراسة، والقاء الضوء علي المقصود أو مدلول المفهومات أو المصطلحات والفروض والنظريات باعتبارها أساليب أو صور للتعبير عن المعرفة العلمية التي توصلنا إليها عن طريق المنهج. والواقع أن تناولنا لهذه الأساليب والوسائل لن نتعرض فيه لمحتوى أو مضمون كل منها بقدر ما سنركز حديثنا حولها من حيث الشكل فقط، وذلك لأننا قد أرجأنا الحديث عن مضمون هذه الأساليب والوسائل إلى الوقت الذى سنوجه فيه الاهتمام بمناهج وطرق وأدوات البحث الاجتماعى على وجه الخصوص ولذلك كنا حريصين منذ البداية أن نمهد لهذا الحديث المتعمق عن مضمون المناهج والطرق والأدوات فى البحث الاجتماعي بحديث عام عن المقصود بالبحث الاجتماعى والمناهج والطرق والأدوات، وعن الخطوات المتبعة كل منها وعن أنواعها وخصائصها وأهميتها في كل دراسة وبحث حتى لايضطرنا ونحن نعمق الحديث عن هذه الأساليب والوسائل فى البحث الاجتماعي إلى التوقف لتوضيح المقصود بكل منها علي حدة، وحتى نستطيع أن نتقدم في هذا المجال بدون أن يعترضنا تساؤل حول هذا الأسلوب أو تلك الوسيلة وهكذا. قسمنا الفصل الحالى إلى قسمين الأول: يعالج مجموعة مفهومات البحث الاجتماعي وتصميمه والمناهج والطرق والأدوات عموما كوسائل للوصول إلي المعرفة العلمية، والثانى يتناول بالتوضيح مجموعة مصطلحات المفهومات والفروض والنظريات باعتبارها أساليب وصور يستفاد منها فى التعبير عن المعارف فى البحث العلمي.

أولا: مجموعة مفهومات البحث الاجتماعي وتصميمه والمناهج والطرق والأدوات كوسائل للمعرفة العلمية:

أ- البحث الاجتماعى Social Research

ما المقصود بالبحث، وماهي المعاني المختلفة التى ظهرت له؟ وماهى

الشروط التى يجب أن تتوفر في البحث؟ وما هى الوظائف التى يستطيع البحث أن ينجزها؟ وهل يمكن التمييز بين أنواع للبحوث - وماهى خطوات البحث؟

يمدنا تراث البحث الاجتماعى أو مختلف الكتابات التى تحت أيدينا وتدور حول موضوع البحث الاجتماعي، بالإجابات التي نحتاج إليها على هذه التساؤلات. والواقع ونحن بصدد تحديد معنى البحث الاجتماعي، يمكن أن نميز فى هذه الكتابات بين مجموعتين من المحاولات، محاولة تهتم بتحديد معنى بسيط للبحث، وأخرى تسهم في تحديد معني علمى دقيق البحث، وتتلخص المحاولة الأولى فى القول بأن عملية البحث تتم في أبسط صورها فى حياتنا اليومية بأكثر من مظهر وشكل، فعندما تصادفنا في حياتنا اليومية بعض المشكلات ونحاول الوصول إلي حلول لها بطريقة أو بأخرى، فإننا فى هذه الحالة نقوم بعملية لاتختلف في شكلها عن عملية البحث الاجتماعي. وتزداد قدرتنا علي حل هذه المشاكل اليومية كلما زادت وتعددت المواقف التي تجابهها وتطلبت منا البحث عن حل لها - وهكذا. وبالمثل يعتبر البحث بهذا المعنى البسيط محاولة لحل مشكلة - وبقدر زيادة المواقف المشكلة التى تحتاج إلي بحث تنمو قدرتنا على إجراء البحث والتوصل إلى حلول سليمة ما أمكن ذلك.

أما محاولة تحديد معني دقيق للبحث، فتتلخص فى قول البعض بأن البحث عبارة عن عملية تقص أو فحص دقيقة للوصول إلي حقائق أو قواعد عامة والتحقق منها. أو في قول البعض الآخر أن البحث عبارة عن نشاط إنسانى يأخذ صورة التقصى أو الفحص الدقيق بهدف التوصل إلي حقائق أو قواعد عامة مثل الفروض، أو إلي تحقيق غايات أو أهداف (مثل حل المشكلات) وهو نشاط قد يتم عن وعى وقصد، مثل التجارب العلمية عن غير وعى وقصد مثل (الملاحظات العابرة التى يجريها الباحثون وتؤدى إلي اكتشافات علمية، وهذا ما حدث مع نيوتن عندما اكتشف قانون الجاذبية الأرضية من ملاحظته العابرة لسقوط التفاحة علي الأرض).

والواقع أن تحديد معنى البحث على النحو السابق، ينطوي على إشارة لبعض الشروط التى يجب أن تتوافر فى هذا النوع من النشاط الإنسانى من أهمها ضرورة أن يتسم هذا النشاط بالدقة والحياد وعدم التحيز والالتزام بقواعد المنهج والموضوعية والوضوح والبساطة، وهى شروط يجب أن يلتزم بها كل من يحاول القيام بمثل هذا النشاط الإنسانى، حتي يحتفظ لنفسه بالفارق الذي يميز الباحث العلمى عن رجل الشارع وكل من يقوم بنشاط إنسانى عادي. إذ لايتصور أن يكون الباحث فى نشاطه الإنسانى الذى يحاول به تقص الحقائق غير دقيق أو ينحاز إلي أحد الإتجاهات ويتبع قواعد منهجية غير مستخدمة في مجال البحث العلمى أو يكون غير واضح وذاتى في كل مايقوله به من أفعال فى هذا الصدد.

كما تنطوى محاولات التعريف السابقة لمعني البحث أيضا على تحديد للوظائف التى يهدف البحث إلي القيام بها وإنجازها، فالبحث قد يهدف إلى الإجابة على تساؤل واحد أو مجموعة تساؤلات أو يحاول وصف ظاهرة أو صياغة وبلورة فروض علمية أو قضايا تعميمه أو قوانين، ومن ناحية أخري قد يتركز البحث فى التوصل إلي حل لمشكلة قائمة.

وكان من نتيجة هذا التحديد لوظائف البحث أن ظهرت بين مجموعة الكتابات التى تناولت فكرة البحث بالتوضيح، محاولة لتقسيم أو تصنيف البحوث إلي أنواع متباينة من أهمها محاولة تصنيف البحوث إلي بحوث أساسية Basic Pesearch وإلي بحوث تطبيقيه applied Research يهدف النوع الأول إلي المعرفة لمجرد المعرفة أو إلي الوصول إلي معلومات أو معارف علمية معينة، مثل البحث الذي يحاول الإجابة علي سؤال أو التحقق من أحد الفروض العلمية أو التوصل إلي قضية تعميمه أو إما إليها، ويهدف النوع الثانى من البحوث إلي توفير المعرفة لصالح المجتمع وحل مشاكله. ولكن ليس معنى هذا أن هذين النوعين من البحوث يعارض كل منهما الآخر، أو أن أحدهما يفضل الآخر. وإنما قد يفيد البحث الأساسي فى القاء الضوء علي

مشكلة واقعية، أو قد تستفيد من البحث التطبيقى الذى يصل إلي الحل المناسب لمشكلة معينة، فى صياغة فرض علمى من الفروض التى يهتم البحث الأساسي بالتحقق منها. كما أن البحث الأساسى يهدف إلي توصيل نتائجه إلي الآخرين حتي يمكن الإفادة منها فى بحوث أخري أو فى حل مشكلات واقعية. وهذا معناه أنه لاأساس من الصحة لقول البعض أنه فى البحث الأساسى يكون الاهتمام مباشرة بالوصول إلي المعلومات والحقائق العلمية، ومن ثم لايجب علي الباحث أن يهتم أو يعني بالاستخدامات التى ستوظف فيها هذه المعلومات، ومن ثم فإن تمييزهم بين النوعين من البحوث، البحث الأساسي من ناحية والبحث التطبيقى من ناحية أخري، ليس له ما يبرره. لأننا هنا قد نتساءل فهل هى حقيقة أن البحث الذي يهتم بالمعلومات لاينطوى على هذه أهداف أخرى غير الرغبة في الوصول إلي المعلومات؟ وللإجابة علي ذلك نأخذ مثلا، حالة الباحث الذي يدرس الأسلوب الإنتخابي لكى يكشف افتراضنا لما لايقدم بعض أولئك الذين لهم حق التصويت على التصويت بالفعل. ويصرح مثل هذا الباحث أنه لايقصد القيام بأى عمل مهما كان لكى يؤثر على السلوك الانتخابى Votiry، وإنما هو يريد فقط أن يفهم هذا الأسلوب فما الذي يحدث عندما يكتمل بحثه؟ أحد أمرين، فهو إما أن يقوم بتوصيل نتائجه إلي الآخرين أو قد لايوصلها. وإذا لم يقم بتوصيل نتائجه إلي أى أحد، فإن هذا البحث لايكن علميا، لأن العلم يعتبر بمثابة نظاما اجتماعيا ولايمكن أن يكتب له.

إذا رفضت كل البحوث توصيل نتائجها للآخرين. فالعلم يعد بالضرورة شيئا عاما. وإن كان هذا ليس بالأمر النموذجى. ذلك لأن الباحث يحتمل كثيرا أن ينشر نتائجه أو أن يقوم بدمج هذه النتائج فى بحثه التالى. وهذه حقيقة لاشك فيها، إن للبحث الذي يهتم بالمعلومات هدف واضح - هذا فضلا عن أنه طالما كان الباحث عالما، فإنه يريد أن يمدنا بالمعلومات الدقيقة (كأدوات ووسائل كافية أو فعالة effectent instrumevt) من أجل بحوث مستقبلية وتتمثل مشكلته إذن في اختيار أكثر الأدوات ومقاله من المتوافر لديه لكي تكون أساس فى حل مجموعة معينة من المشاكل. ويكون تسهيل حل هذه المجموعة من المشكلات.

[illegible]

ولكن هذه المحاولات وغيرها التي اهتمت بتحديد معنى البحث وشروطه وخطواته [illegible] او تتجاهل عملية تحديد الخطوات التي يمكن أن يمر بها البحث. إذ يذهب البعض إلى أن خطوات البحث تنحصر في:

اختيار مشكلة البحث وتحليلها إلى عناصرها أو بلورتها.

[illegible] وتحديد البيانات المطلوبة [illegible]

البيانات وتصنيفها وتحليلها وتفسيرها [illegible]

[illegible]

تصميم البحث Research Desing

نحاول فيما يلي توضيح معني التصميم من خلال عملية المماثلة. فنقول أن المهندس المعماري architect يصمم بناء المنزل. وفي تصميم المنزل، يأخذ المهندس في اعتباره كل قرار يكون من الواجب عليه اتخاذه في عملية تشييد البناء، فهو يأخذ في اعتباره القرار المتعلق بحجم المبنى، وعدد الحجرات، والمواد التي تبني منها، وهو يفعل كل ذلك قبل أن يبدأ عملية التشييد الفعلية وهو يشرع أو يبدأ في هذا الطريق لأنه يرغب في تصور الصورة الكلية أو صورة ذلك البناء كله قبل أن يبدأ في تشييد أي جزء منه، وبواسطة هذه الصورة يمكنه أن يصحح الأخطاء ويدخل التحسينات أو التعديلات قبل أن

[illegible]

يبدأ البناء. ويصمم معناه يضع خطة، بمعنى أن التصميم هو عملية اتخاذ القرار قبل أن يتحقق الموقف الذي سينفذ فيه هذه القرارات. وهي عملية توقع مقصود، موجهة نحو إيجاد موقف متوقع يخضع للضبط والتحكم.

وتطبيق هذه الأفكار على البحث ليس بالأمر الصعب فقبل أن نجزئ البحث، وإذا توقعنا كل مشكلة بحث وقررنا ما نفعله مسبقا، فإننا نزيد هنا فرضنا فى التحكم فى إجراء البحث.

ولايستطيع المهندس المعماري أن يحتفظ بكل قرارته فى ذهنه، وحتى إذا استطاع ذلك، فقد تواجهه صعوبة تصور بعض ارتباط كل هذه القرارات ببعضها، ونتيجة ذلك، فإنه يسجل قراراته باستخدام الرموز والرسومات، وما إليها، بمعني أنه يسجل ويجد العلاقات المتداخلة بين قراراته، إما فى صورة تغطية أو بيانية، أو في نموذجية تأملية - ويعتبر النموذج المعمارى بمثابة تمثيل يوضح العلاقات المتداخلة بين كل القرارات التى قد اتخذت. وهكذا يسهل النموذج عملية التقييم الشاملة للخطة.

وبالمثل يستطيع المصمم في العلم أن يسجل، باستخدام الرموز تختلف قرارات البحث التى يتخذها، ويطلق على هذا التصور أو البناء الرمزى الذي يتكون من مفاهيم وتصورات، نموذج البحث أو النموذج أو استراتيجية البحث.

جـ- المنهج العلمي Scieutific Nelbod

ماهو المقصود بالمنهج العلمي، وماهى خطواته، وماهى خصائصه ما هي أنواعه؟ تلك التساؤلات التى يمكن أن نبدأ بها تحليلنا لموضوع المنهج العلمى باعتباره واحد من أهم المفهومات في القيام بأى عمل علمى، ويمثل مجموعة من العمليات العقلية التى تقود أى بحث علمى ودراسة مهما كان موضوعها.

والواقع أننا لو أمعنا النظر فيما توفر تحت يدنا من كتابات فى هذا الميدان، نلاحظ أن هناك عدة تعريفات ظهرت للمنهج منها:

أن المنهج مجرد أسلوب يسير على نهجه الباحث لكن يحقق الهدف من

بحثه كأن يجد إجابة مناسبة للسؤال الذي يطرحه، أو يستطيع التحقق من الغرض الذى يبدأ به بحثه. وفى قول آخر يحدد المنهج بأنه عباره مجموعة من الأسس والقواعد والخطوات المنهجية التى يستعين بها الباحث في تنظيم النشاط الإنسانى الذي يقوم به من أجل التقصى عن الحقائق العلمية أو الفحص الدقيق لها.

وفي تعريف آخر (يعتبر المنهج بمثابة الاستراتيجية العامة أو الخطة العامة التى يرسمها الباحث لكي يتمكن من حل مشكلة بحثه أو تحقيق هدفه.) كما نجد تحديدا أخير للمنهج بوصفه بأن الطريقة المؤدية إلي الكشف عن الحقيقة بواسطة طائفة-من القواعد التى تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلي نتيجة معلومة.

والنتيجة التى يمكن أن نستخلصها من كل هذه التعريفات، أن المنهج عبارة عن أسلوب أو تنظيم أو استراتيجية أو خطة عامة تعتمد على مجموعة من الأسس والقواعد والخطوات يستفد منها في تحقيق أهداف البحث أو العمل العلمي.

ولذلك ينبغي أن نوضح أيضا المقصود بخطوات المنهج أو قواعده علي حد تعبير بعض العلماء من أمثال اميل دوركايم، وبغض النظر أيضا عما يمكن أن يواجهنا من اختلافات بين الكتابات المتباينة فى تحديد خطوات المنهج وقواعده، فإن المتفق عليه في هذا الصدد أنه إذا كانت الحقائق العلمية فى حاجة إلي طريقة للتنقيب عنها أو ملاحظتها أو وصفها أو قياسها فإن التنقيب أو الملاحظة أو القياس تعتبر دعامة أو خطوة أولي من خطوات المنهج. كما أنه إذا كانت هذه الحقائق تتطلب بعد ذلك وتفرض على الباحث ضرورة التدخل لتصنيف وترتيب الحقائق العلمية التى نقب عنها أو لاحظها أو قام بقياسها، حتي يستطيع أن يحدد جوانب التشابه والاختلاف فيما بينها ذلك يمكن اعتبار عمليات التصنيف وترتيب الحقائق دعامة أخري أو خطوة ثانية من خطوات البحث. وإذا كان بعد ذلك من استخلاص نتيجة عامة من هذه الحقائق المصنفة

والمرتبة وصياغة بعض القضايا التى تفيد فى وصف تكرار الحقائق بصورة يمكن تطبيقها على كل الظواهر المتشابهة أو بلورة تعميم أو قانون علمى، فإنه يمكن اعتبار التعميم هذه بمثابة قاعدة أخرى من قواعد المنهج أو خطواته وهذا ما سنوضحه بالتفصيل عند حديثنا عن المعرفة العلمية والمنهج العلمى.

والشئ الملحوظ أيضا من هذه الحقائق أن المنهج يمتاز بخواص ومميزات إذا كان بعضها لايختلف عن خواص أو شروط ومميزات العمل العلمي مثل الدقة والموضوعية والحياد فى عمليات التنقيب والملاحظة والقياس والتصنيف والترتيب والتعميم وغيرها فإن هنا ميزة أخري وخاصية إضافية للمنهج هى أنه يطبع البحث أو العمل العلمي بطابعه ويؤثر من ناحية أخري في انقسام المنهج وتميزه إلي أنواع فالمنهج يطبع البحث بطابعه ويتلون بلونه ويحدد وصفه وصفته علي هذا الأساس فإذا كان البحث يتطلب استخدام قواعد القياس فإنه لايجد مفرا من أن يستعين فى هذا الصدد بالمنهج التجريبى، الأمر الذي يكتسب هذا البحث بعد ذلك صفة التجريب، ويقال عنه بحث تجريبي.

وإذا كان البحث يحتاج إلي الاستعانة بقواعد الوصف فإنه لايجد بدا من الاعتماد علي المنهج الوصفى مما يترتب عليه أن يكتسب البحث صفة الوصف، ويقال عنه بحث وصفي.. وإذا كان البحث يتطلب الاعتماد على قواعد التنقيب عن الحقائق التاريخية فإنه لايجد مناصا من اللجوء إلي المنهج التاريخي مما يترتب عليه أن - يكتسب البحث الصفة التاريخية ويقال عنه أنه بحث تاريخى.

والأمر الواضح بعد ذلك أنه يمكن لنا أن نميز فى المنهج بين عدد من الأنواع، في مقدمتها، المنهج التجريبى والمنهج التاريخى وإذا جاز لنا أن نشير إلي بعض الحقائق التي تحدد الاختلاف بين هذين النوعين من المناهج فإنه يمكن القول باختصار أن المنهج التجريبي هو المنهج الذي يدرس الظواهر الحاضرة أو الراهنة ويحاول التوصل إلي القوانين العامة أو العلاقات الثابتة بين الأشياء، ويعتمد فى ذلك على الملاحظة والقياس والتجربة ويقوم على التعميم ووضع

قوانين في صورة رياضية - أما المنهج التاريخى فهو المنهج الذي يدرس ظواهر الماضي يقوم الباحث بالتنقيب عنها في وثائق التاريخ، فهي ظواهر لاتقع مباشرة تحت الملاحظة وأنها لاتتكرر مطلقا علي نمط واحد فيقوم المؤرخ بجمع الوثائق محاول التحقق منها بحيث يعتمد علي طريقة التحليل والتركيب العقلين وذلك كله يهدف البحث عن العلاقات السببية بين الحوادث الماضية.

د- **الطرق** Techniques

ما هو المقصود بالطرق؟ وما هى أنواعها؟ وما هى أهميتها؟

يمكن أن نستدل علي المقصود بالطرق وأنواعها وأهميتها من خلال ربطها بالمنهج كاستراتيجية أو خطة عامة أو مجموعة قواعد يستفاد منها في الوصول إلي المعرفة العلمية في أى عمل علمي، ينطوى على عدة خطوات هي التنقيب والتنسيق والتعميم. بحيث يمكن القول أنه إذا كان المنهج استراتيجية فالطريقة تمثل تكتيكا يظهر بوضوح في موضوع التجريب، ويستعين بالفروض في ترتيب وتنسيق نتائج التجربة والقياس، فإنه يمكن القول عموما أن القياس يمثل التكتيك أو الطريقة التى يعتمد عليها المنهج-التجريبي في مختلفة عملياته حتى يصل إلي التعميم أو النتائج العامة أو القانون وأنه إذا كان المنهج التاريخى - كاستراتيجية يعتمد علي الوثائق الشخصية والكتابات التاريخية بكافة صورها من خطابات ومذكرات وسير ذاتية وما إليها، في التنقيب عن الحقائق التاريخية ويستعين بعمليات التحليل والتركيب العقلين في ترتيب وتنسيق هذه الحقائق... الخ، فإننا يمكن أن نعتبر تحليل الوثائق الشخصية بمثابة التكتيك أو الطريقة التى يستعين بها المنهج التاريخي في الوصول إلي العلاقات بين الظواهر التاريخية .. وهكذا. وبهذا المعنى يتضح مدلول الطريقة كتكتيك من خلال ربطها بالمنهج كاستراتيجية. والواقع أنه يمكن أيضا التمييز فى الطرق بين أنواع مختلفة على أساس ربطها أيضا بالمنهج، ذلك أن عملية التنقيب خطوة أولي في المنهج والتي تستند إلي طريقة التنقيب، قد تتم من خلال الوصف الكيفي أو الكمي للحقائق أو من خلال القياس، ولما كانت عملية

التنقيب من خلال الوصف الكمي يمكن أن تتم بواسطة تكتيكات المسح الاجتماعي وتحليل البيانات الجاهزة وتحليل المضمون او الوصف الكيفي من خلال تكتيكات دراسة الحالة وتحليل الوثائق وكانت عملية التنقيب من خلال القياس في المنهج التجريبي، تتم بواسطة تكتيك القياس الاجتماعي او قياس المكانة او قياس القيم او قياس الاتجاهات فانه يمكن اعتبار كل هذه التكتيكات وغيرها أنواعا للطرق التي يستعين بها المنهج في الوصول إلى المعارف العلمية حول دراسة المجتمع وتبدو أهمية هذه الطرق إذا علمنا أن كل تكتيك او طريقة منها لها استخداماتها المحددة التي تفيد اكثر من غيرها في هذا المجال بحيث يمكن القول مثلا ان المسح الاجتماعي كطريقة في دراسة المجتمع يفيد في الوصول إلى بيانات دقيقة منظمة تلقي الضوء على الوضع الراهن للظاهرة الاجتماعية او نظام او غيرة وان تحليل البيانات الجاهزة كطريقة في دراسة المجتمع تفيد اكثر من غيرها في التحقيق من بعض الفروض حول [illegible] الدراسة وهكذا [illegible]

[illegible]

الأداة Tool

ما المقصود بالأداة؟ وما هي أنواع الأدوات؟ وما هي العوامل التي تسهم في حسن انتقاء أداة اللازمة للعمل العلمي؟ وما هي الشروط التي يجب أن تتوفر في الأداة الصالحة لكل عمل علمي؟

[illegible] توضيح المقصود بالأداة [illegible] المنهج والطريقة المستخدمة في دراسة واحدة من موضوعات وظواهر المجتمع موضوع اهتمامنا، ذلك لأن المنهج كاستراتيجية والطريقة تفيدم في الوصف أو القياس مثلا، كما أوضحنا، تستعين بالأدوات اللازمة في توفير بيانات الوصف أو القياس إذا يستعان مثلا في المسح الاجتماعي بأدوات معينة في جمع بياناته، كما يستعان في القياس الاجتماعي بأدوات معينة أخرى هي الاختبارات

تساعد فى الوصول إلي بيانات القياس وهكذا. ولذلك تحدد بأنها الوسيلة التي يلجأ إليها الباحث للحصول علي المعلومات والبيانات التي يتطلبها موضوع بحثه من الأفراد أو لضروب التفاعل الاجتماعي مثلا فيما بينهم أو قد يجد من الأفضل أن يقوم بإجراء مجموعة من المقابلات مع المبحوثين أو يقتنع أنه من المناسب وضع قائمة من الاسئلة يقوم بتوجيهها بنفسه إلي المبحوثين أو لرسالها لهم عن طريق البريد...الخ، الأمر الذى يمكن القول معه أن هذه الوسيلة فى جمع البيانات تتنوع وتختلف بين الملاحظة والمقابلة والاستخبار بحيث تمثل هذه الأدوات الأنواع المعروفة في البحث الاجتماعي كأدوات لجمع البيانات والتي يمكن الباحث من الإجابة على السؤال بماذا سوف تقوم الباحث بحل مشكلة بحثه؟ ولكل نوع من هذه الأنواع من الأدوات متطلباتها واستخداماتها ومميزاتها وعيوبها ينبغى أن نحيط بها ونحن فى سبيل الإلمام بكل ما يعنينا من قواعد تفيدنا فى وضوح فهم المناهج وطرق دراسة المجتمع.

ومع هذا التنوع في أدوات البحث يمكن أن نشير إلي بعض العوامل التي تتدخل فى أختيار أداة أو وسيلة جمع البيانات المناسبة وفي مقدمة هذه العوامل موضوع أو مشكلة البحث نفسه ونوع البيانات المطلوبة ومصادرها وكذلك منهجه وطريقته ثم أيضا طبيعة المجتمع المراد جمع بيانات منه وظروفه الاجتماعية والاقتصادية والطبقية والثقافية ودرجة استعداد أفراده أو عدم اكتراثهم وتعاونهم مع الباحثين وتتدخل كذلك خبرة الباحث ودرايته بأدوات جمع البيانات وتدريبه على استخدامها في انتقاء أداة البحث المناسبة، لأنه كلما تعمقت خبرته وتعددت ممارساته كلما انتقي أفضل الأدوات وأكثرها ملائمة للبحث. كما تؤثر الإمكانيات المادية والبشرية المتاحة للبحث فى انتقاء الأداة.

وتحتاج الأداة بعد انتقائها أن يتوافر فيها قدرا من الدقة والصدق والثبات حتى تحقق الشروط اللازمة للأداة الصالحة للبحث - ولن تتحقق هذه الشروط للأداة المستخدمة في البحث إلا بعد اخضاعها لعدة إجراءات منها الاختبار

المبدئي preteset وحساب معدل ثبات ومعدل آخر للصدق قبل تعميم استخدام الأداة فى البحث.

ثانيا: مجموعة مفهومات، المصطلح أو المفهومات والفروض والنظريات كأساليب للتعبير عن المعرفة العلمية:

أ- المفهومات العلمية Sauntific Termes or cenecots

ما المقصود بالمفهوم العلمى؟ وما هي أنواع المفهومات العلمية؟ وما هى الشروط التى يجب أن تتوافر في المفهوم؟ وما أهمية تحديد المفهومات في البحث العلمي الاجتماعى؟ أو في العمل في مجال دراسة المجتمع؟

وبالنظر إلى تراث البحث العلمى والكتابات التي تتناول فكرة المفهوم، نجد أن البعض يذهب إلي أن المفهوم عبارة عن صورة من صور انعكاس العالم الخارجى علي عقل الإنسان مما يساعد على التعرف علي جوهر الظواهر.

ويحدد المفهوم في رأى البعض الآخر: بأنه تصور مجرد الوقائع التى تم ملاحظتها أو وصف تجريدى لوقائع ملحوظة فمثلا مفهوم (الإنسان) يعنى الصفات العامة المشتركة التى يتصف بها الجنس البشري. أو يحدد المفهوم فى رأى ثالث بأنه تمثيل مختصر لعدد من الحقائق المتغايرة والمتنوعة وهذا ينطبق أيضا على مفهوم الإنسان الذي ينطوى علي حقائق متنوعة مثل مختلف الأجناس في العالم وهكذا.

ويمكن أن نستخلص من هذا التحديد للمفهوم العلمي، أن هناك أنواع متباينة للمفهومات، إذ نجد البعض يفرق فى هذا الصدد بين المفهومات البسيطة، مثل مفهوم الإنسان والذي يسهل تحديده وربطه بمدلوله، وبين المفهومات المجردة وهى نوع من المفهومات يصعب تحديدها تحديدا واضحا أو ربطها بمدلولاتها مثل التعلم والإثارة فهي عبارة عن استنتاجات علي مستوي عال من التجريد لحقائق قائمة يصعب تحديدها..

وعموما يمكن أن نشير إلي بعض الخصائص التي يمتاز بها المفهوم العلمى منها أن المفهوم ليس أمرا ثابتا واستاتيكا وإنما هو تصور دينامى بما أنه يقوم علي الوقائع التى تمت ملاحظتها فإن ديناميته تأتي من تأثره بهذه الوقائع التى دائما ما تتغير وتسهم فى إثراء هذا المفهوم ويمتاز المفهوم من ناحية أخري بأنه يربط الكلمات والاصطلاحات بأهداف وموضوعات محددة تجعل في الإمكان تحديد وفهم معاني هذه الموضوعات ومن ثم دراستها وملاحظتها.

وهناك عدد آخر من الشروط التى استطاع الكتاب في مجال البحث العلمى أن يشيروا إليها بصدد المفهوم العلمى منها أن المفهوم يشترط فيه أن يكون مرتبطا ارتباطا وثيقا بعدد آخر من المفهومات داخل اطار فكري أو نظرى واحد كما يشترط أن يكون المفهوم نسبيا وغير حتمى وأن يكون من الدقة وعدم التميز الوضوح كما يشترط أن يكون جامعا ما أمكن ..الخ.

وكان هذه الحقائق حول المقصود بالمفهوم العلمي وأنواعه وخصائصه وشروطه تشير إلي ضرورة الاهتمام بالمفهومات كأساليب للتعبير عن المعارف العلمية وإلى جوهرية وضع تحديدات مناسبة لهذه المفهومات المستخدمة فى البحث العلمي. ولقد ذهب الكتاب في هذا الصدد إلي أنه لكي يمكن تقليل حدة الخلاف بين المعانى المستخدمة للمفهومات والوصول إلي الدقة والوضوح يجب الاعتماد علي طريقة وضع التعريفات الإجرائية للمفهومات Operetional definitions

ذلك التعريف الذي يهتم بتوضيح المفهوم وترجمته إلي مدلولات شواهد يسهل قياسها أو ملاحظتها.

ب- **الفروض العلمية** Scientific Hypet heses

ما المقصود بالفرض العلمى؟ وهل هناك شروط لصياغته؟ وما هى المصادر التي يمكن أن نستقى منها مثل هذه الفروض؟ وما هى وظائف الفرض العلمى؟

تمدنا الكتابات المتوفرة عن البحوث العلمية بعدد من التعريفات التي تحدد

المقصود بالغرض العلمي منها قول البعض أن الفرض عبارة عن تصور محدد للارتباط بين الوقائع أو قول البعض الآخر بأن الفرض يعتبر بمثابة حل مقترح لمشكلة محددة أو تفسير مبدئى لظاهرة من الظواهر أو تعميم مبدئي وتظل صحة هذا الحال أو التفسير أو التعميم وصلاحيته متوقفة علي الاختيار أو التحقق منه.

ويحدد الفرض في قول أخير بأنه وصف للعلاقة السببية بين متغيرين أو عاملين أحدهما هو المتغير المستقل independent variable والآخر هو المغير التابع Dependent Variable ويقصد بالمتغير الأول ذلك الذي يفترض فيه التأثير فى المتغير التابع أو المعتمد.

وهذه التحديدات المختلفة لمعني الفرض توضح لنا أنه يعتبر بمثابة قضية تحتاج صياغتها إلي مجموعة من الشروط وأنها كقضية لاتنبع من فراغ وإنما ترد إلي عدد من المصادر المتباينة ويستمد أهميته من مجموعة الوظائف التي يؤديها في البحث الاجتماعي والعمل العلمي في مجال دراسة المجتمع.

فمن الشروط المتفق عليها فى صياغة الغرض:

أن يصاغ بطريقة تسمح بإقامة الاستدلال علي سلامته أو عدم صحته وكلما كانت هذه الصياغة من الوضوح والدقة واحتوائها علي أقل قدر من المتغيرات والعلاقات كلما أمكن التحقق منه.

وأن يصاغ الغرض بطريقة تسمح بتقديم إجابة أو اقتراح لحل المشكلة المراد بحثها حتي لاينحرف إلي غير ما هو مقصود منه.

وأن ينطوي صياغته علي قدر من التنبؤ بالملاحظات لكي يكون قادرا علي إثراء المعرفة التى يرتبط بها.

وأن تجئ صياغته علي نحو يجعله قابلا للاختبار العلمى، وبإمكاننا أن نصنف المصادر التى يمكن أن تستمد منها الفروض العلمية إلي مصادر ذاتية وأخري موضوعية ترتبط المصادر الذاتية بالبحث نفسه وترتبط المصادر

الموضوعية بظروف النظرية والبحث والكتابات التى تتوفر إذ تنحصر المصادر الذاتية لإشتقاق الفروض وصياغته في:

١- قدرة الباحث علي الحدس والتخمين والبداعة والقدرة علي الابتكار.

٢- وخبرة الباحث ومدي اطلاعه وسعة علمه وخياله العلمي.

أما المصادر الموضوعية في صياغة الفروض فهي:

١- النظريات العلمية التي تحوي تصورات وقضايا ومشروعات تفسيرية.

٢- نتائج الدراسات والبحوث السابقة التى توصل إليها باحثون آخرون فى نفس التخصص.

٣- الكتابات الفلسفية والتاريخية والأدبية التى قد تنطوى على مايثير فكر الباحث ويعينه على التقاط وصوغ الفروض المناسبة لموضوع بحثه. هذا وتفيد الفروض العلمية في تحقيق عدد من الوظائف منها:

١- توجيه الباحث نحو البيانات اللازم الحصول عليها لتساعده علي ايجاد حل لمشكلة بحثه أو تفسيرها.

٢- تساعد الباحث علي ترتيب هذه البيانات ترتيبا منطقيا وبطريقة سليمة تفيده فى أثناء تحليل هذه البيانات.

٣- تساعد الباحث علي تحديد مجال بحثه ووضعه في إطار مناسب لإمكانياته.

جـ- النظرية العلمية: Scientific Theory

لما كانت النظرية ترتبط بالمنهج وكان البحث لايستغني عن النظرية، وكانت العلاقة بين النظرية والبحث لاتسير في اتجاه واحد وإنما تسير في اتجاهين بحيث يؤثر البحث في النظرية وتؤثر النظرية في البحث فمن ناحية يؤثر البحث في النظرية عن طريق مايقوم به البحث من اختبار لفروض النظرية أو التحقق منها أو إعادة صياغتها أو تعديلها أو توضيحها أو حتي مايسهم به البحث على

المبدأ فى صياغة نظرية جديدة ومن ناحية أخري تؤثر النظرية في البحث عن طريق ما تسهم به من العمل علي توجيه دوائر البحث والمهتمين به نحو الموضوعات المثمرة وعلي إضفاء مغزى دلالاته علي نتائج البحث الفعلية أو على مساعدة توجيهات النظرية وتعميماتها ومفاهيمها علي تنمية وتطوير البحث - وهكذا - علي ضوء تلك العلاقة الواضحة والمتبادلة بين النظرية والبحث يثار في ذهننا عدة تساؤلات منها: ما المقصود بالنظرية وهل يمكن تمييز بعض الشروط التى يجب أن تتوفر فى النظرية؟ وما هى الخصائص التى تميز بناء النظرية وهل هناك وظائف معينة للنظرية ثم ماهي الأنواع الممكنة للنظرية في العلم؟

وتحدد النظرية فى قول البعض بأنها تعتبر بمثابة نسق استنباطى ينطوى على مجموعة من القضايا تحتل بعضها مكانة المقدمات أو المسمات في النسق وتحتل بعضها الآخر وضع النتائج أو الفروض والتعميمات.

وتحدد النظرية في قول ثان: بأنها نسق يشتمل على مفهومات وقضايا وتعميمات وقوانين.

وفي القول الثالث تعتبر النظرية بمثابة إطار يتكون من حسابات صورية ورموز وقواعد وتفسير جوهري وقوانين بمعنى أن النظرية تمثل إطارا يجمع بين ثناياه مجموعة من الصور أو الأساليب (الفروض - القوانين) التى تساعد فى التعبير عن المعارف العلمية.

واستطاع الكتاب أن يحددوا بعض الشروط التي يجب أن تتوافر في بناء النظرية منها: أنه يجب أن تكون مفهومات النظرية محددة بدقة ووضوح كما ينبغي أن تكون القضايا التي تتكون منها النظرية متسقة فيما بينها أو بعضها مع البعض الآخر وأن تصاغ هذه القضايا بشكل يسهل معه اشتقاق التعميمات بطريقة استنباطية وأن تخضع هذه القضايا للتحقيق الامبيريقى وأن تجد لها تأييدا في الوقائع الامبيريقية.

كما أمكن للمهتمين بالبحث والنظرية أن يتوصلوا إلي عدد من الخصائص المميزة لبناء النظرية منها:

١- أنه بناء يجمع اشتات النتائج المبعثرة ويوجد بينها فى قضايا خصبة ومثمرة تستكشف الطريق نحو ملاحظات أبعد مدي وتعميمات تطور من مجال المعرفة.

٢- أنها قضايا تستقى من الملاحظات والتعميمات كما تصدر عن احساس خفي وخلاق يقفز وراء الأدلة والوقائع والملاحظات.

٣- أنه قضايا غير نهائية أو استاتيكية لأنها قابلة للتغير والمراجعة والتعديل وأنها أكثر ارتباط بالوقائع الامبيريقية.

وفيما يتعلق بالوظائف التى تقوم بانجازها النظرية فلقد انتهت الكتابات في هذا الصدد إلي أن النظرية هي وسيلة العلم التي تعينه على وصف الظواهر وتصنيفها وتحليلها وتفسيرها والتنبؤ بحدوثها في المستقبل ذلك لأن النظرية تمد البحث بالمفهومات التى يتم علي ضوئها وصف الظواهر كما تمده بالفئات التى تعين فى التصنيف وبالنتائج العامة أو التعميمات التى يستعين بها في التحليل والتفسير كما تمده بالقوانين التي يمكن على هديها التنبؤ بحدوث الظواهر في المستقبل.

ولم يتوقف تحليل النظرية العلمية عند هذا الحد وإنما تطرق أيضا إلي موضوع تصنيف النظرية إلي أنواع منها النظريات التحليلية والمعيارية والميتافيزيقية والعلمية ومن أمثلة النظريات التحليلية وماهو معروف فى المنطق والرياضيات من نظريات لاتقرر شيئاً عن العالم الواقعى بقدر ما تتكون من مجموعة من القضايا البديهية التي يشتق منها بعض الأحكام.

ومن أمثلة النظريات المعيارية تلك النظريات التى تبلور مجموعة من الحالات المثالية التي يتطلع إليها الإنسان وهو نوع من النظريات معروف في نطاق الأخلاق علم الجمال.

أما النظريات الميتافزيقية فهي نوع من النظريات لايقبل الاختبار بطريقة دقيقة، وإنما مسلمات تفرد فى مجال اقتراح البرامج وأخيرا النظريات العلمية، التى تتميز بأنها نظريات تقريرية وامبيريقية وشاملة وفي نفس الوقت بأنها نظريات احصائية احتمالية، علمية ... الخ.

الفصل الثاني: أنواع المعرفة وقواعدها العلمية

أولا : المعرفة بالخبرة.

ثانيا: المعرفة الفلسفية.

ثالثا: المعرفة العلمية

رابعا: المنهج العلمى أساليبه وخطواته.

أنواع المعرفة وقواعدها العلمية

مقدمة:

من الطبيعى أن نركز اهتمامنا في هذه المحاضرات علي البحث العلمي وما يستند عليه من منهج معين وما يحققه من تحصيل للمعارف العلمية ولقد تعمدنا أن نستهل هذا الفصل بعبارتنا هذه لنلفت الأنظار إلي بعض الحقائق منها أن المعرفة العلمية ليست هى كل أنواع المعرفة الإنسانية من ناحية، وأن البحث العلمى ليس هو وحده السبيل الوحيد للحصول علي المعارف من ناحية ثانية، وأن المعرفة العلمية لذلك معرفة ذات طابع وخصائص مميزة وشروط محددة لابد من توافرها للحصول عليها.

ولإن الإنسان قد فطر على أن يكون محبا للاستطلاع، ولأنه من الصعب عليه أن يعيش وسط بيئة تحيط به دون أن يعرف عنها شيئا، كان - ولايزال يطرح تساؤلات عديدة يحاول أن يجد إجابة عنها، الأمر الذي أدي إلي زيادة حصيلته من المعارف التي اعتنته علي فهم مايحيط به من ظواهر. غير أن البحث العلمي لم يكن هو السبيل الوحيد الذي يسلكه الإنسان للتوصل إلي إجابات عن تساؤلات، فكثيرا ماكانت هذه التساؤلات تمس موضوعات لاتنتمي للعلم بصلة ولكنها مع ذلك كانت جديرة بالاهتمام والبحث حيث لم يجد لتساؤلاته التى دارت حول الحق والخير والجمال والواجب إجابات باستخدام مناهج العلم. ولعلنا نجد في هذه الحقيقة ما يكفي للإشارة إلي أن القدرة العقلية للإنسان لم تكن بحال من الأحوال مرتبطة أو محدودة بالعلم وحده.

ولقد أوضح مؤرخو العلم كيف انفصلت بعض مناهج البحث المتخصصة عن الفلسفة التي آتى عليها حينا من الدهر ضمت بين طياتها كل الوان المعرفة الإنسانية. ولسنا هنا بصدد تاريخ لهذه الحركة ولا لنشأة العلوم المختلفة وإنما تشير فقط إلي أن كل فرع من فروع العلم المختلفة نشأ أصلا عن ذلك الاهتمام بمعرفة شئ ماعن العالم الذى يحيط بالإنسان.

وقد يبدو من الملائم قبل البدء فى الحديث عن المعرفة العلمية وخصائصها والأسلوب أو المنهج الذي يحقق التوصل إليها أن نتعرض لتحديد طبيعة المعرفة وأنواعها والخصائص المميزة لكل نوع وذلك علي النحو التالى:

ماهي المعرفة؟

من أبسط تعريفات المعرفة أنها عبارة عن مجموعة المعانى والمعتقدات والمفاهيم والتصورات الفكرية التى تتكون لدي الإنسان نتيجة لمحاولاته المستمرة لفهم الظواهر والأشياء المحيطة به. أنها باختصار إجابة عن السؤال - كيف تصرف مانعرفه؟ أو بعبارة أخري أنها تمتد لتشمل كل مايحيط بالإنسان من ظواهر مختلفة طبيعية وبيولوجية واجتماعية وثقافية ونفسية. وإذا كنا قد أوضحنا من قبل أن المعرفة العلمية لاتشتمل علي كل أنواع المعرفة الإنسانية فإن ذلك يعنى أن المعرفة ليست هى العلم بل هى أوسع مدلولا وأكثر شملوا وأبعد نطاقا لأنها أى المعرفة تتضمن معارف علمية وأخرى غير علمية أو لاتمت للعلم بصلة، ولعل مايميز المعرفة العلمية عن سواها هو أسلوب التفكير الذي اتبع في تحصيلها بحيث تصبح المعرفة العلمية هي المعرفة التي اتبع الباحث فيها قواعد المنهج العلمى فى التعرف علي الاشياء والكشف عن الظواهر لتفسيرها والتنبؤ بها والسيطرة عليها وفقا لقوانين محددة وبحيث يصبح العلم فى النهاية منهجا أو أسلوب تفكير يستخدم قواعد المنهج الصحيح للكشف عن القوانين العامة التي تسيطر علي مجموعة من الظواهر.

وجدير بالذكر أن العلم والمعرفة العلمية بهذا المعني كانت تمثل المرحلة المتأخرة من تاريخ الفكر الإنسانى وهذا ما أشار إليه أوجست كونت في قانونه المعروف بقانون المراحل الثلاثة والذي ذهب فيه إلي أن الفكر الإنسانى قد مر بثلاثة مراحل تبدأ بالمرحلة اللاهوتية أو الغيبية يليها المرحلة الفلسفية أو الميتافيزيقية وتنتهى بالمرحله العلمية الوضعية التى تخلص فيها الإنسان من مختلف التفسيرات الغيبية والدينية والفلسفية لينحو نحو التفسير الوضعى والعلمى للظواهر، ذلك التفسير الذي يقوم على منهج محدد تمثل مناقشة

خصائصه وخطواته مهمة أساسية لنا فى هذا الفصل.

أنواع المعرفة

أشرنا فيما سبق إلي تعدد الوان المعارف التى حصل عليها الإنسان عبر تطور تاريخ تفكيره وإلي أن المعرفة العلمية تمثل لونا واحد وحديثا منها. ونستطيع لهدف الشرح والتوضيح أن تميز بين ثلاث الوان للمعرفة هي:

١- المعرفة بالخبرة.

٢- المعرفة الفلسفية.

٣- المعرفة العلمية.

أولا: المعرفة بالخبرة (الشائعة - العامة)

وتعرف أيضا بالمعرفة الحسية، ويمثلها مجموعة المعارف التى يحصل عليها الإنسان عن مختلف الظواهر التي تحيط به عن طريق الملاحظة البسيطة لها، والتى لاتتعدى حدود الادراك الحسي العادي دون محاولة منه لفهم الظواهر التي يدركها بحواسه سواء بربطها بغيرها أو بالتعمق فى بحث أسبابها ونتائجها أو أنها ببساطة تلك المعرفة التى يحصل عليها الإنسان بحكم العادة أو معاينة الظواهر المحيطة به، أو بطريقة تلقائية غير مقصودة أساسها الحس أو الادراك العادي. فكثيرا مايعرف رجل الشارع أن الليل والنهار يتعاقبان، وأنه إذا القي بأى جسم سقط علي الأرض أو أن المرأة لاتنجب في سن مابعد الخمسين مثلا وقد عرف كل هذه الأمور وأمور أخري غيرها بحكم العادة أو بالادراك الحسي العادي أو بالمعاينة والخبرة ولكن معرفته هذه لاتخطوا إلي أبعد من ذلك بحيث لايعرف أسباب تعاقب الليل والنهار أو سقوط الاجسام أو عدم الانجاب في سن معينة لأن هذا اللون من المعرفة لايرقى إلي مستوى الكشف عن حقائق علمية ككروية الأرض أو دورانها حول الشمس أو الجاذبية أو الخصائص الفيسيولوجية لسن اليأس عند المرأة.

وتمثل المعرفة بالخبرة أوالمعرفة الحسية أكثر الوان المعرفة الإنسانية بساطة

وسذاجة وبدائية، حيث لجأت إليها البشرية منذ فجر نشأتها لاكتساب الخبرات وليس يهدف التوصل إلي حقائق علمية أو غايات نظرية بل لأهداف علمية أى من أجل التغلب على مشكلات الحياة وتدبير أمورها.

وتتميز المعرفة بالخبرة باستخدامها لبعض الوسائل التى تبعدها كل البعد عن المعرفة العلمية حيث نجدها تعتمد علي مايتمتع به الفرد من فطنة أو بداهة أو مايطلق عليه البعض اسم الحس ولذلك فهى أقرب إلي الانطباعة منها إلى الموضوعية ولانها تتحدد أساسا فى ضوء الخبرة الشخصية للفرد لذلك تميزت بالنسبية والذاتية فكم من المعارف التى يكتسبها بعض الافراد بخبراتهم غير متوفرة لغيرهم. وتعبر الآراء الشائعة عن هذه الحقيقة بوضوح فالقول الشائع (أكبر منك بيوم يعرف عنك بسنة) لهو خير تعبير عن نسبية هذا اللون من المعرفة.

وبالإضافة إلي ابتعاد هذه المعرفة عن خصائص الموضوعية العلمية فإنها تتميز أيضا بأساليبها الخاصة فى التعبير حيث يعبر عنها في شكل اعتقادات واتجاهات فردية وميول بل قد تتخذ شكلا من أشكال التعصب كما أنها فوق ذلك كله تميل بالفرد إلي أن يلجأ في كثير من الأحيان إلي تفسيرات غيبية أو خرافية أو غير منطقية يبرر بها ما يعتقده من أفكار أو ما يتعصب له من المعارف.

وباختصار فإن هذا النوع من المعرفة يتحصل عليه الفرد نتيجة لبعض التجارب الفجة وخبرات محدودة فتقف عند مواجهة بعض المواقف العلمية المحددة وسرعان ما تنتقل بين الناس بحكم العادة يسلمون بها دون فحص أو تبرير منطقى ولذلك فهى تختلف باختلاف السياقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية لما يرتبط باختلاف هذه السياقات من تنوع للخبرات التي يعايشها أفراد كل مستوى أو فئة معينة ولاعجب أن نجد نتيجة لذلك تناقضا واضحا بين مكوناتها وخير مثال علي هذا التناقض أننا نجد أن لكل مثل من الأمثال الشعبية (وهى خير تعبير عن هذا النوع من المعرفة) ما يناقضه أو يتعارض معه لأن كل منها ينبثق لخبرة معينة فى سياق أو موقف اجتماعى وثقافى معين وتحت ظروف معينة.

لذلك كله يمكن القول بأن هذا النوع من المعرفة لايرقى لمستوى التفكير النظري الذي يهدف إلي ايجاد تفسيرات أو تبريرات مقبولة ومنطقية لمختلف الظواهر التى تحيط بالإنسان وبالتالي فهى أبعد ما تكون عن صفات المعرفة العلمية من موضوعية وعمومية وعقلانية.

ثانيا: المعرفة الفلسفية:

على الرغم من أن الفلسفة كانت قد اتخذت في إحدي مباحثها من العالم الطبيعى موضوعا لها إلا أن المعرفة الفلسفية تميزت كلون خاص فاختلفت عن المعرفة المكتسبة بالخبرة كما اختلفت المعرفة العلمية ذاتها في أنها لم تقتصر علي بحث الأمور الواقعية التى يمكن معرفتها بل تجاوزت حدود الواقع والعالم الطبيعي وارتقت إلي عالم ما بعد الطبيعة لتبحث في الوجود كله علله ومبادئه الأولي وفى مسائل أكثر ابتعادا عن الواقع كوجود الله وخلود النفس وغيرها. وتتميز المعرفة الفلسفية عن غيرها من الوان المعرفة بمالها من موضوع معين وأسلوب للتفكير والتعبير يميزها فمن حيث الموضوع نجد أنها تبحث كما ذكرنا فى مسائل تتعدي حدود الواقع بحيث يتعذر حسمها بالملاحظة أو التجربة - أنها تهتم بالبحث عن المبادئ الكلية للجود وتحاول تفسير الأشياء فى ضوء عللها ومبادئها الأولي. ومن حيث المنهج أو أسلوب التفكير تتميز المعرفة الفلسفية ببعض الخصائص أهمها أن الفيلسوف لايبدأ كالباحث العلمى من حيث انتهى الآخرون بل يتخذون له نقطة بدء جديدة فى التفكير فيطرح جانبا كل ماتردد قبله من فلسفات أو أفكار ليبدأ هو فى تجربته الفلسفية بطريقة ذاتية أو شخصية بحته حتي أننا نجد أن فيلسوفا مثل ديكارت يتشكك في كل ماسبق من معارف واتخذ من شكله هذا وطرحه جانبا لمختلف الافكار والنظريات التى سبقته نقطة بدء فى فلسفته. والمعرفة الفلسفية بهذا المعني تجربة شخصية وفريدة للفليسوف أشبه بالفن تتميز بالفردية ولا تخضع لمقاييس موضوعية، فهى أشبه كما قلنا بعملية إبداع فني حيث أن لكل شخص مطلق الحرية في أن يعبر عن ذاته فلسفياً.

كذلك تبتعد المعرفة الفلسفية بحكم موضوعها ومسائلها عن استخدام المنهج التجريبي لذلك كانت الفلسفة ولاتزال مرتبطة باستخدام المنهج العقلي الذي - تمثل فيما يسمى بالمنطق والمنهج الاستنباطى.

أما المنطق فهو علم قوانين الفكر بمقتضاه يعرف الفرد صحيح الفكر من فاسده أو إنه كما عرفه فلاسفة الإسلام آلة تعصم الذهن من الذلل، والمنطق على هذا النحو يقدم للفكر الإنسانى قوانين ثلاثة أساسية لايستقيم بدونها أى تفكير هذه القوانين هى: قانون الذاتية الذي يعبر عن ثبات الحقيقة وعدم تغيرها وقانون عدم التنافس الذى يؤكد أن الحقيقة هى دائما الحقيقة وليس غير ذلك ثم أخيرا قانون الثالث المرفوع والذي يمثل صورة شرطية للقانونين السابقين ليقرر أنه لايمكن الجمع بين حقيقة ونقيضها فالحقيقة إما أن تكون حقيقة غير حقيقية ولاثالث يتوسط بين صدق الحقيقة وكذبها، أما القياس فيعرف بأنه الانتقال مما هو عام إلي ماهو خاص بمعني التسليم ببعض المقدمات واستنتاج مايترتب عليها من نتائج كان نسلم مثلا بأن كل معدن يتمدد بالحرارة وأن الحديد معدن لتخلص إلي النتيجة التى تقرر أن الحديد يتمدد بالحرارة وجدير بالذكر أنه قد عيب على القياس أنه لايأتي بجديد أى لايترتب عليه تحصيل معرفة جديدة مما يصل إليه من نتائج تكون متضمنة فيما نسلم به من مقدمات الصحة الصورية والصحة الواقعية ولسنا هنا بصدد تقييم القياس والمنهج الاستنباطى كأساليب للفكر والمعرفة وإنما يكفى أن نحدد طبيعة المعرفة الفلسفية من خلال مقارنتها بالمعرفة العلمية وذلك علي النحو التالى:

١- إن الفلسفة علي العكس من العلم لاتتخذ من الواقع موضوعا لها بل تتعداه إلي عالم ماوراء الطبيعة كما أشرنا سلفا.

٢- إن الفلسفة تختلف عن العلم في أنها لاتهدف إلي وصف الحقائق أو الكشف عن القوانين التي تحكم سير الظواهر وإنما تحاول البحث عن العلل والمبادئ الأولي لهذه الظواهر وهي في هذا تكتفي باختيار صحة المبادئ التى تفرضها العلوم دون اهتمام باتفاقها مع الواقع.

٣- إن المعرفة الفلسفية تعبر عن مواقف خاصة ووجهات نظر شخصية غير قابلة لاختيار أو التحقق العلمى الأمر الذي جعلها عاجزة عن الوصول لحل حاسم لمشكلاتها وبالتالي تعددت المذاهب الفلسفية وتنوعت المفاهيم الفلسفية تلك المذاهب والمفاهيم التي تعبر كما قلنا عن وجهات نظر خاصة للحقيقة ومن هنا ينتفى عن المعرفة الفلسفية صفة العمومية.

٤- إن المعرفة الفلسفية ومايرتبط بها من تجربة للتفلسف تقوم علي أساس التأمل أو الخلوة إلي الذات بمعني أن الفيلسوف ينتقل من الموضوع الذى يدرسه إلي ذاته ثم يبحثه من خلال ذاته أو رؤيته الذاتية ومن هنا انتفت صفة الموضوعية عن المعرفة الفلسفية واتسمت دائما بطابع الفردية أو الذاتية.

٥- تبتعد المعرفة الفلسفية عن المعرفة العلمية في أمور كثيرة منها أنهاتبحث عن العلل البعيدة للظواهر بينما يبحث العلم عن العلل القريبة كما أنها تتخذ من الوجود كله موضوعا لها بينما العلوم المختلفة تبحث جوانب محددة من هذا الوجود أضف إلي ذلك أن الفلسفة في محاولتها البحث في جوهر الظواهر أو ماهياتها فإنها تلتزم دائما بالكشف عن الخصائص الكيفية للحقائق علي العكس من العلم الذى يسعي دائما إلي البحث عن الخصائص الكمية أى يهتم باخضاع الظواهر لمقاييس كمية بحته.

٦- ولعل من أهم ما يميز المعرفه الفلسفية عن المعرفة العلمية أنها في جزء كبير من مباحثها لاتدرس الظواهر علي النحو الذى هى عليه فى الواقع بل تدرس ما ينبغى أن تكون عليه وهذا هو الحال فى فروع علم الاخلاق وعلم الجمال وغير ذلك من الفلسفات المعيارية التي تهتم بدراسة ماينبغي أن يكون بينما العلم يهتم بدراسة الظواهر بطريقة تقريرية أى دراستها علي ماهي عليه فى الواقع.

ثالثا: المعرفة العلمية

يمكن أن نعرف المعرفة العلمية بادئ ذي بدء بأنها تلك المعرفة التى تعتمد

على الملاحظة المنظمة للظواهر ومحاولة تفسيرها بالكشف عن القوانين التي تحكمها والتنبؤ بمستقبلها. إن التحليل المتعمق لطبيعة العلم يكشف عن أنه يتضمن بين طياته هدفا معينا ووسائل تحقيق هذا الهدف فغاية العلم كما سبق أن ذكرنا هو تفسير الظواهر والتنبؤ بمستقبلها وذلك عن طريق الكشف عن القوانين التى تحكم سير الظواهر بهذا المعنى يحق لنا أن - نقرر أن هدف العلم هو الوصول إلي النظرية. ولقد سبق أن أوضحنا في الفصل الأول أن النظرية تعني مجموعة تصميمات أمكن تحققها والتأكد منها انتظمت فيما بينها بطريقة تجعلها قادرة علي تفسير الظواهر والتنبؤ بمستقبلها. والنظرية بهذا المعني تتضمن الفروض والتعميمات والقوانين العلمية وهذه بدورها تعد من أهم الوسائل التى يستخدمها العلم لتحقيق هدفه علي النحو السابق.

ويتميز العلم وما يرتبط به من معرفة علمية ببعض الخصائص المميزة أهمها:

١- الطابع الامبيريقي:

وهذا يعنى أن العلم يتخذ من العالم الواقعى المعروف موضوعا لبحثه ودراسته فلايتجاوزه كالفلسفة. كما يعني أيضا أن التفسير العلمى يجب أن يتم فى إطار هذا الواقع نفسه بمعني أن يقوم على قضايا أو تفسيرات أو تبريرات يمكن التحقق من صدقها في عالم الواقع وبهذا المعني تختلف المعرفة العلمية عن المعرفة بالخبرة التي تقدم تفسيرات غير منطقية فى كثير من الأحيان للظواهر وعن المعرفة الفلسفية التى تقدم قضايا لايمكن التحقق منها واقعيا. بعبارة أخرى فإن المعرفة العلمية تستند إلي الملاحظة والاستنتاج لاعلي تبريرات غيبية أو تأملات فلسفية.

٢- الطابع النظرى:

وهذا يعنى أن المعرفة العلمية عبارة عن محصلة لمجموعة من الملاحظات المعقدة التى تنتظم فيما بينها في مجموعة من القضايا المجردة والمرتبطة فيما بينها ارتباطا منطقيا علي نحو يمكنها من تفسير أو توضيح العلاقات السببية بين الظواهر موضوع الدراسة.

٣- الطابع المجرد:

فالمعرفة العلمية تميل إلي أن تكون مجردة، ذلك أنه على الرغم من أن العلم يتخذ من عالم الواقع موضوع له وعلي الرغم من أن المعرفة العلمية تدور أساسا حول ملاحظات امبيريقية إلا أنها تصاغ بالضرورة فى قضايا مجردة. إن قضايا العلم تصاغ كما اسلفنا فى صورة مشكلة ثم فروض تقدم حلولا لهذه المشكلة ولكنها فى نفس الوقت وبخاصة فى مرحلة ما بعد التحقق من الفروض تصاغ علي نحو أكثر يمكنها ليس فقط من تفسير الملاحظات الامبيريقية الراهنة بل كل ما يشابهها من ملاحظات وتتيح بالتالي إمكانية التنبؤ بالمستقبل بعبارة أخري فإن المنتج لخطوات المنهج العلمى كما سنعرض فيما بعد تتبين أنه علي الرغم من أن القضايا العلمية تميل علي الأقل في المراحل الأولي إلي أن تكون أكثر امبيريقية إلا أنه مع تطور النظرية تبتعد قضايا العلم عن التقيد بملاحظات محددة زمانيا ومكانيا لتأخذ بعد ذلك طابع القضايا العامة.

٤- الطابع المنطقى:

سبق أن أشرنا إلي أن المنطق يمثل بحثا من مباحث الفلسفة وأن المعرفة الفلسفية ذات طابع مختلف عن المعرفة العلمية لكننا نود أن نشير إلي أنه علي الرغم من ذلك فإنه يمكن أن تقرر أن العلم يحمل طابع المنطق. فالمنطق هو عام قوانين الفكر كما سبق أن أوضحنا من خلاله يستطيع الباحث أن يقوم بعمليات الاستدلال ومن ثم فإنه البحث العلمى لايمكن بحال من الأحوال أن يبتعد فى نظرنا عن استخدامه للمنطق على الأقل عندما يحاول الباحث العلمي أن يقيم استدلالاته أو يتوصل إلي استنتاجاته أو يقدم تفسيرات لموضوع بحثه.

٥- طابع النسق والنظام:

وهذا يعنى أنه كلما زادت المعرفة العلمية تجريدا وكلما تزايدت الفروض والقوانين من حيث العدد أو العمومية كلما مالت النظرية العلمية إلي أن توجد أو تربط بين التعميمات المتشابهة أو المتماثلة في نسق واحد منظم، وهذا يعنى بطبيعة الحال أن العلم له قدرة على ضبط وتوجيه قضاياه، ونتائجه بحيث نجد

أن كثيرا ما يرفض العلم بعض القضايا لأنها تناقض قضايا أخرى مؤكدة أو معروفة فى الوقت الذى نجد فيه قضايا أخري جديدة يطورها العلم فتفرض تعديلات جوهرية على النسق الكلي للنظرية العلمية، وعلى هذا الأساس يعتبر تطوير النسق فى العلم مسأله هامه بل مقوما من مقومات العلم الأساسية، والمقصود بذلك هو أن العلم يكون قادرا علي أن يجعل النتائج الامبيريقية منسقة فيما بينها وهذا يقضي بطبيعة الحال عملية مستمرة من رفض أو تعديل ماسبق أن توصل إليه البحث العلمى من نتائج أو قضايا.

٦- الطابع التراكمي:

تعتبر هذه الخاصية من أهم الخصائص التي تميز المعرفة العلمية عن المعرفة الفلسفية. فإذا كان الفيلسوف كما أوضحنا من قبل يطرح جانبا ماسبق أن توصل إليه غيره من أفكار أو نظريات فلسفية فإن العالم لايبدأ من نقطة انطلاق جديدة وإنما يبدأ من حيث انتهي الآخرون، إن المعرفة العلمية بهذا المعنى هي تراث عقلى واسع ومتصل الحلقات بحيث لاتستطيع أن نتصور جزءا من معرفة علمية قائم بذاته والنظريات العلمية بهذا المعني تشيد بعضها فوق بعض بحيث نجد أن النظريات أو حتي المعارف العلمية الجديدة كثيرا ما تصحح أو تدعم أو تعدل ماسبقها من نظريات أو معارف.

٧- الطابع الموضوعي:

ولهذه الخاصية مظاهر مختلفة ومتعددة فمن ناحية تتميز المعرفة العلمية بأنها موضوعية بالمعني الذي لاتتدخل فيه أهواء الباحث أو ميوله أو أفكاره أو معتقداته لتؤثر فيما يتوصل إليه من نتائج، إن المعرفة العلمية بهذا المعني حيادية تلزم الباحث أن يقرر الحقيقة أو يراها كما هى عليه فى الواقع لا كما يجب أو يفضل أن تكون عليه. ومن ناحية أخري تفترض الموضوعية العلمية عمومية هذه المعرفة بمعني أن المعرفة العلمية ليست تجربة شخصية فريدة كما هو الحال بالنسبة للمعرفة الفلسفية بل تحتم عليه المعرفة ضرورة نقلها من عالم أو باحث علمى إلي آخر ومن ثم نجد أن العلم لاخلاف أو جدال على حقائقه في

الوقت الذى تتعدد فيه المذاهب والمدارس الفلسفية ومن ناحية ثالثة تتخذ الموضوعية العلمية مظهرا آخر يتمثل فى أنها تبتعد عن الطابع المعيارى فهى تقرر ما وقع بالفعل لا ما ينبغى أن يحدث أو يقع. إن الباحث العلمي يهدف لاستخلاص القوانين من الواقع أو من الملاحظات الامبيريقية ولايعني أو يهتم بحال من الأحوال بتقييم هذه الوقائع أو اصدار احكام قيمية معيارية عليها. ومن ناحية رابعة وأخيرة ترتبط بالموضوعية العلمية بهذه المعاني السابقة معنى أو خاصية أخرى للمعرفة العلمية هي خاصية الرمزية فاستناد للحيادية والعمومية وتقرير الواقع نجد اجماعا واتفاقا بين العلماء على الحقائق التى تقررها المعرفة العلمية هذا الاجماع يأخذ شكل الرموز بين الباحثين بمعنى أن تمثل نتائج الدراسة العلمية على نحو يسمح بتوصيلها للآخرين وتفهمها لهم بنفس المعني المرتبط بها لدي من توصل إليها، حتي أنه إذا ما أعيدت دراسة الموضوع من جديد أمكن التوصل لنفس النتائج.

٨- الطابع التطبيقي:

وهذا يعني أن العلم هو وسيلة لحل المشكلات فالعلم ليس بحال من الأحوال بمعزل عن الحياة فالهدف النهائي للعلم في محاولته تفسير الظواهر أو الكشف عن قوانينها والتنبؤ بمستقبلها إنما يهدف فى الحقيقة إلي السيطرة عليها بما يمكنه في النهاية من تسخير البيئة للإنسان أو تدعيم قدرة الإنسان للسيطرة على هذه البيئة وعلى هذا الأساس فإذا كانت المعرفة العلمية تتخذ طابعا نظريا كما سبق أن أوضحنا بمعنى محاولة الكشف عن المبادئ العامه التي تحكم الظواهر موضوع الدراسة فإنها أيضا ذات طابع علمى تطبيقى أى يمكن الاستفادة من هذه المبادئ والقوانين في حل مشكلات علمية تواجه الإنسان فعالم الطبيعة الذي يتوصل بعد بحث طويل إلي مبدأ علمى نظرى يقرر قابلية المعدن للتمدد بالحرارة فإن يتيح الفرصة لتقريره لهذا المبدأ للإستفادة به فى أغراض متعددة من الناحيه العلمية. وكثيرا ما كانت بعض المشكلات الملحة التي تواجه الإنسان دافعا أساسيا دفع بالعلماء إلي بذل الجهود ليتوصلوا في النهاية إلي نظريات علمية لحل هذه المشكلات.

ويدور قولنا هذا حول موضوع له أهمية منهجية هو علاقة البحث بالنظرية ونظرا لأهمية هذا الموضوع فإننا سنخصص له جزءا مستقلا من هذه المحاضرات.

٩- أخيرا تتميز المعرفة العلمية عن المعرفة الفلسفية باستخدامها لأسلوب أو منهج معين للتفكير باسم المنهج أو الطريقة العلمية للبحث فعلى العكس من المعرفة الفلسفية التى تستند كما رأينا على القياس والمنهج الاستنباطى نجد أن المعرفة العلمية تستخدم ما يعرف باسم الاستقراء عن القياس فى أنه يبدأ بما هو خاص لينتقل إلي ماهو عام أى يبدأ بالجزئيات لينتهى للقوانين أو التعميمات. غير أننا نود أن نشير قبل الخوض فى مناقشتنا لمعني الاستقراء وطبيعته وأنواعه ما يفيد فى القاء الضوء على المنهج العلمى وخطواته وقواعده، إلي إن العلم أو المعرفة العلمية يستخدم إلي جانب الاستقراء الأسلوب القياسى فإذا كان العلم يتوصل بالاستقراء إلي قوانين أو قضايا عامة فإنه يتحقق من صدق هذه القوانين أو التعميمات باختبارها أو تطبيقها علي حالات جزئية أى أنه يستخدم بمعنى ما يعرف باسم القياس.

رابعا: المنهج العلمى أساليبه وخطواته أو قواعده

رأينا أن مايميز الوان المعرفة المختلفة عن بعضها البعض الذي يستخدم لتحصيلها وأوضحنا كيف أن أسلوب التفكير الفلسفي يختلف تمام الاختلاف عن أسلوب التفكير العلمى وأن ماتتميز به المعرفة العلمية من خصائص العمومية والموضوعية وغيرها من خصائص مميزة قد انبثق أصلا عن استنادها إلي الأسلوب الاستقرائي فى مقابل الاستدلال القياسي في الفلسفة.

ويبدأ الأسلوب الاستقرائي فى التفكير كما سبق أن أوضحنا من الخصوصيات والجزئيات إلي التعميمات أو القوانين ونضيف هنا إلي أن الاستقراء بهذا المعنى يستند في الحقيقة على الملاحظة والتجربة كخطوتين أساسيتين فى بحثه للظواهر الجزئية كما يستخدم بعد ذلك التعميم بهدف

الكشف عما يكمن وراء هذه الظواهر التى يمكن ملاحظتها من قوانين وذلك بتحقيق الهدف الأساسى للعلم وهو التفسير والتنبؤ.

وسوف نناقش فى موضع لاحق الملاحظة والتجربة ودور كل منهما فى إثراء البحث العلمى ويكفى هنا أن نشير إلي المبادئ الأساسية التى يستند عليها الاستقراء.

والاستقراء من حيث هو انتقال مما هو خاص إلي ماهو عام أو من حيث هو استنباط حكم عام من بعض الملاحظات أو التجارب المحددة ليستند على مايعرف باسم مبدأ الحتمية. وخلاصة هذا المبدأ أنه إذا كنا عندما نبدأ بالملاحظة فتقف علي بعض الحقائق الجزئية فإننا ننتقل بالضرورة إلي حكم عام يصدق علي هذه الحقائق وعلي غيرها من الحقائق المستقبلية أنه من المحتم أن يحدث فى المستقبل ما حدث في الماضي وما يحدث في الحاضر.

ويرتبط بمبدأ الحتمية مبدأ آخر هو مبدأ السببية وخلاصة أن كل شئ يحدث فى الطبيعة إنما يحدث لسبب معين وأن نفس السبب يؤدى دائما إلي نفس النتيجة وجدير بالذكر أن هذين المبدئين قد آثارا مزيدا من الجدل والخلاف بين المناطقة والمشتغلين بفلسفة العلوم، وسنتجنب لضيق الوقت الخوض في هذا الجدل أو محاولة حسمه برأى قاطع ويكفينا هنا أن نقرر أن العلم يهدف كما قلنا لتنسيق الظواهر حتي يمكن فهمها وتفسيرها ولاسبيل للباحث لتحقيق هذا الهدف إذا اعتقد أن الأشياء تحدث وفقا لنظام عام ثابت لايقبل الاستثناء أو الاحتمال أو التغير بل يوحي بأن كل ظاهرة تخضع لقانون محدد هو سبب وجودها أو أن هناك طائفة من الأسباب يقابلها طائفة من النتائج الثابتة.

نقود مرة أخري إلي الاستقراء فنشير إلي أنه قد جرت العادة على التمييز بين نوعين من الاستقراء هما الاستقراء التام والاستقراء الناقص أما الاستقراء التام فهو يشير إلي عملية تعداد لجميع الأمثلة الجزئية التى تشترك فى صفات خاصة وإطلاق تعميم واحد يضمها جميعا. أما الاستقراء الناقص فهو عملية تكتفي ببحث أو ملاحظة عدد قليل من الحالات الخاصة أو الجزئية وتقرير أن ما

ينطبق عليها ينطبق بالضرورة علي غيرها. كذلك لما كانت المعرفة العلمية الحقيقية تهدف إلي الاقتصاد فى الجهد والتفكير فقد جرت العادة أيضا على استبعاد النوع الأول من الاستقراء من نطاق المنهج العلمى والاكتفاء بالنوع الثانى باعتباره يمثل أساس العلم لأنه يقوم على التعميم فيه يبدأ الباحث بجمع الملاحظات وإجراء التجارب ثم يشرح الباحث بعد ذلك في تصنيف ماجمعه من حقائق من خلال ملاحظاته أو تجاربه علي حالات محدودة ليصل فى النهاية إلي تعميم تبدو فيه قدرة الباحث على الابداع والابتكار. بهذا المعني يمكن أن نقول أن الاستقراء التام شأنه شأن القياس لايضيف جديدا للمعرفة وأنه من خلال الاستقراء الناقص يزداد قدرة الباحث علي التعميم والتنبؤ بالمستقبل الذى هو الطابع الجوهري للعلم. ويزخر تاريخ العلم والاكتشافات العلمية بأمثلة عديده لاحصر لها توضح ما اسهم به الاستقراء الناقص أو القائم على التعميم من دور في إثراء المعرفة العلمية وتقدم التفكير العلمي.

خطوات المنهج العلمى

إذا كان الاستقراء بالمعني السابق هو محاولة الوصول إلي تعميمات عن حالات جزئية أنه بذلك يعتبر قرين المنهج العلمى ومن ثم لانجاذف إذا قلنا أن خطوات المنهج العلمى تتمثل في الحقيقة فى تلك المراحل التى يمر بها الاستقراء بدءا بملاحظات جزئيته ومنتهيا إلي قوانين أو نظريات علمية، ونستطيع أيضا أن نحدد هذه الخطوات أو المراحل فيما يلي:

١- تحديد المشكلة:

من الطبيعى أن يحصر الباحث جهده وتفكيره فى نطاق معين فمن بحث كل شئ لن يصل إلي أى شئ. والمقصود بالمشكلة هنا مشكلة البحث العلمي فى موضوعها وبطبيعة الحال تتدخل عوامل واعتبارات عديدة تجذب اهتمام الباحث بموضوع معين منها طموحه أو مصلحته واطلاعاته..الخ إلا أنه يمكن القول من الناحية المنهجية أن المنهج العلمى أو الاستقراء يبدأ بملاحظة الظواهر على النحو الذي تبدو عليه بصفة طبيعية وقد تتنوع الملاحظة كما سنري فيما بعد

إلي ملاحظات فجة أو عابرة وملاحظات علمية مقصودة ولكل منها عيوبه ومزاياه ودوره فى إثراء البحث العلمى غير أن مايهمنا هنا أن مجموعة هذه الملاحظات تثير فى ذهن الباحث تساؤلات معينة تدفعه لإجراء بحثه بهدف تفسيرها أو الكشف عن أسبابها فالعبرة فى العلم ليست مجرد تسجيل الملاحظات وتكديسها وإنما تلك القدرة علي تنسيقها وربطها وتأويلها تأويلا صحيحا يفيد في الكشف عن بعض الحقائق العامة. ومايقال عن الملاحظة ينسحب بدوره على التجربة فمن التجارب ما يكون غير مقصود يمثل نوعا من العبث أو اللهو ومنها ما يكون مقصوداً أو منظما وموجهة لهدف معين، ولو أن التجربة تختلف عن الملاحظة كما سنري فيما بعد فى أنها تعبر عن موقف أكثر إيجابية للباحث.

فالملاحظ يقف موقفا سلبيا إزاء الظاهرة بينما المجرب يتدخل فيعدل من بعض الظروف المحيطة بالظاهرة أو يضع ظروفا مصطنعة لها. وعلى أى حال فإن كلا من الملاحظة أو التجربة تمثلان أولي مراحل البحث العلمي خاصة وأنهما يثيران بعض التساؤلات في ذهن الباحث والتي توجه تفكيره وجهة دون أخري ويحددان بالتالي مشكلة البحث أو موضوعه. والمتتبع لتاريخ العلم والاكتشافات العلمية سيكتشف حتما أنه مامن نظرية علمية أو حقيقة مؤكدة أو قانون أو اختراع علمي إلا وانبثق عن بعض التساؤلات التى أثيرت فى ذهن الباحث حول موضوع معين.

٢- صياغة الفروض:

وتمثل محاولة الباحث صياغة فروض تفسر الظاهرة أو تحل مشكلة البحث أو تجيب عن تساؤلاته إلي طرحها من قبل، تمثل الخطوة الثانية من خطوات المنهج العلمى ذلك أنه لاقيمة لتكدس الملاحظات أو التجارب، وإنما يتعين على الباحث أن يوضح ما يمكن وراء هذه الملاحظات والظواهر من قوانين تفسرها، ولاسبيل له إلي ذلك إلا بوضع (أو فرض) الفروض التى تنظم بطريقة مبدئية علي الأقل بين هذه الملاحظات لتصل منها إلي فكرة أو قضية عامة لاتفسرها

وحدها فحسب بل تفسر ماعداها من ملاحظات وظواهر مشابهة.

وكما أوضحنا في الفصل الأول من هذه المحاضرات يعرف الفرض العلمى بوجه عام بأنه أفكار مبدئية تتولد فى عقل الباحث عن طريق الملاحظة والتجربة. ونضيف هنا أن الفرض العلمى هو تفسير مؤقت لما لاحظه الباحث من ظواهر أو هو إجابة مؤقتة لم تتأكد بعد لما طرحه من تساؤلات، أو هو حل مؤقت لمشكلة البحث وهو في أى حالة من هذه الحالات إنما يطرح علاقة سببية لم تتأكد بعد بين ظاهرتين تساعد إحداهما من خلال هذه العلاقة على تفسير الأخري

وكما أن للمعرفة العلمية شروط وخصائص مميزة سبق أن أوضحناها في موضع لاحق كذلك فإن للفرض العلمى شروط يجب تحققها أهمها اعتماده علي الملاحظة والتجربة حتي يمكن من ناحية اختياره وحتي يمكن من ناحية أخري أن يحقق للمعرفة العلمية خاصية امبيريقية والواقعية، ومن ثم تتجنب الباحث بالضرورة الاستعانة بفروض خيالية أو يوتوبية، كذلك يتعين على الباحث أن تخلو فروضه من التناقض في ذاتها ويعتبر هذا الشرط أمرا جوهريا يجب تحققه حتي قبل أن يشرع الباحث في اختيار صحة فروضه وذلك توفيرا للجهد والوقت والنفقات التى تتطلبها عملية التحقق من صحة الفروض.

وبالمثل، فإن عدم معارضة الفرض لحقائق سبق أن تأكدت أو سبق أن قررها العلم يعد شرطا جوهريا للفرض العلمي لايقل في أهميته عن الشروطالسابقة. وليس معنى ذلك أن البحث العلمى لايحقق بناءا على ذلك تقدما بل إن ما نقصد الإشارة إليه هنا أن الباحث لايتسرع فى الأخذ بفرض ما دون أن يتحقق أولا من مدي اتفاق ماسيترتب عليه من نتائج مع نتائج نظريات علمية بلغت مرحلة من اليقين الذى لايبلغ إليه الشك، فإذا ما تبين له معارضة مابين فروضه وبين حقائق معروفة عليه أن يفحص نتائج أقل الفروض اختلافا مع هذه الحقائق المقررة.

ويعد الفرض العلمى بخصائصه التى ذكرناها الوسيلة الوحيدة (الجسر

والقنطرة) التى يستطيع الباحث من خلالها الانتقال من حالات جزئية تعرف عليها عن طريقة الملاحظة أو التجربة إلي القوانين العامة التى تفسرها هى وغيرها من الحالات المشابهة أو بعبارة أخري يستطيع الباحث من خلالها الانتقال من الحاضر (فمثلا في ملاحظاته لأمثلة أو حالات جزئية راهنة) إلي المستقبل (ممثلا في قوانين تفسرها وتنبأ بمصيرها ومستقبلها). ومن هذا المنطلق يعتمد الباحث فى صياغة فروضه علي الملاحظة والتجربة وعلي قدر كبير من الخيال. غير أن هذا الخيال من نوعية مختلفة عن خيال الشعراء وعامة الناس، أنه نوع من الاستبصار أو الحدس العقلي، حيث يتخيل الباحث بعقله ارتباطات ما بين ظواهر جزئية ومستقلة فيما بينها عسى أن يجد فى هذه الارتباطات ما يفسر الظاهرة موضوع بحثه وليس للباحث فى هذا الصدد حرية مطلقة لأن ينجح بخياله إلى لاحدود كما يفعل الشعراء، بل يتقيد في هذا الخيال بنفس شروط أو خصائص الفرض العلمى فعليه أن يتقيد بالواقع يبدأ به وينتهى إليه، يبدأ بالواقع من خلال ملاحظاته وتجاربه إلي نفس الواقع كمحك أو اختبار لصحة خياله وما يسلم إليه هذا الخيال من فروض وعلى هذا الأساس أيضا يمكن أن نتصور الخيال العلمى كقدرة علي الابتكار وحدة الذهن وأن نتصور الفرض علي أنه شكل مبتكرا أو جديد للربط بين الحقائق. وطبيعي أن تلعب المعرفة السابقة والبحث الدؤب وحرية التفكير أو شجاعة التعبير عن الرأي دورا هاما في دفع خيال الباحث علي نحو يمكنه من وضع فروض كثيرا ما تسهم في إثراء المعرفة لنا في تاريخ العديد من الاكتشافات العلمية التى غيرت من تاريخ البشرية كلها أمثلة وشواهد.

وللفرض كما نوهنا وظيفة حيوية للبحث العلمى فهو نقطة البدء فى كل استدلال ولولاه لما أمكن القيام بأى بحث وما أمكن تحصيل أى معرفة ولولاه أيضا لاصبح العلم والمعرفة مجرد تكدس لملاحظات تجمع أو تدرك بقبيل الصدفة البحتة خاصة وأنه كما أوضحنا يهدف إلي الكشف عن العلاقات الرابطة لظواهر تبدو مستقلة أو المنظمة لأفكار أو حقائق مبعثرة تدور حول هذه الظواهر. ومن ناحية ثانية يمثل الفرض دليلا وموجها للباحث يقود خطاه في

اتجاه محدد هو الكشف عن القوانين المسيطرة علي الظاهرة موضوع البحث. فإذا ما تحقق الفرض وأصبح قانونا كما سنرى فيما بعد - أعان الباحث في الكشف عن حقائق أخري جديدة. ومن ثم يزيد الفرض من إثراء العلم وتقدم المعرفة العلمية حتي أنه ليس من المبالغة في شئ أن ينظر إلي العلم كله علي أنه فرض أوسع نطاقا أو على أنه مجموعة فروض يتحقق صدق بعضها فيتحول قانونا يدعم معرفة سابقة أو يعد لها أو يرفضها وقد يتحقق كذب بعضها لتكون دافعا للبحث عن فروض أخرى جديدة وهكذا تتقدم مسيرة البحث العلمي مابين فرض فروض والتحقق منها علي نحو يؤدى إلي زيادة تراكم المعرفة العلمية.

٣- التحقق من الفروض:

عرفنا أن الفرض عبارة عن حل مؤقت أو تفسير لم يتأكد بعد لمشكلة البحث كذلك لايكون له أى قيمة علمية مالم تثبت صحته ومالم يؤكد لواقع صدقه. من هنا تبدو هذه الخطوة التى تتمثل فى اختبار صحة الفروض أساس المنهج العلمي فالمعرفة العلمية كما رأينا ليست مجرد تكدس لملاحظات كما أنها ليست مجرد تراكم لفروض تطرح دون ما تحقق واختبار.

وكما أن الفرض العلمى يثار في ذهن الباحث من خلال الملاحظة والتجربة فإن تحقيقه أيضا يتم في حدود الواقع من خلال الملاحظة والتجربة وهذا يقتضي من الباحث أن يرى ما إذا كانت فروضه تتفق مع الواقع فيأخذ به أم تتعارض معه فيعد لها أو يعدل عنها لغيرها هكذا.

وتتضح أهمية هذه الخطوة بالنسبة للبحث العلمي إذا ادركنا أن القانون العلمى لم يكن فى البداية سوي فرض تحقق صدقه وأنه فى نفس الوقت لايعدو أن يكون فرضا لم يثبت بعد كذبه وبالمثل فإن الفرض ليس إلا قانونا لم تثبت بعد صحته.

ومن الناحية المنهجية يمكن للباحث أن يتحقق من صدق فروضه أو كذبها بطريقتين أساسيتين:

أما الطريقة الأولي: فتمتاز بأنها مباشرة فيها يلجأ الباحث مباشرة إلي الملاحظة وإجراء التجارب فإن أكدت هذه وتلك ما وضعه من فروض تحول الفرض إلي قانون وإن لم يحدث ذلك وجب عليه الاسراع بتعديلها أو الأخذ بأخرى غيرها.

أما الطريقة الثانية فهى غير مباشرة تعتمد على الاستدلال واستنباط النتائج المترتبة علي الفرض وادراك ما قد يترتب علي الأخذ به من اتفاق أو تعارض مع حقائق سبق التأكد منها أو مع ما يكشف عنه الواقع من حقائق أو ظواهر.

وتعتبر الطرق الاستقرائية أكثر الطرق المستخدمة شيوعا للتحقق من صحة الفروض ويرجع الفضل فى تطويرها إلي فرنسيس بيكون، ثم جاء جون ستيوارت مل فأدخل عليها بعض التعديلات. والذي يعنينا هنا هو أن هذه الطريقة الاستقرائية تنظر إلى الفرض باعتباره علاقة سببية لم تتأكد بعد الظاهرة موضوع البحث وظاهرة أخري تفسرها، ومن ثم تهدف هذه الطريقة إلي التحقق من صدق الفرض بالتحقق من هذه العلاقات السببية بين الظواهر وهي بالتالي تقدم فائدة مزدوجة لأنها من ناحية وسيلة للبرهنة على صحة الفرض وهي من ناحية أخري وسيلة للكشف عن القوانين التى تحكم الظواهر فتساعد على التفسير والتنبؤ فى نفس الوقت.

وتتحدد الطرق الاستقرائية للتحقق من الفروض علي النحو الذي تصوره جون ستيوارت مل في طرق أربعة أساسية هي:

أ- طريقة الاتفاق:

وتعرف باسم التلازم في الوقوع وتستند هذه الطريقة على المبدأ القائل بأن وجود السبب يؤدى إلي وجود النتيجة وبذلك تنحصر مهمة الباحث هنا في المقارنة بين عدد من الظواهر فإذا ما تبين له أن الظاهرة موضوع البحث ترتبط فى وجودها بوجود ظاهرة أو ظرف معين بصفة متكررة أو مستمرة كان له أن يتأكد من أن ثمة علاقة سببية بين الظاهرة موضوع البحث وهذا الظرف أو الظاهرة. فإذا تكرر ارتباط تمدد المعدن بملامسته للحرارة في كل حالة كانت

الحرارة هنا سببا للتمدد وهكذا.

ب- طريقة الاختلاف:

وتعرف باسم التلازم فى التخلف وتستند على نفس المبدأ ولكن بصورة عكسية مؤداها أن عدم وجود السبب أو غيابه يؤدى إلى عدم وجود نتيجة. وهنا أيضا تنحصر مهمة الباحث في المقارنة بين عدد من الظواهر فإذا تبين له أن الظاهرة موضوع البحث لاتوجد كلما اختفت ظاهرة أخري أو ظرف معين استطاع أن يقرر أن ثمة علاقة سببية بين الظاهرتين. والمثال علي ذلك إذا ما تكرر عدم حدوث "التمدد" فى كل الحالات التى لايتعرض فيها المعدن للحرارة كانت الحرارة هنا سببا للتمدد.

جـ- طريقة التغير النسبي:

وتعرف باسم التلازم فى التغير وتستند علي نفس مبدأ السببية ولكن مع افتراض تدرج هذه العلاقة، بمعني أن أى تغير في ظاهرة ما يرتبط به تغيرا مماثلا في ظاهرة أخري. وهكذا تنحصر مهمة الباحث فى المقارنة بين عدة حالات تبدو فيها الظاهرة بدرجات متفاوتة بحيث تنطوى هذه الحالات علي ظرف معين تطرأ عليه تغيرات عددية تتناسب مع التغيرات التى تطرأ علي الظاهرة موضوع البحث فى الوقت الذي تبقى فيه الظواهر الأخرى ثابتة دون تغير.

د- طريقة البواقى:

وهي تستند علي مبدأ معين مؤداه أنه إذا أدت مجموعة من المقدمات إلي مجموعة من النتائج وأمكن إرجاع النتائج في المجموعة الثانية ما عدا نتيجة واحدة إلي جميع المقدمات في المجموعة الأولي ماعدا مقدمة واحدة فمن المرجح أن توجد علاقة بين المقدمة والنتيجة الباقيتين.

٤- التعميم:

تسلم الخطوة السابقة من خطوات المنهج العلمي إلي التأكد من صحة الفرض

الذي تصوره الباحث تفسيرا للظاهرة وحلا لمشكلة البحث. غير أن العلم لايكتفي بتفسير الحالات الجزئية أو الظواهر المفردة في صورة مستقلة بعضها عن البعض، وهنا تبدو أهمية الخطوة الرابعة والأخيرة من خطوات المنهج العلمى. إن موضوع العلم هو الكليات، كما أنه يهدف إلي التنبؤ بالمستقبل بقدر مايهدف إلى تفسير الحاضر. فإذا ماقدر للعلم أن يفسر الظواهر الجزئية الراهنة بالكشف عن ارتباطها أو علاقاتها بعضها ببعض فإنه يستطيع أن ينمي قدرته علي التنبؤ بالوصول إلي القوانين التي تحكم هذه الظواهر والتي توجه أو تحدد علاقاتها وارتباطها. للوصول إلي القانون العلمى أو التعميم يشرع الباحث في الاحتكام إلي عالم الواقع ليس فقط لاختبار صحة فرضه علي حالة واحدة أو ظاهرة بعينها وإنما ليرى مدي مطابقة هذا الفرض وصدقه علي حالات أخري أو ظواهر مشابهة فإذا ماتبين للباحث صدق الفرض القائل بأن الحديد يتمدد بالحرارة عليه أن يختبر مدى صدق الفرض القائل بأن الحديد يتمدد بالحرارة عليه أن يختبر مدى صدق هذا الفرض علي معادن أخري غير الحديد ليتوصل فى النهاية إلي القانون الذي يقرر أن كل معدن يتمدد بالحرارة. والمتعمق لهذا القانون يجد فيه تفسيرا لظواهر راهنة كالحديد فى مثالنا، وتنبؤاً لظواهر أخرى كمعادن لم تكتشف بعد طالما أنها تتمثل خصائص المعدن. والقانون العلمي فوق هذا كله - التفسير والتنبؤ - يحقق الهدف الأول وهو تحقيق السيطرة على الطبيعة. وعند هذا الحد يمكن القول بأن درجة تقدم أى علم من العلوم تقاس بما يستطيع التوصل إليه من قوانين عامة يربط بها بين الظواهر والحقائق المرتبطة بها فى إطار أكثر عمومية وتجريدا.

القوانين العلمية إذن هى الصيغة النهائية التى تضم عدد كبير من الظواهر والحقائق والأفكار والمعارف المرتبطة بها، وهى فى نفس الوقت وسيلة تمكن الباحث من التفسير والتنبؤ بل واكتشاف حقائق وعلاقات جديدة. والقانون من الناحية المنهجية صيغة تعبر عن علاقة سببية بين الظواهر أو علي الأقل تعبر عن علاقة وظيفية ثابتة بينها.

الفصل الثالث
رواد استخدام منهج البحث الاجتماعي

أولا: العوامل التى دعت لوجود منهج البحث الاجتماعي.

ثانيا: بداية وتطور استخدام المنهج في البحث الاجتماعي.

تمهيد:

تحاول فى الفصل الحالي النظر إلى دراسة المجتمع أو البحث الاجتماعى باعتبارها توصل إلي نوع من المعرفة العلمية المتخصصة حول جانب محدد من جوانب الواقع أو العالم المحيط بنا ونعنى جانب الواقع الاجتماعي، وإذا كنا سنهتم بتوضيح الأساليب والوسائل التى تعين كل من يهتم بمثل هذه الدراسة من حيث المناهج والطرق وغيرها، فإننا سنمهد الحديث فى هذا الفصل وقبل الدخول فى تفاصيل هذه الأنواع من المناهج والطرق التى تفيد أكثر من غيرها في الوصول إلي هذا النوع الخاص من المعرفة العلمية حول المجتمع، بالحديث عن جذور أو أصول أو العوامل التى دعت إلي وجود منهج للبحث الاجتماعي، ثم بداية وتطور استخدام المنهج في البحث الاجتماعي ذلك لأن معرفة هذه المناهج والطرق المتداوله حاليا فى دراسة المجتمع والبحث الاجتماعي تتوقف على معرفة وضعها فى الماضي كما تساعد بالتالي في ادراك الفروق والاختلافات القائمة بينها الآن فى دراسة المجتمع، ومن ثم تجنب كل لبس أو اختلاط أو تداخل في محاولة فهم تلك المناهج والطرق المستخدمة الآن فى دراسة المجتمع.

أولاً: العوامل التى دعت لوجود منهج البحث الاجتماعى:

الواقع أن دراسة العوامل التي دعت لوجود منهج في دراسة المجتمع أو البحث الاجتماعى تقتضي بالضرورة دراسة ومناقشة العوامل والأسباب أو الأصول والجذور التي أدت إلي وجود علم يستخدم هذا المنهج في دراسة المجتمع. ذلك أن وجود هذا المنهج لم يكن منفصلا عن وجود العلم الذي يستخدمه في الدراسة. وإذا كان بالإمكان القول عموما أن ظهور علم لدراسة المجتمع يمكن رده إلي بداية القرن لتاسع عشر في أوربا نتيجة لعدة عوامل أو ظروف من أهمها سيادة فكرة العقلانية أو التفكير العقلانى الذي يعتمد على العقل وسيطرتها على كل الوان المعرفة والتفكير وأيضا حدوث الثورات الصناعية والسياسية التى أثرت إلي حد كبير فى التغير السريع والجذرى

للمجتمع الأوربي، فإنه يمكن القول أيضا أنه إذا كانت هذه هى الأسباب التى أدت إلي ظهور فكرة علم المجتمع، فإن النظر إلي ماتنطوى عليه هذه الفكرة من مضامين قد يساعدنا فى الوصول إلي الأسباب والعوامل التي دعت إلي وجود منهج متميز لدراسة المجتمع. فالواقع أن فكرة علم المجتمع تنطوي على ثلاثة أشياء، الأولي أن هناك وحدة يطلق عليها جمع تختلف كلية عن مجموع الأفراد الذين يكونونها (وهي فكرة لم يسبق أن عولجت بنفس طريقة دوركايم فى كتابة قواعد المنهج فى علم الاجتماع في ١٨٩٥، ولكنها متضمنة في فكرة علم المجتمع)، والثانية، أن العمليات والتغيرات التى تحدث في المجتمع ليست معروفة، والثالثة أنه يمكن فهم المجتمع من خلال مناهج العلم. وبناء على ذلك يمكن حصر العوامل التي أدت إلي ظهور المنهج فى دراسة المجتمع فيما يلي.

١- ظهور فكرة المجتمع ذاتها:

فلماذا كان الناس يعتقدون فى تلك الوحدة التى تعتبر أكثر من مجرد مجموع أفرادها؟ لقد عتقت الثورات السياسية والصناعية فى ذلك الوقت وأيضا أطلقت حرية الفرد من روابطه التقليدية والتزاماته. وهنا قد يتوقع المرء لذلك ظهور علم للأفراد، أو علم نفس، بدلا من ظهور علم المجتمع. ولكن علي أية حال أن كلا الثورتين حررتا الفرد إلا أنه كان من نتيجتها أن ظهر ما يعرف باسم مجتمع الجماهير.

فلقد جمعت الثورة الصناعية الناس في المصانع وفي مساكن مصطنعة ومنعزلة وفصلت العمال عن الطبقات الأخرى بطريقة تختلف جذريا عن انفصالهم السابق عن الطبقات فى المجتمع الاقطاعى. واعتبرت الثورة الفرنسية كل الناس مواطنين فى الأمة، متساويين أما القانون أكثر مما ميزت بين الأفراد على ضوء الدين أو خلفياتهم الاجتماعية (وميزت الثورة بالطبع بالعنف بين الارستقراطيين وبين غيرهم وأصبح الجميع متساويين اسميا).

ومن الضرورى أن نتعمق الأمر أكثر ونجيب على هذه الأسئلة بتفصيل أكثر

ذلك أنه يمكن تتبع الفكرة القائلة بوجود وحدة يطلق عليها المجتمع حيث التمييز بين الدولة والمجتمع والذي ظهر في الفكر الفلسفي الالمانى إذا كان ينظر إلي الدولة فى فلسفة العصور الوسطي الالمانية على أنها مصدر للسلطة التى تجسدت فى شخص الملك ثم أدخل مفهوم المجتمع في الأصل على أنه مصطلح فنى يفسر ويبرر محاولات مواطنى الطبقة الوسطى تأكيد حقوقهم لدى الملك ويرجع الفضل في تصور الفصل بين ماهو اجتماعى وما هو سياسى الذي ظهر فى تيار الفكر الأوربي إلي هوبز ولوك من فلاسفة العقد الاجتماعى. وهؤلاء الفلاسفة الذين أداروا الحوار والجدل حول حقوق الشعب في طاعة أو عدم طاعة الحكومات وفي أثناء هذا الحوار ميزوا بين العالمين السياسي والاجتماعي إذا اعتبر هذا المجتمع السياسي بمثابة اتحاد بين الناس وليس علي أنه نموذج معين للحكومة واعتقد لوك أنه بإمكان الناس أن يثوروا على الحكومة من أجل المحافظة على المجتمع.

ولقد أطلق (مانويل) علي عملية الفصل بين ماهو اجتماعى وما هو سياسي التي وجدت تأثيدا لدي الناس، اسم أفكار رسل أو نبؤات باريس واعتني هؤلاء الفلاسفة ومن بينهم وأكثرهم شهرة أوجست كومت A. Comte هم أنفسهم بالعالم الاجتماعى دون العالم الساسي. وكانت أسبابهم فى هذا الاهتمام متمثلة في التغيرات السريعة التي حدثت فى السياسة التى يبدوا أنها عديمة الصلة بالتغيرات البطيئة في المجتمع.

وقد يفسر التمييز بين العوامل الاجتماعية والسياسية الاهتمام بالمجتمع أكثر من الاهتمام بالسياسة فى فكر اليوم ولكنه لايفسر لماذا كان يفهم المجتمع علي ضوء الجماعات أكثر منه علي ضوء الأفراد. ولذلك كنا في حاجة إلي النظر إلي نتائج عملية تصنيع أوربا وإلي نتائج الثورة الفرنسية. لقد أوجدت عمليات التصنيع مدنا مغايرة تماما للمدن القديمة بمثل ماكانت تلك المدن القديمة مختلفة عن القرى السابقة عليها. وهذه المدن جمعت معا عددا كبيرا من الناس وكان الناس علي خلاف ماكان الموقف في المدن والقرى السابقة يعرفون كأفراد

ينتمون إلى طبقة وفى المدينة كانوا يعرفون فقط على ضوء الطبقة إذا كانوا ينظر إليهم كجماعة أكثر منهم كأفراد ينتمون إلي جماعة فلعامل المصنع تصور مختلف عن العامل فى الزراعة. وفهم الجماعات التى تعمل كجماعات فيه تأكيد للطابع الجمعي للمجتمع أكثر من تأكيد طبيعة الأفراد فى المجتمع. ولاينطوى ذلك أو يدل علي أنه ليس هناك نظريات سيكولوجية للمجتمع التي تتناول أو توضح طبيعة الإنسان العدوانية أو طبيعته العقلانية. فلاتزال توجد هذه النظريات ولكن كان هنا الميل إلي النظر إلي المجتمع علي أنه يتكون من جماعات أكثر من أفراد والتى تلقت تدعيما فكريا من جانب تحليل ماركس للتاريخ فلقد طرحت التغيرات فى السياسة مثل التغيرات في المجتمع جانبا فردية الناس أو الأفراد إذ كانت النتائج التحريرية للمساواة الجديدة تجد استحسانا كبيرا وموافقة. ولكن القليل من المفكرين، ومنهم دي توكفيل على وجه الخصوص ادركوا النتائج السطحية للديمقراطية وميلها الممكن نحو المتوسط أو الاعتدال وظلم الجماهير وكان من نتيجة هذه التغيرات الاجتماعية والسياسية تصور المجتمع باعتبار تجمع من الجماعات أكثر من تجمع أفراد.

٢- الجهل بعمليات التغير في المجتمع:

ولماذا اعتقد المفكرين أنهم لايفهمون عمليات المجتمع؟

والإجابة المختصرة هى أن العالم الاجتماعى تغير جذريا في هذا الوقت لدرجة أن الفهم القديم لم يعد له فائدة وتغير أيضا العالم السياسي جذريا بالثورة الفرنسية وكانت أهمية علم المجتمع بالنسبة للثورة جعل الناس يعتقدون أنهم يستطيعون السيطرة علي عالمهم وأن هذا العالم ليس ثابتا وغير قابل للتغير بفعل التقاليد. والسيطرة على ذلك العالم كان من الواجب عليهم فهم هذا العالم أولا: ونتيجة ومن أجل هذا الفهم تحولوا إلي العلم.

فلقد أدت هذه التغيرات الاجتماعية والسياسية نفسها بالناس إلي ادراك أنهم لايفهمون العالم الاجتماعى المحيط بهم. فالتغير كان سريعا وجذريا أو ثوريا. ولم تعد موجهات السلوك الاجتماعى التى كانت تناسب قرونا معينة

والنظم التي كانت تنظم السلوك والتى كان لها فعاليتها لقرون أخرى لم تعد قادرة علي مواجهة المجتمع الجديد الذى ترتب على الثورات السياسية والصناعية وأصبح العالم الاجتماعي نطاقا أو مجالا مجهولا تفشل في ادراك معناه تلك الأفكار القديمة. وبإمكاننا أن نقدر مقدار أو حجم هذا التغير عندما يكون من الممكن ادراك أنه كان هناك فقط ثورتين اقتصاديتين رئيسيتين في تاريخ الإنسان. كانت الأولى هى الثورة الزراعية غير الإنسان من طريقته في الحياة التي كانت تعتمد علي الترحال والصيد إلي طريقة أخري تعتمد علي الاستقرار وكانت الثورة الثانية هى الثورة الصناعية عندما تغير الإنسان من الحياة الريفية إلي الحياة الحضرية.

ولقد تكونت المراكز الحضرية قبل حدوث الثورة الصناعية ولكنها كانت مراكز صغيرة وقليلة وكانت المدن الصناعية الجديدة أكبر وكان هناك عدد كبير منها. ونمت طريقة جديدة فى الحياة الاجتماعية طورت معها أنماط جديدة فى السلوك لم يكن من الممكن فهمها فى ضوء الأفكار القديمة. وتمثل الطبقات العاملة التي وجدت فى تلك الفترة جانبا من جوانب الوجود الاجتماعى غير المعروف أو المجهول. وكانت الطبقات الوسطي التى ظهرت فى تلك الفترة بعيدة عن الفهم الشائع حول الإنسان البدائي ... وهكذا.

٣- الاعتماد على العلم فى فهم ودراسة المجتمع:

ولماذا اتجه مفكري هذه الايام نحو العلم من أجل فهم والتنبؤ بالعالم الاجتماعي الجديد؟

والإجابة على ذلك هي أن الثورات الصناعية والسياسية قد ازالت أو قضت على السلطة التقليدية وهكذا كان على الناس أن تسعى نحو سلطة جديدة ووجدوا هذه السلطة فى النزعة العقلانية لعلم والتي قد نجحت أو حققت نجاح فى التنبؤ بالأحداث في العالم الطبيعى ومن ثم حاولوا إقامة علم لفهم المجتمع. ولقد طور المفكرون من أجل فهم تلك الجوانب أو غير المعروفة (المجتمع) ولتنظيم سير التغير طوروا سلسلة من المفهومات ظلت إلي اليوم هي المفاهيم

الأساسية في علم المجتمع مثل المجتمع المحلي، السلطة، الطبقة، المقدس، العقلانية، الاغتراب، الانومى Anomie وكانت هذه المناهج تتسم بالنزعة المحافظة بالنظر إليها من الناحية الفلسفية لأنها كانت تحاول أن تحد النظام في التغير والنظام أمر محافظ فى مضامينه.

وهذا البحث عن النظام كان يرتبط بفكرة علم المجتمع كعلم - العلم الذي يبحث عن الأنماط المتكررة والانتظام والنظام لدرجة يمكن معها صياغة التنبؤات إذ يقوم العلم على سلسلة الأنماط المتكررة فى الطبيعة إذا أثرت في الأمس فإنها سوف تؤثر فى غدا. وعلي أية حال بالرغم من أن المفهومات كانت مفهومات النظام إلا أنها كانت مفهومات فنية فى تصورها أكثر منها مفهومات علمية. ولم يكن علماء الاجتماع المبكرين يتعاملون مع مشاكل منظمة ونهائية أمامهم. ولم يكونوا من المهتمين بحل المشاكل بالمرة وإنما كان كل واحد منهم بحدسه العميق وإدراكه التخيلى الواسع يستجيب للعلم المحيط به حتي كما يستجيب الفنان وأيضا علي غراره، يحدد الموضوع داخليا وبطريقة واعية جزئيا فى ذهنه أو عقله. وهكذا لم تكن فكرة علم الاجتماع كعلم للمجتمع بالمرة متضمنة في مفهومات، ولقد حال هذا دون ادعاء علم الاجتماع بأن يكون علما، وأن كانت مفاهيم العلم الطبيعي هى بالمثل مفاهيم فنية ادراكها للعالم. فالعلم هو منهج التحقق من صدق هذه المفاهيم وليس هو المفاهيم ذاتها فمتي أذن اشتقت فكرة علم الاجتماع كعلم؟ الواقع أنها اشتقت من أفكار العقد الاجتماعي للإنسان الرشيد أو المعقول الذي يتخذ القرارات ويصل إليها على أساس رشيد وهكذا كانت فكرة الرشد أو المعقولية أخت العلم وجاءت أيضا عن نجاح العلوم التطبيقية وهكذا نظر إلي العلوم الطبيعية علي أنها نموذج للتفكير الدقيق والتنبؤ الناجح الذي يجب تقليده أو اتباعه.

وكان العنصر الآخر في تبنى فكرة العلم راجعا إلي انهيار القيم القديمة والتفسيرات فلم يعد يمد علم اللاهوت بعد الاصلاح الناس بقواعدهم في المعيشة والحياة ولم تعد الإنسانيات، كطريقة فى اشتقاق القواعد للمجتمع من

كتابات القدماء تسمح بالتطبيق فى المجتمع الذي قد تغير جذريا من الناحية الاجتماعية والسياسية. والبديل الوحيد الذي تبقي هو الأسلوب العلمى فى التفكير ولكن استخدام المنهج العلمى يتضمن تناول أو النظر إلي الناس كأشياء، كموضوعات، كمتغيرات في التجربة فكيف كان من الممكن الأخذ بهذه النظرة؟

ويمكن الإجابة على هذا السؤال مرة ثانية في نمو المدينة الصناعية تلك المدن الصناعية التى تعالج بالفعل الناس باعتبارهم أشياء فكانوا يطلقون عليهم اسم السواعد أو أيدى المصنع كما لو كان المهم فيهم هم سواعدهم هذه وكان ينظر إلي الطبقات العاملة على أنهم طبقات دنيا وهكذا أمكن النظر إليهم وتناولهم كأشياء.

والواقع أن نتائج معاملة الناس بطريقة بعيدة تماما عن الإنسان اليوم وفى أيامنا هذه نتائج واضحة أيضا فكانت ألمانيا في أيام هتلر وأوربا في القرن التاسع عشر قادرة علي التعامل مع الشعب باعتبارهم أهداف أو موضوعات. وكانت المدن أيضا تعنى علاقات جديدة بين الناس إذا يقابل الناس في المدينة فئات غيرهم يوميا كثيرة - ولم يكن من الممكن تناول كل هؤلاء كأفراد. ويصدق هذا بين أفراد الطبقة الوسطى أنفسهم، كما ينطبق على أفراد الطبقة العمالية إذ جمعت المدينة الصناعية عدد كبير من أبناء الطبقة الوسطي معا والذين لايدخلون في علاقات شخصية مع كل زملاؤهم كما كان الحال معهم فى المدن الصغيرة سلفا. وأدي هذا إلي انفصالهم بعضهم عن بعض ولقد شجع هذا علي تعاملهم أو تناولهم كموضوعات أو أشياء.

ولقد تجسدت كل هذه العناصر في الفلسفة عند كومت في قوله إن الطريقة التي حققت نجاح في الرياضيات، والفلك، والطبيعة والكيمياء، وعلم الحياه يجب أن تسود في السياسة وتكون أساس في إنشاء العلم الوضعى للمجتمع الذي يسمى علم الاجتماع.

كما وجدت نفس الفكرة صدي في كتابات عدد آخر من علماء الاجتماع فى تلك الفترة من أهمهم كارل ماركس ثم أميل دور كايم فيما بعد ولذلك سنحاول

فيما يلي تتبع بداية وتطور استخدام المنهج. فى دراسة المجتمع من خلال فكر هؤلاء العلماء.

ثانيا: بداية وتطور استخدام المنهج في دراسة المجتمع:

ولما كانت بداية استخدام المنهج في دراسة المنهج ترد إلي بداية ظهور علم المجتمع ونشأته، وكانت هذه النشأة موضوع خلاف ونزاع بين الكتاب والباحثين يحاول فيه كل واحد منهم جاهدا أن يرجع فضل نشأة هذا العلم إلي الأمة أو القومية التى ينتمي إليها حتى تحظى بلاده بشرف تأسيس هذا العلم وذلك من خلال إرجاع هذا الفضل إلي واحد من العلماء الذين ينتمون إلي أمته أو قوميته كان يرجع بعضهم فضل نشأة هذا العلم إلي العلامة الايطالي فيكو أو يجعل بعضهم الآخر العلامة البلجيكي كنيايه أول من أنشأ علم المجتمع، أن يذهب بعض ثالث إلي القول بأن العلامة الفرنسي أوجست كومت يرجع إليه الفضل في إنشاء علم الاجتماع أو أن يؤكد فريق رابع علي أن العلامة العربي عبدالرحمن ابن خلدون الذى ظهر قبل هؤلاء جميعا بعدة قرون يرجع إليه الفضل الأول في نشأة العلم أو كما يشير فريق أخير من الباحثين إلي أن كارل ماركس هو الذى يرجع إليه فضل إقامة علم المجتمع على أساس علمى حقيقي. وكان هذا الخلاف يؤدى إلي التخبط واللبس فى تحديد بداية استخدام المنهج العلمى رأينا أنه حلا لهذا الخلاف أن نوضح بداية استخدام المنهج فى دراسة المجتمع من خلال فكر ثلاثة من أشهر هؤلاء العلماء - وهم خاصة ابن خلدون وأوجست كومت وكارل ماركس وأن نتتبع التطور في استخدام هذا المنهج من خلال فكرة عالم الاجتماع الشهير أيضا أميل دوركايم وذلك على النحو التالي:

٢- تطور استخدام المنهج في دراسة المجتمع عند أميل دوركايم:

كان دوركايم يعتبر علم الاجتماع علما مستقرا إلي حد ما كما أنه يتميز بموضوع خاص ومن ثم وجب أن يكون له منهجه في دراسة هذا الموضوع وقد رأي دور كايم أن المنهج الاستقرائي هو المنهج الذى يناسب موضوع علم

الاجتماع، مادام عالم الاجتماع يحاول أن يتشبه بالعلوم التجريبية. وقد قسم دوركايم هذا المنهج إلي عدة قواعد خاصة بملاحظة الظواهر الاجتماعية والمقارنة، وأخرى خاصة بالتفرقة بين الظواهر السلبية والمعتلة، وثالثة خاصة بتقسيم الظواهر الاجتماعية.

قواعد ملاحظة الظواهر الاجتماعية:

(أ) يجب علي الباحث أن يلاحظ الظواهر الاجتماعية علي أنها أشياء، فإن هذه الظواهر الاجتماعية توجد خارج شعور الفرد وهي مخالفة لحالات الفرد النفسية التي توجد داخل هذا الشعور. ومن ثم رأى دوركايم أن يبتعد الباحث عن المعاني العامة التي يتداولها الناس بصدد أى ظاهرة اجتماعية. لأن هذه المعانى العامة تبعد الباحث من الطريقة العلمية ولذلك فهى لاتعبر تعبيرا صادقا عن حقيقة هذه الظواهر وقد عاب دوركايم وسبنسر وعلماء الاقتصاد والاخلاقيين اتباعهم لطريقة التحليل والتركيب بصفة عامة ولكن في الحقيقة أن استخدام التحليل والتركيب هما مظهران للتفكير لايمكن التحرر منهما في أثناء البحث بحال من الأحوال لأنهما ضروريان لفهم وتفسير النتائج التي تؤدى إلي الملاحظة والاحصاء.

(ب) يجب على الباحث فى دراسته للظواهر الاجتماعية أن يتحرر من كل فكرة سابقة، ويعنى هذا أن دوركايم أغفل مرحلة الفروض وهو هنا كان متأثرا بكونت فى هذه المسألة ولذلك فقد أعتقد دوركايم أنه يمكن الانتقال من الملاحظة والمقارنة مباشرة إلي القانون مرة واحدة.

(جـ) يجب أن ينحصر موضوع البحث في طائفة من الظواهر تختص وتشترك فيما بينهما ببعض الخواص الخارجية ومن ثم رأى دور كايم أن البحث يجب أن يذهب على جميع الظواهر التى يتوفر بها هذا الشرط.

ومثال ذلك: أننا نلاحظ وجود طائفة من الأفعال التي يثير وقوعها لدي المجتمع رد فعل خاص يسمى العقاب. ولذلك نحن ندخل هذه الأفعال في طائفة مستقلة ونطلق عليها اسما مشتركا وليكن (الجريمة) ويطلق هذا الاسم

على كل فعل يجلب العقاب على مرتكبه ثم نجعل الجريمة التى عرفناها علي هذا النحو موضوعا مستقلا وهو علم الجرائم.

(د) يجب علي الباحث في المسائل الاجتماعية أن يجرد ادراكاته الحسية من كل عنصر شخصي متغير. ويمكنه أن يحقق ذلك إذا لاحظ الظاهرة الاجتماعية مجردة عن الصور التى تتشكل بها في شعور الأفراد. أى ملاحظة الظواهر الاجتماعية مستقلة عن مظاهرها الفردية وقد وضع دوركايم لهذه الظواهر مثل الاخلاق - القانون - الظواهر الاقتصادية.

وقد رأى دور كايم فى هذا الصدد أن دراسة الدين مثلا يجب أن يبتعد عن تجارب الباحث الشخصية وقد تعرض دوركايم للنقد فى هذه الناحية لأن ملاحظة الظاهرة الاجتماعية ليست من السهولة بمكان بحيث يمكن أن تقف على قدم وساق مع الظاهرة الطبيعية لأن الظاهرة الاجتماعية هي أولا وأخيرا جذر جوهرى فى شعور كل فرد ومن ثم لا يمكن الفصل بين الظاهرة الاجتماعية والظاهرة النفسية كما رأى دور كايم لأن الفرد من العسير أن يفهم الظاهرة الاجتماعية إلا إذا قاسها بشعوره الشخصي ومن ثم فإذا كانت الملاحظة الموضوعية ضرورية في منهج علم الاجتماع فإنها ليست الطريقة الوحيدة.

قاعدة المقارنة بين الظواهر الاجتماعية (التغير النسبي):

رأى دور كايم أن طبيعة الظواهر الاجتماعية لاتسمح بإجراء التجارب الحقيقية وعندما رأى أن طريقتي الانفاق والاختلاف تعتمدان علي فرض أساسى، وهو أن جميع الحالات التى تقارن بينها تختلف أو تتفق في جميع الظروف ماعدا ظرفا واحدا خرج بأن تحقيق هذا الشرط عسير فى علم الاجتماع كعلم ناشئ كما أن طريقة البواقى في نظره غير صالحة إلا للعلوم التجريبية التي قطعت شوطا كبيرا فى تقدمها وطريقة البواقى هى أن يستبعد الباحث جميع الأسباب الممكنه التى قد تفسر ظاهرة ما ليستبقى منه واحدا يكون السبب الحقيقى في وجودها وهذه الطريقة لاتناسب طبيعة الظواهر الاجتماعية

المعقدة إلي حد كبير كل هذا دفع دوركايم باللجوء إلي طريقة استقرائية واحدة وهي طريقة التغير النسبي وهو يعدها أفضل الطرق لما يأتي:

أ- عن طريقها يمكن الباحث أن يقارن بين التغيرات التى تطرأ على ظاهرتين بصورة متطردة لكي يحكم بوجود علاقة بينهما.

ب- هذه الطريقة توقفنا علي وجود صلة وثيقة بين الظاهرتين لأن تصور كل منهما راجع إلي طبيعة صفاتها الذاتية.

جـ- لأنه لايمكن استخدام الطرق الاستقرائية الأخري إلا إذا كان عند الحالات التى تقارن بينها كبير جدا. بعكس طريقة التغير النسبي فيكفى لعالم الاجتماع أن يلاحظ أن ظاهرتين تتغيران تغيرا نسبيا في عدة حالات لكي يجزم بأنه يوجد أمام أحد القوانين الاجتماعية.

وقد انتقد دوركايم فى وجهة نظره عن طريقة التغير النسبى، من ناحية اكتفاء، بالمقارنة بين ظاهرتين تتطوران على نمط واحد، وفي آن واحد،، ثم يحكم بوجود علاقة سببية بينهما بناء علي ذلك فهذه الطريقة تؤدي إلى التعميم السريع ونعتمد على ملاحظات قليلة فقد قال بوجود صلة ضرورية بين الميل إلي الانتحار وتدهور العقائد الدينية وزيادة تقسيم العمل وزيادة عدد السكان بناء على نظرته السابقة ومن أهم أوجه النقد التى وجهت إلى هذه الطريقة أن الظواهر الاجتماعية لاتتطور مثني وإنما هى متشابكة ومتداخلة بحيث إذا أمكن تحديد تغير نسبى بين ظاهرتين أمكن فى الوقت نفسه تحديد تغير نسبى بين كل منهما وبين عدد لاحصر له من الظواهر الاجتماعية التى تقترن معها فى الوجود فيمكن أن يكون هناك تلازم في التغير بين زيادة عدد السكان بين ظاهرة أخري غير تقسيم العمل كالهجرة، والبطالة، والجريمة،...الخ.

القواعد الخاصة بالتفرقة بين الظاهرة السليمة والظاهرة المعتلة:

وضع دركايم ثلاث قواعد لتفرقة بين الظاهرة السليمة والظاهرة المعتلة ويراد

بالظاهرة السليمة أن تكون الظاهرة عامة وترتبط بالشروط الأساسية للحياة الاجتماعية بمعنى أن توجد فى سائر المجتمعات الشبيهة بالمجتمع الذي تدرسها فيه ويكون وجودها في هذه المجتمعات كلها في مرحلة من مراحل تطورها. ولكن رأى دوركايم من جهة أخري أن عمومية الظاهرة في حد ذاته لايكفي أن تكون سليمة ولكن يجب أن يكون ذلك تحت شروط معينة وهى أن ترتبط بالشروط الأساسية للحياة الاجتماعية وإلا أصبحت من الرواسب الاجتماعية التى تستمر فى الوجود بحكم العادة وحدها وقد دلل دور كايم ذلك بظاهرة الجريمة فالجريمة على الرغم من شذوذها إلا أنها ترتبط بشروط الحياة الاجتماعية فهى موجودة في كل المجتمعات على اختلاف أنواعها كما أنه يدلل من ناحية أخري على أن الجريمة ظاهرة سليمة بشرط عدم تجاوزها حدا معلوما.

فى أنها: لايمكن القضاد عليها تماما إلا إذا أمحت الفروق الخلقية والاجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد وهذا أمر مستحيل تحقيقه.

ومن أهم قواعد التفرقة بين الظاهرة السليمة والمعتلة:

أ- تعد الظاهرة سليمة إذا تحقق وجودها في أغلب المجتمعات المتحدة مع مجتمع الدراسة في النوع وإذا لوحظت هذه المجتمعات في نفس المرحلة المقابلة في أثناء تطورها هي الأخري.

ب- إن عمومية الظاهرة فى نموذج اجتماعي معين يقوم على أساس الشروط الأساسية العامة للحياة الاجتماعية في هذا النموذج نفسه.

جـ- وهذا التحقق ضروري إذا وجدت هذه الظاهرة في بعض أنواع المجتمعات التى لم تنته بعد من جميع مراحل تطورها.

قواعد تفسير الظواهر الاجتماعية

كان الباحثون قبل دوركايم يفسرون الظواهر الاجتماعية عن طريق تحديد الخدمات التى تؤديها وتبيان الوظيفة التى تقوم بها ولقد عاب دور كايم هذه الطريقة لأنها بنيت على الخلط بين مسألتين مختلفتين كلية؟ فإن بيان الفائدة

التى تعود بها الظاهرة علي المجتمع ليس تفسيرا لنشأتها أو شرا لكيفية وجودها فى حالتها الراهنة لأن الخدمات التى تؤديها الظاهرة ليست سببا في وجودها ولكنها نتيجة طبيعية تترتب على صفاتها النوعية ولذلك رأى دوركايم أن تفسير الظواهر الاجتماعية يجب أن يكون عن طريق:

أ- البحث عن السبب الفعال الذي يدعو إلي وجود هذه الظاهرة والوظيفة التى تؤديها كل علي حدة:

وقد كان دوركايم يفصل فصلا تاما بين الظواهر النفسية الفردية والظواهر الاجتماعية ومن ثم رأى وجوب التحرر من تفسير نشأة الظواهر الاجتماعية ببعض العواطف والآراء الفردية لأى من ناحية أخري أن تفسر الظواهر الاجتماعية بظواهر اجتماعية مثلها.

ب- يجب البحث عن السبب فى إحدي الظواهر الاجتماعية بين الظواهر الاجتماعية التي تسبقها لابين الحالات النفسية التى تمر بشعور الفرد:

وقد بنى دوركايم هذه القاعدة الثانية بناء على تفرقته الحاسمة بين الفرد والمجتمع وهذا ما لايسلم به علماء الاجتماع الآن وأنه أعتقد أو تخيل أن علم الاجتماع قد انتهى إلي مرحلة التفسير مع أنه مازال حتي الآن عالما وصفيا وجزئيا لأن التفسير يكون بالكشف عن القوانين وتطبيقها على الحالات الخاصة التي هدانا إليها وأن علم الاجتماع سيصبح علما نفسيا عندما يسلم الناس فيه ببعض الفروض التى يمكن التحقق من صدقها.

الفصل الرابع
مداخل دراسة المجتمع وتوجيه البحث الاجتماعى

أولا: مدخل دراسة الدور

ثانيا: مدخل دراسة المجتمع المحلى.

ثالثا: المدخل الأيكولوجى.

تمهيد:

يقدم الفصل الحالي تحليلا مفصلا لثلاثة من أهم المداخل في دراسة المجتمع أو البحث الإجتماعي في مقدمتها مدخل تحليل الدور، ثم مدخل دراسة المجتمع المحلي، ثم المدخل الأيكولوجي.

ولقد كان حرصنا علي تناول مثل هذه المداخل بالتحليل ومثل الدخول في تفاصيل أنواع المنهاج والطرق وأدوات جمع البيانات في البحث الإجتماعي. قائم علي إعتقادنا في أن إستيعاب مناهج البحث الإجتماعي، والقدرة علي الإنتقاء من بينها المنهج المناسب والطرق والأداة لموضوع البحث الذي تجريه.. كل هذه الأمور وغيرها لن يتحقق لنا مسحها والسير بفضلها في طريق سوف يخدغ بحثنا الإجتماعي. إلا من خلال الإستعانة بالصياغات النظرية، والمداخل التي تمهد الطريق أمامنا نحو هذا الهدف.

فالمدخل بإعتباره واحد من أهم الصياغات النظرية، وبالنظر اليه علي أنه أداة تصورية وتحليلية، وأن كان يفيدنا في تحديد طبيعة البيانات التي يتعين علينا جمعها، فإنه يعيننا بلاشك في التعرف علي الأداة المناسبة لجمع مثل هذه البيانات ويهدينا قبل ذلك الي الطريقة الملائمة منها في البحث، ويصوب بصرنا ويتجه بنا قبل الطريقة والأداة الي المنهج المثمر واللازم لوضع إستراتيجية البحث وصياغة الخطة العامة التي سنعالج في ضوئها هذه البيانات.

إذ يضم مدخل تحليل الدور مجموعة تصورات مثل السلوك الدور، والدور المقابل وصراع الدور وموقف الدور والدور المركزة وغيرها وهي تصورات تسهم من ناحية في تحديد طبيعة البيانات التي يتعين علينا جمعها. وبالتالي تتضح الأداة المناسبة معها، ومصدرها ومن ثم طريقة تناولها، ويعين بعد ذلك مستوي تحليلها وهكذا.

كما يضم مدخل تحليل المجتمع المحلي مجموعة تصورات، التفاعل والجماعة والقوة، والنسق، والثقافة وغيرها، وهي تصورات تسهم من ناحية في

تحديد طبيعة البيانات التي ينبغي علي الباحث جمعها، وبالتالي توضح الأداة المناسبة لها، ويصدرها، ومن ثم طريقة تناولها وتعين فيما بعد مستوي تحليلها وهكذا.

وينطوي المدخل الإيكولوجي علي مجموعة تصورات هي التوزيع المكاني والتمايز المكاني للسكان، والثقافة، والإنحراف والجريمة أوغيرها وإن كانت لهذه التصورات الفضل في تحديد طبيعة البيانات التي لابد من جمعها في البحث، فإنها تشير بالتالي إلي الأداة الملائمة معها، وإلي مصدرها، ومن ثم إلي طريقة تناولها ومستوي تحليلها وهكذا..

فالواقع أن دراسة مداخل تحليل الدور، وتحليل المجتمع المحلي والمدخل الأيكولوجي وغيرها من مداخل ينطوي عليها التراث النظري في علم الإجتماع، تفيد الباحث وتساعده علي حسم تردده في مجال اختياره بين واحد من المناهج أو الطرق أو أدوات جمع البيانات في البحث الإجتماعي. ففي الوقت الذي يستقر فيه علي موضوع محدد للبحث، ما عليه إلا أن يحدد المدخل الملائم لدراسته، وحتي يتضح له في ضوء هذا المدخل المنهج والطريقة والأداة التي عليه أن يعتمد عليها في إجراء هذا البحث.

ولذلك كله، يدور حديثنا في الفصل الحالي حول هذه المداخل المتعددة في البحث الإجتماعي، وإمكانية الإعتماد عليها في تحديد منهج وطريقة وأداة البحث.

مدخل تحليل الدور

Role Analysis Approach

تعريف تحليل الدور:

يهتم تحليل الدور بآثار البناءات الإجتماعية القائمة بالفعل، وآثار علاقات الدور المصاحبة لهذه البناءات، علي سلوك المشاركين فيها. وإذا كانت الحياة الإجتماعية لا تدور في فراغ، بل تعكس خصائص أوضاعها الفيريقية والمادية، فإنها تتأثر في الوقت ذاته بالتوقعات التي يطورها الناس بصدد سلوك الدور الملائم بالنسبة لهم وللآخرين. ولذلك فلو كان الباحث يستطيع أن يقوم برسم خريطة للعوامل الأيكولوجية ذات الأهمية الإجتماعية: كالحدود، والطرق ، وأماكن الجريمة، فإنه يمكن أيضا من توضيح "علاقات الدور والدور المقابل" في المجتمع.

ولقد إقتبس علماء الإجتماع مصطلح "الدور" من المسرح، وهو مصطلح يشير إلي مجموعة من معايير السلوك (القواعد Role) التي تطبق علي وضع معين في البناء الإجتماعي. وهذه المعايير تتكون من مجموعات توقعات لدي الآخرين، تلك التوقعات التي لا تنطوي علي تحديد الطريقة التي يتعين علي الشخص أن يؤدي دور بها فقط، وإنما تنسحب أيضا علي الأسلوب الذي ينبغي أن يتصرف به هذا الشخص تجاه الآخرين أثناء أدائه لدوره، والشعور الذي ينبغي أن يسيطر عليه في الآن ذاته، كما ينطوي المصطلح أيضا علي توقعات القائم الدور أو شاغله بصدد كيفية تصرف الآخرين نحوه أو الطريقة التي ينبغي عليهم أن يسلكوا بها تجاهه. وعادة ماتظل هذه المعايير المتبادلة منسقة ومنتظمة وبإستمرار، ونحن عندما ندلي بعبارة مثل: أن فلانا لم يتصرف كوزير، أو كأب، أو كمدرس، فإننا نعبر عن خيبة أملنا لعدم تمكن هذا الشخص في أن يقوم بدوره.

وإلي حد ما، يعتبر المجتمع ممكنا، لأن الناس ينزعون إلى الأداء التام لتوقعات الدور التي تنطوي عليها الأوضاع المختلفة التي يشغلونها. وغالبا مالا يحدث الإعتراف المقصود أو الصريح بتوقعات الدور، إلا عندما يقوم

شخص معين بتجاوزها أو بالإنحراف عنها، وذلك كما يحدث مثلا عندما يقوم الطفل بدور البالغ، أو بتصرف العامل مع رئيس القسم الذي يعمل هو به طريقة تبالغ في الألفة والمودة وتتجاوز الحدود بينهما.

هذا، ويعتقد المهتمون بتحليل الدور أن مفهوم "إستدماج Internaliyation" إلتزامات الدور أو إستيعابها، يمكن أن يفسر معظم جوانب السلوك الإنساني، كما يفسر أيضا دوافع هذا السلوك. ونحن جميعا نعترف بأثر التنشئة الإجتماعية (خلال مراحل العمر المختلفة) في إستدماج الدور، ومثال ذلك أننا نلاحظ أن الفتاة عندما تتزوج، فإنها سرعان ماتقوم بدور ربه البيت، ويرجع ذلك إلي أنها تعتقد أن هذا الدور متوقع منها، ونائب الرئيس الذي وضع فجأة في موقع الرئاسة يبدأ في الكشف عن كفاءاته في إدارة الدولة، تلك الكفاءات التي لم يكن أحد يعلم أنه يتمتع بها. وإذن فنحن نتصرف - غالبا - لنحقق تلك التوقعات التي نعتقد أن الآخرين يتوقعونها منا.

كيف تجري بحثا وتحليلا للدور

لا يمثل تحليل الدور طريقة لجمع البابنات، بل أنه عبارة عن أداة تصورية تحليلية في نفس الوقت وهو يعبر في الممارسة عن أفضل مؤشر الي العلاقة المتبادلة بين النظرية والمنهج في البحث الإجتماعي، ونحن عندما نشير اليه بإعتباره أداة تصورية فإننا نعني بذلك أن تصوراته أو مفاهيمه هي التي تحدد طبيعة البيانات التي يتعين جمعها، وأما قولنا أنه أداة تحليلية، فإنه يشير إليه كأداة توجه التحليل.

ومفهوم "الدور" هو أحد المفاهيم التي تنطوي عليها تلك المجموعة المتشابكة من المصطلحات المترابطة فيما بينها، والتي تستخدم في تحليل الدور من أجل دراسة سلوك الأفراد، وهذه المصطلحات هي:

الوضع position: وهو موقع الشخص في البناء الإجتماعي.

الدور role: أي المظهر السلوكي والجانب الديناميكي للوضع.

المكانة أو المركز status الجانب التقييمي للوضع (ما إذا كان الآخرون ينظرون اليه باعتباره عاليا أو منخفضا).

الدور المقابل counter role: دور مكمل لدور آخر (أي أنه يكمل التفاعل الثنائي)، ويسمح وجوده بأداء هذا الدور الآخر. فالمدرس - والتلميذ، والأب والأبن وصاحب العمل والعامل هي ثلاثة أرواج لأدوارمقابلة، يفرض أداء كل منها أداءا مقابلا من الدور الآخر، في نفس الوقت الذي يجعله ممكنا.

الحقوق والواجبات rights ans obligations: أن كل دور يجر معه سلسلة أفعال ينجزها الآخرون وتنجز من أجل الآخرين. وتلك هي التوقعات المشتركة أو النماذج المثالية لدورنا نحن، وللأدوار المقابلة التي نتصورها بعقولنا.

إدراك الدور role perception: طريقة أو أسلوب تفكير الشخص في دوره الإجتماعي وفكرته عما ينبغي أن يفعله.

سلوك الدور role behavior: الأداء الواقعي لدور معين. (في بعض الأحيان نحن نخفق في تحقيق توقعات دورنا، بينما نوفق في تحقيقها أحيانا أخري).

صراع الدور role conflict: موقف يجد الشخص فيه أن أداءة الكامل لدور معين، يؤدي الي الإخفاق في تحقيق توقعات دور آخر. ولذلك، تنتابه مشاعر الذنب مهما فعل، (فالمرأة التي تحاول أن تكون أما مثالية، طالبة مثالية غالبا ما تكون عرضة لصراع الدور).

والعالم الإجتماعي عندما يستخدم هذه المفهومات كموجهات لجمع البيانات، يكون قادرا علي أن يحصل علي المعلومات التي يطلبها، ويقوم برسم خريطة "النسق الدور" يمكن أن تمثل بدورها وسيلة مفيدة لإطلاع الباحث علي مجالات أخري للتفاعل، ربما تكون صالحة لأن تفحص فحصا مثمرا. ومثال ذلك أن "جروس Gross" أشار إلي أن إحدي الطرق التي تيسر فهم الضغوط التي يعاني منها ناظر المدرسة، تتمثل في تحديد الأدوار المقابلة التي

تتصل بدوره: كالرؤساء، والمدرسين، وأعضاء مجلس إدارة المدرسة، والتلاميذ، أن هؤلاء جميعا ينظرون إليه من منظورات مختلفة، وبالتالي فإنهم يتفاعلون معه بطرق مختلفة أيضا، وتكون توقعاتهم بشأنه مختلفة ومتعددة.

وينبغي ملاحظة أن مدلولات مانسمية "بالدور المركزي central role و"الدور المقابل counter role" تتوقف علي إهتمامات الباحث ذاته، فالدور المقابل عند باحث معين قد يمثل دوراً مركزيا عند شخص آخر. وفوق ذلك، فإن شاغلي الدور المقابل يتفاعلون أيضا كل مع الآخر، وأما إدراج مثل هذه التفاعلات ضمن محتوي البحث أو إستبعادها منه، فذلك أمر يتوقف علي هدف الدراسة.

وطالما أن الباحث قد قام بتحديد الأدوار المقابلة ذات الأهمية في بحثه، والتي سوف تمثل جزءا من الوضع الإجتماعي الذي يقوم بدراسته، فإنه يستطيع أن يفحص سلوك الأشخاص الذين يقومون بهذه الأدوار، لو وضع هذه الأسئلة في إعتباره:

١- كيف يتفاعل الأفراد الذين يمثلون علاقة "الدور المقابل"، أحدهم مع الآخر؟ (يجب أن ينصب التأكيد الأساسي علي التفاعل مع ما نسميه الدور المركزي).

٢- ماهي التوقعات غير المنطوقة التي يحملها كل منهم بخصوص الآخر؟ ماذا يحدث لو إنحرف أحدهم عن هذه التوقعات؟ (فلنحدد علي سبيل المثال ماهو متوقع من ناظر المدرسة، ومايحدث عندما يكون سلوكه أدني من مستوي التوقعات).

٣- كيف ينظر كل شخص في الدور، إلي ذاته؟ وكيف ينظر إلي الآخرين، كيف يراه الآخرون؟ (الطريقة التي ينظر بها المجرم إلي ذاته، وتلك التي ينظر بها الآخرون اليه).

٤- ماهي التوقعات التي ينبغي أن تحقق دور معين من أجل أن ينجز علي نحو ملائم؟ وإلي أي حد يسمح بتجاوز التوقعات في الأداء؟ أو ماهي

حدود التسامح إزاء الإنحرافات عن التوقعات؟

٥- هل توجد أية مفارقة في مكانة الأدوار التي تعتبر موضوعا للدراسة (أنظر الي علامات الإختلاف أو مؤشراته التي يكشف عنها شاغل دور معين في علاقته بشاغل دور آخر) فهل ينادي أحدهما الآخر بواسطة إستخدام ألقاب مثل: ياسعادة البيه، أو ياأفندم؟

٦- ماهي أنواع الجزاءات (سلبية كانت أم إيجابية) التي يستخدمها القائمون بالدور كل تجاه الآخر؟ وما الذي يعنيه ذلك من مفارقات في قوة الأدوار (ومكانتها)؟ فعلي سبيل المثال: ماهي التهديدات التي يمكن أن يستخدمها ناظر المدرسة لكي يقوم بردع المدرسين؟ وماهي التهديدات التي يمكن أن يستخدمها المدرسون لردع ناظر المدرسة؟

٧- هل هناك أدوار تتعذر ملاحظتها أكثر من أدوار أخري؟ وكيف يمكن إختراق مثل هذه المجالات الخاصة؟ أين نلاحظ المعتقلين مثلا؟

٨- ماهي أنواع المستلزمات التي يستخدمها من أجل تعزيز أنفسهم في أدوارهم؟ (الزي، واللغة، والألقاب، والمظهر العام).

٩- ماهي أنواع الصراعات التي يعاني منها الشخص الذي يتميز بتوقعات دور متعددة؟ ماذا يحدث - مثلا - عندما يقع ناظر المدرسة بين توقعات المدرسين وتوقعات لائحة المدرسة؟

وعندما يريد الباحث أن يحصل علي مثل هذه المعلومات يمكن أن يستخدم أكثر من طريقة وأداة من طرق البحث وأدوات جمع البيانات المعروفة.

بعض أدوات جمع البيانات وطرق بحث الدور:

١- ملاحظة الأشخاص أثناء قيامهم بدور معين. وهذا ينطوي علي معرفة كيف يتصرف الأشخاص الذين يقومون بأدوار مقابلة، أحدهم تجاه الآخر، وكيف

يتحدثون معا، كما يتطلب ذلك محاولة التعرف علي التوقعات المتبادلة.

٢- الملاحظة المشاركة في "مجموعة دور "معينة" وهنا يقوم الباحث بتدوين ردود أفعال القائمين بالدور، كل تجاه الآخر، وتجاه الباحث ذاته؟ وهو يتسطيع، بعد أن يعايش مثل هذه الخبرات، ويعيش تلك التجارب، أن يحدد معالم معينة لبعض مواصفات أداء الدور، والتوقعات المرتبطة به.

٣- مقابلات متعمقة مع بعض الأشخاص الذين يقومون بأدوار تهم الدراسة كيف يرون الدور؟ وماهي ضروب السلوك التي يضمنوها في أفضل أداء له؟ وفي نفس الوقت يمكن توجيه هذه الأسئلة ذاتها للقائمين بالدور المقابل. وهذا في حد ذاته يمنح الباحث إحساساً بذلك الكل الذي يشتمل علي التوقعات المعيارية والتوقعات المقابلة التي توجد في مجموعات الدور

٤- إستبيان لقياس الإتجاه يشتمل علي بعض أنواع السلوك، والصفات الواضحة التي تستخدم لتحديد أبعاد الدور كما يراها المجيب ذاته (سواء دوره هو أو دور شخص آخر):

	دور يجب أن يتصرف
أ- الشخص الذي يكون	
- بمفردة كاملة	( )
- بفتور وكلفة	( )
ب - وينبغي أن يرتدي ملابس	
- رسمية	( )
- غير رسمية	( )
جـ- ويتعين عليه:	
- أن يقدم المعاونة للآخرين	( )
- أن ينتظر منهم المعاونة	( )

٥- تاريخ الحالة، الذي يستخدم في تحديد كيف أن بعض الأشخاص يكتسبون

سلوك دورهم تدريجيا، حتي يصبح هذا السلوك جزءا من طبيعتهم أو طبيعة ثانية "لهم. وهنا يتعين علي الباحث أن يطلب من المبحوثين إسترجاع بعض الذكريات الماضية منذ أن قاموا بالدور؟ كيف إكتشفوا ما ينبغي عليهم القيام به؟ وهل تعرضوا للفشل؟ هل أحسوا بعدم ملاءمة أدوارهم؟ وهل تصوروا أنها صعبة أو مستحيلة؟

٦- المسح التفسيري: وهو الذي يمكن الباحث من الإجابة علي أسئلة مثل كيف يقوم مختلف الأشخاص بأدوار مختلفة؟ وماهي العوامل التي تفسر هذا الإختلاف؟ ماهو مستوي تعليمهم؟ وخلفيتهم الإجتماعية، وإهتماماتهم في المدرسة؟ ومن هو الذي رأوه يقوم بهذا الدور وأعجبوا به؟ أو هل كان لهم شخص معين إعتبروا قدوة للدور؟.

إن كل أداة أو طريقة من الأدوات والطرق السابقة تعتبر مفيدة في حد ذاتها نظرا لأسلوبها الفريد في تحقيق الفهم الملائم لجانب خاص من جوانب الدور التي تؤثر في الحياة الجماعية الإنسانية.

إيجابيات هذا المدخل "وسلبياته"

١- من أبرز إيجابيات تحليل الدور، أن البحث عن الأدوار، والأدوار المقابلة والتوقعات المعيارية المتصلة بكل دور، يضفي نوعا من النظام علي الحياة الإجتماعية، هذا النظام الذي يعاون الباحث علي أن يضع مجموعة من البيانات وإعادة العملية المتصلة بالحياة الإجتماعية، ربما كانت تبدو باعتبارها منفصلة ومتناثرة. في كل متكامل له دلالته وهدفه.

٢- أن دراسة الأدوار والأدوار المقابلة، تعاون علي وضع تفسيرات لظواهر معينة مثل: نماذج الإختلاف والإستخدام، وتوجه إنتباه الباحث الي مجالات الصراع الإجتماعي الممكنة، وكافة مشكلات التفاعل الأخري.

٣- أن تحليل الدور يوضح الدوافع التي قد لا يلاحظها عالم الإجتماع في موقف تفاعلي، وهو يعرف تماما أنه ينبغي الإهتمام بالدافعية لأن الأشخاص يرجعون ذهنيا الي توقعات الآخرين قبل أن يقوموا بأي فعل من الأفعال. فالشخص قد يفكر بهذه الطريقة، أنني إذا قمت بفعل معين لكي أرض شخص (الذي يقوم بدور مقابل) فكيف سينظر الي شخص ب (الذي يقوم بدور مقابل آخر) زماذا سوف يقول عني وكيف سيفكر في؟

٤- وهذا المدخل، كأي مدخل آخر الي فهم الحياة الإجتماعية، له سلبياته. إذ ربما يؤي الباحث الي إدراك بناء إجتماعي أكثر ثباتا وإستقرارا، ويقوم الأفراد فيه بدور واحد في وقت معين من أجل الوجود الناجح والمستمر للنسق الإجتماعي ولعل بعض الباحثين في تحليل الدور، أو بعض منظري الدور، قد تناسي أو نسي أن الحياة الإجتماعية تتميز بالإستمرارية، والتغير المتواصل، وأنه يمكن للأشخاص أن يقوموا بعدد من الأدوار بطريقة تلقائية (وذلك كدور السن، ودور النوع، والدور المهني، علاوة علي الأدوار المتبادلة علي المستوي الشخصي بينهم). كما أن الدور المقابل الواحد يمكن أن تكون له عدة مظاهر مختلفة، أو ربما متعارضة، لا تعكس تلك الوحدة البسيطة التي يتصورها بعض الباحثين، فالأدوار المقابلة لدور الزوج يمكن تقسيمها إلي عدة أقسام مثل:

- محب
- وعائل
- ورئيس للعائلة وحاميها.
- ورفيق

أما الأدوار المقابلة لدور الزوجة، فهي مثلا:

- فتاة فاتنة

= وفتاة فاتنة ومدبرة جيدة للمنزل.

= ومدبرة جيدة للمنزل.

= ومعاونة (للأبناء في دراستهم، وللزوج في عمله).

٥- أصبح مصطلح "الدور" يستخدم [illegible] في علم الاجتماع، بطريقة أكثر [illegible]

[illegible] التوقعات [illegible] سلوكية [illegible]

[illegible] interpersonal roles [illegible]

[illegible] لا تزال - مع ذلك كله - تسهم في تكوين التوقعات السلوكية لدى الآخرين المعنيين.

٦- أن أخطر إدعاء للمتخصصين في تحليل الدور، هو ذلك الذي يشير إلى أن كل سلوك يعتبر سلوكا للدور. لكن الحقيقة أن الناس يتصرفون بأسباب أخرى غير توقعات الدور، ومن هنا يمكن أن نقول أن الاستعانة بنماذج أخرى للمداخل النظرية تكون أفضل لدراسة هذه الأنشطة.

مجالات إستخدام تحليل الدور:

هناك العديد من المجالات النظرية والتطبيقية التي يمكن أن نفيد فيها من تطبيق مدخل تحليل الدور، ونستطيع أن نجمل أهمها علي النحو التالي:

١- يعتبر تحليل الدور مدخلا مفيدا لدراسة كيفية إندماج الفرد في أي بناء إجتماعي (الأسرة، وجماعات الأصدقاء غير الرسمية، وكذلك التنظيمات ذات الطبيعة البيروقراطية المتميزة كمنظمات العمل والمنظمات التعليمية).

٢- يمكن تحديد بعض المشكلات الإجتماعية تحديدا دقيقا، وإبرازها بواسطة تركيز الإنتباه علي مشكلات صراع الدور، وعدم تماسك الأدوار، ومثال ذلك أن كوماروفسكي"Komarovsky" لاحظ أن تلميذات المدرسة يتوقع منهن أن يبدين إهتماما بالمستقبل المهني وبالزواج في نفس الوقت، وأن هذين المطلبين غالبا ما يتسببان لهن في مشكلات جسيمة، وفي عدم إتخاذ قرار واضح بصدد الفعل الملائم أو العمل الذي يمكنهن القيام به.

٣- أن تحليل دور أوضاع "الأدوار الوسطي" يتيح الفرصة لتحديد الضغوط المتصارعة التي تمارس تجاه شاغلي هذه الأوضاع. فرئيس العمال في المصنع يتعامل مثلا - مع المديرين، ومع عمال خط التجميع، هو عندما يحاول أن يحل مشكلات كل فئة من هاتين الفئتين، غالبا مايجد أن ولاءه قد تمزق لأن يكون في موقف عسير للغاية إذ يحاول تحقيق مجموعة المطالب المتصارعة للجماعات المختلفة، التي لا يمكن أن تتفق مصالحها أو منظوراتها.

٤- وهناك العديد من المجالات الأخري التي ستختص الفقرة التالية بالإشارة إليها.

القانون والمجتمع كموضوع لتحليل الدور:

إن علم إجتماع القانون هو عبارة عن دراسة للطريقة التي تفرض بها المعايير

الرسمية لمجتمع معين، أو تنفذ، ولأسلوب التعامل بين منفذي هذه المعايير، وطريقة معاملتهم للمنحرفين، وأخيرا لكيفية توزيع الجزاءات من خلال عمليات تفاعل الدور، والنسق القانوني هو أحد المجالات الهامة التي يكون لتحليل الدور فيها قيمة غير عادية وذلك نظرا لأن الأشخاص المستوعبين في العملية القانونية - سواء كانوا مدافعين أو منفذين للقواعد - يتفاعلون من خلال أدوارهم أكثر مما يتفاعلون "كأشخاص كليين". وهناك أيضا العديد من المجالات الأخري التي تصلح لتحليل الدور فيها، وهي علم إجتماع الطب، وعلم إجتماع المهن والنظم، وحيثما يحتل التفاعل غير الشخصي والمنتظم مكانه، تبرز أهمية تحليل الدور.

وفوق ذلك، يعتبر علم إجتماع القانون مجالا ملائما لتحليل الدور لأنه ينطوي علي أدوار ومجموعات دور لاحصر لها، بحيث تكون أمام الباحث فرصة كبيرة للإختيار، ومجموعة بدائل كثيرة، فهناك مثلا:

- الشرطة (وتسلسل الأدوار فيها من الرئيس الي أصغر رتبة من رتب رجال الشرطة.
- والقضاه
- ومعاونوا المحكمة.
- والأخصائيون الإجتماعيون.
- والمحللون النفسيون.
- وشهود العيان
- والسجانون
- وحراس السجون
- والمحامون
- والمدافعون

- ونواب العموم (المدعي العام، والنائب العام)
- وضباط المتابعة.
- والمحلفون
- والضامنون

أن جميع هؤلاء وغيرهم، يمثلون رمزا لعلاقات الدور التي تؤدي وظيفتها كسلاح قانوني للمجتمع. وكثير من هذه الأدوار تتصارع مع بعضها بالنظر الي الأهداف والأيديولوجيات الموجهة لها.

التمرين المقترح:

عليك أن تقوم بتحليل بعض مجموعات الدور المتصلة بتنفيذ القانون إتصالا مباشرا ويمكنك أن تعمل بمفردك أو في فريق مكون من أثنين أو ثلاثة أفراد، وهذه هي خطوات حل التمرين:

١- حدد نوعية التفاعل بين الدور والدور المقابل. الذي تريد أن تقوم بدراسته كأن تحلل مثلا التفاعل بين:

أ- أحد رجال الشرطة ومدافع ، وقاض

ب- محام وشاهد وقاض

جـ- رئيس شرطة ورجل شرطة وسجان ومحام

٢- حدد أفضل وضع يمكنك أن تدرس فيه مجموعات الدور التي قمت باختيارها واليك بعض الإقتراحات:

أ- محكمة عليا أو محكمة محلية.

ب- قسم للشرطة أو نقطة بوليس

جـ- منطقة حجز

د- سجانون في المدينة أو المحافظة التي تتبعها عدة مدن (إذا كنت تعرف

أحدا من هؤلاء، قم بزيارته، لاحظ سلوك دوره ملاحظة سوسيولوجية).

هـ- أحد السجون في المدينة

و- سيارة دورية (وهي سيارة مغلقة لنقل السجناء).

ز- منطقة قبض (وهي التي ينتشر فيها المجرمون، أو يحتمل أن يمرون عليها) مثل بعض الأحياء في المدينة ومناطق الرذيلة والإنحراف، والميناء الجوي أو البحري).

٣- حدد أداة جمع البيانات (أنظر الفقرة الخاصة بطرق البحث وأدوات جمع البيانات، والواردة ضمن موضوعات تحليل الدور). ويمكنك أن تستخدم أكثر من أداة إذا أردت. كأن تجمع بين المقابلة والملاحظة، وتذكر أن عالم الإجتماع عندما يوجه أسئلته الي الرجل العادي، لا يقبل علي إستخدام المصطلحات الفنية، بل يستعين ببدائلها في اللغة العامية الدارجة بحيث يفهمها أي شخص آخر.

عرض النتائج:

أعرض نتائجك بطريقة متكاملة وعلي نحو منظم ومتسق، بحيث تشتمل علي مايأتي:

١- قضية مختصرة عن مجموعة الدور التي قمت بفصحها (من الممكن أن تقوم بمقابلات مع الأشخاص المعينين، بشأن أدوارهم، عندما يكونون خارج نطاق أوضاعهم وأن كان من المفيد أيضا أن تدعم هذه المقابلات بواسطة الملاحظات).

٢- خريطة الأدوار والأدوار المقابلة. وهنا يمكن إختيار دور معين وتسميته "بالدور المركزي" ثم تحديد مجموعة الأدوار المقابلة له. وفي هذا الصدد، إقتصر علي ذكر الأدوار التي قمت بدراستها بالفعل، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة أي من خلال الشخص الذي يمثل الدور المركزي.

٣- وصف مختصر للمنهج وطرق البحث وأدوات جمع البيانات، التي إستخدمتها.

٤- قضية تعبر عن نتائجك. ينبغي أن تشتمل علي إجابات عن بعض الأسئلة الآتية:

ماهي تصورات الناس عن الواجبات والحقوق المرتبطة بأدوارهم؟ ماهي ضروب التعزيز أو التدعيم التي يحصلون عليها من مستلزمات معينة كالملابس التي يرتدونها أو الألقاب الخاصة بهم أو أوضاعهم؟ هل يستطيعون البقاء في الدور برغم ما يسببه من ضغوط وتوترات؟ ماهي المفارقات التي لاحظت وجودها عندما يقوم شخصان مختلفان (قاضيان مثلا) بنفس الدور؟ لا تنسي أن تحدد أدلتك أو شواهدك علي ماتقوله فإذا شعرت مثلا أن أحد القضاء يتوقع أنه مختلف عن الآخرين، حدد المناسبات التي تشير إلي ذلك.

٥- الفروض التي تقدمها هذه الدراسة من أجل بحوث أخري.

٦- المشكلات التي تعرضت لها في محاولة إجراء بحث الدور وتحليله. ومقترحاتك للتغلب علي هذه المشكلات.

مدخل دراسة المجتمع المحلي

The Community Approach

مدخل دراسة المجتمع المحلي (The Community Study)*

مدخل دراسة المجتمع المحلي (The Community Study)*

أولاً- المدخل النظري:

تعريف المجتمع المحلي:

عندما نطلق [illegible] المجتمع المحلي فإنه يتبادر الي الذهن أنه جماعة من الناس [illegible] المجتمع المحلي [illegible] المكانية [illegible] أو المجتمع المحلي يقصد به أيضاً [illegible] مثل مدينة صغيرة أو جزء من مدينة أي حي [illegible] Together[illegible] [illegible] "المعيشة" والإنتمائية والمسايرة داخل أي منطقة جغرافية معينة. [illegible] الذين [illegible] المحلي وهذه العلاقات علاقات بنائية وتشتمل علي كل الأنظمة الإنسانية.

وعلي الرغم من إعتقاد بعض المطلقين الإجتماعيين بأن المجتمعات المحلية قد [illegible] تحديدها داخل حدود معينة وذلك بسبب تسربها في المجتمع الكبير الذي يحيط بها، ولكن علي الأقل [illegible] المجتمعات المحلية [illegible] جعل هذا المجتمع المحلي (الحي - المدينة - المركز - الخ) مكاناً أفضل للحياة.

[illegible] يقيمون في منطقة جغرافية محددة ويشاركون في بعض الأنظمة العامة ويشعرون بأن المدارس المحلية والكنائس والمحلات والمسارح والحدائق والمنازل والمصانع.. الخ. تخصهم بطريقة ما.

كذلك يستطيع الباحث أن يلاحظ كيف يمارس أعضاء المجتمع المحلي نوعا من الضبط الإجتماعي علي المواطنين لتماثل طريقتهم في الحياة طريقة المجتمع المحلي. وللاحظة ذلك فإن الباحث عليه أن يلاحظ المؤسسات الرسمية للحكومة مثل الشرطة والمحاكم والسجون ومؤسسات الرعاية..الخ. كذلك يمكن دراسة الأسرة والمدارس والجمعيات الدينية كمؤسسات غير رسمية لها تأثير في ضبط سلوك الأفراد.

هناك أيضا جانبا آخر من جوانب حياة المجتمع المحلي يمكن للباحث أن يهتم به وهو المشاركة الإجتماعية. أي دراسة كيف يتفاعل أعضاء المجتمع بعضهم مع بعض من أجل تحقيق الحاجات الجمعية لهؤلاء الأعضاء.

كذلك يجب أن يهتم بدراسة الجماعات العلنية والسرية والتي لها نشاط خاص بالنسبة لأعضاء المجتمع المحلي، وكذلك الإهتمام بالإحتفالات العامة والهدف منها بالنسبة لحياة المجتمع ككل وبالنسبة للأفراد المدعوين لها.

٢- كيف يمكن القيام بدراسة المجتمع المحلي:

تعتمد الطريقة التي يعتمد عليها الباحث في دراسة المجتمع المحلي علي مدي عمق الخلفية النظرية المتوافرة له. كما أن الأساليب التي يستخدمها لا تعتمد علي نظرية بعينها أو شكل من أشكال التطبيق ولكن أفكار تعطي طريقة أو وجهة نظر معينة تجاه الواقع أو العالم الإجتماعي وتحدد البيانات التي يمكن أن تعتبر مهمة وإلي أي حد تؤثر هذه البيانات وكيف يمكن جمع هذه البيانات.

فدراسة المجتمع المحلي هذ ذروة المناهج التي تعلمها ولهذا فإن السوسيولوجية يستخدمون كل الأساليب والطرق لجمع البيانات لبحثهم عن تجمعات المجتمع المحلي.

مداخل دراسة المجتمع المحلي:

أ- مفهوم المكان

ولعل من أول وأقدم المداخل لدراسة المجتمع المحلي يعتمد أساسا علي مفهوم المكان وهو التركيز علي أيكولوجيا المدينة أو المنطقة الريفية والباحث الذي يستخدم هذا المدخل يجب أن يلاحظ هذه الخصائص:

١- المكان الخالي من السكان (الحدائق - الميدان العامة الأراضي الخالية..)

٢- حالة المباني.

٣- الكثافة السكانية.

٤- الشوارع الرئيسية للمواصلات والشوارع الجانبية.

٥- التأثير النفسي للبيئة.

وبطبيعة الحال يمكن عقد مقارنات بين أجزاء مختلفة من المدينة أو المدينة الصغيرة في ضوء هذه الخصائص الخمسة. فمثلا يمكن عمل مقارنة بين منازل المناطق المتخلفة مع منازل الطبقات الوسطي وفيلات الطبقات العليا.

ب- نوعيات الناس:

ويعتبر المدخل الثاني في النظر إلي المجتمع هو نوعيات الناس وهو يقوم علي الوصف الجوهري لخصائص المقيمين في هذه المنطقة، فالعمر والنوع والدخل والجنس (العنصر) وأنواع المهن ومعدلات الرعاية الإجتماعية - كل ذلك يعتبر حقائق سوسيولوجية هامة يجب أن تجمع أثناء قيام الباحث بدراسة المجتمع المحلي.

وطالما أن البيانات التعدادية هي المصدر الأساسي للبيانات فإن المناهج الديموجرافية تعتبر مناهج مساعدة. فسكان كل منطقة في المدينة يمكن مقارنتهم بأجزاء أخري في المدينة.

فتنوعات الناس الذين يعيشون في المدينة والضواحي يمكن مقارنتها بعضها ببعض، كذلك يمكن مقارنة الأنواع المختلفة للمدن مثل المدن الصناعية والمدن التجارية وهكذا.

جـ- الأنماط الثقافية:

والمدخل الثالث لدراسة المجتمع المحلي قد إستخدم خاصة بواسطة الأنثربولوجية والذي يركز علي النظر إلي المجتمع المحلي علي أنه ثقافة ومعايير وقيم ورموز. والمنهج المتبع هنا هو الملاحظة أو الملاحظة بالمشاركة، وهنا فإن المعاني المشتركة والقيم ليس فقط المحتويات الأساسية لمفهوم المجتمع المحلي ولكن أيضا علي أنها جوانب مهمة تختلف علي أساسها المجتمعات المحلية بعضها عن الآخر هذه المعاني والقيم تعطي المجتمع المحلي مايميزه وتحدد له شخصيته.

د- تفاعل الناس والجماعة:

والمدخل الرابع يركز علي ضرورة النظر الي المجتمع المحلي علي أنه التفاعل الذي يحدث بين الأفراد والجماعات الذي يتمثل في شكل منظمات وأنظمة. والفكرة الأساسية في هذا المدخل هو النظر الي سلوك الأفراد كما تبدو في أفعالهم اليومية والمصلحية.

ولتحقيق ذلك فأن الباحث السوسيولوجي يمكن أن يري إلي أي حد يستخدم المقيمن في المجتمع المحلي أنظمة مثل المدارس المحلية والكنائس المحلات التجارية ويمكن أن يكون الإهتمام موجه لمعرفة إلي أي حد أحدث التغير الداخلي بواسطة سكان المجتمع المحلي أنفسهم في مقابل التغير الذي بدأ بواسطة قوي خارجية مثل الحكومة المركزية أو الصناعة المفروضة وهكذا ويمكن الإستعانة أيضا بمراحل تحليل الدور خاصة وأن الكثير من التفاعل الإجتماعي والذي يهتم به الباحث السوسيولوجي تظهر بوضوح عندما يتفاعل الناس في المواقف الرسمية.

وقد يجد من خلال بحثه أن هناك بعض الأشخاص في هذه الوحدات يقومون بأفعال متناقضة للوظائف الظاهرة لهذه الوحدة أو هذا المجتمع.

كذلك يجب علي الباحث أن يكشف لنا مصادر التوتر وماهي المؤسسات أو الجماعات التي تحاول إعادة التوازن في المجتمع.

وعلي أية حال فأن مثل هذه الدراسة تحتاج الي وقت طويل كذلك يجب أن يستخدم فيها الباحث (أو الباحثين) الطرق والأدوات المختلفة لجمع البيانات وتحليلها.

٣- مميزات وعيوب دراسة المجتمع المحلي:

تعتبر دراسة المجتمع المحلي - دراسة كشفية أو إستطلاعية، أيضا يمكن إعتبارها أداة تساعدنا علي فهم الطبيعة المتشابكة للعلاقات الإجتماعية، وفي وظيفتها الكشفية فإن دراسة المجتمع المحلي يمدنا بصورة متكاملة عن تفاعل المجتمع - مجتمع صغير - في خلال فترة زمنية معينة.

وكأداة فإنها تحتوي علي الأقل ضمنيا - علي إطار مرجعي مقارن لكل من الملاحظ والقاريء فلو ظهر أن هذا المجتمع المحلي موضوع الدراسة له خصائص معينة فإنه في هذه الحالة يجب أن يتسأل أن كانت المجتمعات المحلية الأخري تتمتع بنفس الخصائص..؟ وإذا كانت الأجابة علي هذا السؤال بلا فأنه يجب معرفة الأسباب. كذلك معرفة إن كانت القيم العامة والأنظمة المتصلة والعمليات التفاعلية توجد في كل المجتمعات المحلية. وإذا كانت الإجابة بنعم فيجب تحديد هذه القيم والعمليات المتشابهه في هذه المجتمعات المحلية.

ولعل أهم نقص يواجه الباحث في دراسة المجتمع المحلي هو أن الباحث مطالب بأن يجمع وينظم كمية ضخمة من البيانات وهذا يشكل عندما يكون الباحث مقيدا بوقت محدد وتمويل معين لمشروعه. فالباحث السوسيولوجي ليس من مهمته وصف كل التفاصيل الخاصة بالمجتمع المحلي. ولكن من مهمته أن يدرك الميكانيزمات الداخلية التي تحرك المجتمع المحلي. ولاشك أن المدخل

النظري للباحث يوجه الي المجالات والمشاكل التي يجب أن ينظر اليها علي أنها مناسبة لدراسته.

٤- بعض التطبيقات

ان دراسات المجتمع المحلي تعتبر طريقة ممتازة لفهم خط سير المجتمع وأفراده، ويمكن دراسة وتحليل المدن الصغيرة والقوي والمدن الكبيرة والأحياء السكنية والمناطق الريفية من عدة مداخل والنتائج التي يتوصل اليها من مثل هذه الدراسات تؤكد علي أن هذه الدراسات ليست مفيدة فقط وإنما أيضا قراءات لها حيويتها.

وهذا المدخل (دراسة المجتمع المحلي) له أيضا جوانبه التطبيقية، فالباحثون لا يريدون فقط فهم الظواهر التي يقومون بدراستها ولكن ايضا هناك شعوراً متزايداً بينهم بأنهم مطالبون بجعل حياة الإنسان أفضل والعمل علي تحسين هذه الحياة.

ولاشك أن دراسات المجتمع المحلي تساعد المؤسسات العامة والخاصة في تخطيط مستقبل هذا المجتمع.

وعن طريق جمع وتحليل البيانات عن نوعيات السكان ووظائفهم وطريقة معيشتهم والعلاقات المتبادلة بينهم ومدي مشاركتهم في حياة المجتمع المحلي. بكل ذلك يقدم الباحثون للمهندسين الإجتماعيين المساعدة لحل مشاكل المجتمع المحلي. فعن طريق مثل هذه الدراسات يتم تحديد إحتياجات المجتمع الي مدارس أو كليات أو حدائق عامة. كذلك ما هي المحلات أو الأعمال التجارية التي يحتاج اليها المجتمع.

ويطبيعة الحال فأ ذلك ليس سوي قليل من المسائل التي عن طريقها يدرس الباحث الإجتماعي ويفهم المجتمع المحلي.

٥- المدينة كموضوع لدراسة المجتمع المحلي:

لاشك أن مفهوم المجتمع المحلي مفهوم نسبي، وأن الحدود الجغرافية غالبا ما تكون صعبة إن لم تكن مستحيلة التحديد. علي أية حال فأن المدينة تعتبر مكاناً مثاليا لدراسة المجتمع المحلي.، وبطبيعة الحال هناك العديد من المجتمعات المحلية داخل المدينة والتي يستطيع الباحث أن يختار أحدها للدراسة. ولعل أهم معيار لتحديد المجتمع المحلي هو تميزها النسبي فالمجتمع المحلي "مكان له ثقافة وله مجموعة من العلاقات البنائية والنظامية ويحدد بحدود جغرافية". ولاشك أن هذا المجتمع المحلي يتأثر بالمدينة الكبيرة التي تحتويه والذي يقوم المجتمع بالمساهمة في المدينة أيضا.

ثانيا: تمارين وإجراءات عملية لدراسة المجتمع المحلي:

١- التمرين المقترح:

عليك أن تختار منطقة في مدينة أو مدينة صغيرة للقيام بدراسة عن المجتمع المحلي. ففي كل مدينة كبيرة، علي سبيل المثال، يوجد أقليات دينية أو عنصرية أو بعض الأحياء التي يبدو أن لها ثقافتها النوعية. وطالما أن دراسة المجتمع المحلي تتطلب تنوع الطرق المنهجية المتبعة في جمع البيانات، فأنه من الأفضل أن تعمل في فرق مكونة من ٤-١٠ أشخاص. ويكون الهدف الأساسي هو القيام بدراسة إستطلاعية عن هذا المجتمع المحلي.

ويجب أن تحدد ما هي المشكلة الخاصة أو الأنظمة التي يجب دراستها، ولسوف تتفق والفريق الذي تعمل معه علي الحدود المخصصة لمكان الدراسة أو مجتمع الدراسة.

والطرق التي سوف تستخدم لجمع المادة المناسبة تعتمد إعتماداً كبيراً علي إهتمام بحثك. ومن الأفضل أن تقسم الفريق بحيث يقضي كل باحث ثلاث ساعات علي الأقل في جمع المادة المحددة له من المجتمع المحلي. وعادة يوضع أو يحدد فترة أسبوعين لتغطية مشروع البحث.

ويلاحظ أن الباحث يبدأ العمل بعقد مقابلتين متعمقتين لمعرفة كيف يستمر العمل في المجتمع المحلي. وتخصص أحد هاتين المقابلتين لأحد المسئولين في المجتمع المحلي مثل المحافظ، مدير الأمن، رئيس الغرفة التجارية، والمقابلة الثانية تخصص لشخص يدرك ويعي بالتفصيل ماذا يحدث في المجتمع ويفضل أن يكون هذا الشخص أحد التجار أو السماسرة أو من سكرتارية المسئولين، ويجب مقارنة المعلومات التي سوف نحصل عليها من المقابلتين التعرف علي أوجه الشبه والإختلاف في وجهة نظر كل منهما.

٢- الإجراءات العملية للقيام بتمارين عن المجتمع المحلي:

أ- قبل الذهاب للميدان:

١- يجب أن أن تحدد المدينة الصغيرة أو الحي الذي سوف يقوم الفريق بدراسته.

٢- حدد جانب من جوانب المجتمع المحلي الذي ستقوم بدراسته. وماهي الأسئلة الخاصة التي سوف تحاول أن تحصل علي أجابات عنها من الأشخاص الذين ستقابلهم مثل:

أ- هل أنت مهتم بدراسة بناء القوة؟ ومن يصدر القرارات؟ أو هل تريد أن تدرس كل أنواع الصراعات الموجودة داخل المجتمع المحلي؟

ب - هل أنت مهتم بدراسة ثقافة المجتمع؟ هل تريد أن تدرس نسق القيمة الأساسي؟ أو مايعتبر مهم بالنسبة لأعضاء هذا المجتمع وكيف يعيش أعضاء المجتمع من يوم لآخر؟ وماذا يلبسون؟ وكيف يقضون أوقات فراغهم؟ ،، وهكذا.

جـ- هل تريد دراسة أنماط العلاقات بين أعضاء المجتمع المحلي؟ هل يعرف الجيران بعضهم البعض؟ هل هناك علاقات متبادلة مع الآخرين؟ أم تريد أن تدرس كيف يتعامل الكبار والصغار ويتفاعل كل منهم نحو الآخر؟

د- هل تريد أن تعرف كيف تتصل الأنظمة الأساسية في المجتمع بعضها ببعض؟ وماهي العوامل التي تسبب أنماط التفاعل داخل المجتمع؟ وماهي الميكانيزمات المستخدمة لتجميع الناس بعضهم مع بعض قبل الشعائر وتبادل الزيارات والتبادل التجاري للزواج الداخلي.. وهكذا.

هـ- ماهي أنواع الأبنية التي يتكون منها المجتمع هل هي العمر أو الجنس أو الثروة أو التعليم وماهو توزيعها ومدي تأثيرها علي المجتمع ككل؟

٣- يجب أن تستقر علي مناهج البحث الملائمة لدراسة المجتمع المحلي الذي سوف تقوم بدراسته. ويجب أن توزع الطرق المستخدمة علي أفراد الفريق بحيث يختص كل واحد في الفريق - فريق البحث - بأحد هذه الطرق. وعلي سبيل المثال قد يختص أحد الأعضاء بالقيام بعمل مقابلات متعمقة ويقوم الآخر بدراسة أيكولوجية المجتمع وقد يقوم عضوين آخرين بتصميم إستمارة إستبيان أو ملاحظة سلوك وأفعال الناس في المجتمع المحلي، وعضو آخر يقوم بفحص البيانات الإحصائية الرسمية وذلك من أجل معرفته بعض المعلومات عن بناء المجتمع المحلي.

ب- في الميدان:

١- حدد المجتمع الذي سوف تدرسه، وماهي الشوارع والأحياء الداخلة في نطاق الدراسة. ولا يمكن أن تدرس كل المنطقة الجغرافية للمجتمع المحلي؟ ولذلك يجب أن تحدد المناطق المهمة لجمع البيانات العلمية التي تريدها في المجتمع. وماهي أنماط السلوك الذي تريد دراسته. هذه الحدود سوف تحدد البحث وتوجه الباحث إلي الأفراد والمنظمات التي قد يبدو أنها ضرورية لدراسته.

٢- ويجب ملاحظة أن تكون المناهج والطرق المستخدمة في الدراسة محددة بطريقة منهجية وعلمية.

٣- يجب علي كل أعضاء الفريق أن يركز علي المنهج الذي سوف يستخدمه

في البحث والذي حدده الفريق له. ولو صادف أي عضو في الطريق معلومات تعتبر مقيدة ومناسبة للبحث ككل فأنه يجب أن يدون ملاحظته بذلك من أجل مناقشة هذه الأمور مع الفريق والتعمق فيها.

٣- تقديم التقرير:

يجب أن يشتمل تقريرك علي الآتي:

١- وصف للمجتمع المحلي.

٢- المشاكل والموضوعات الخاصة التي كنت مهتما ببحثها في المجتمع المحلي.

٣- تقديم النتائج مستخدما الجداول الإحصائية والأدلة وإقتباسات عن المقابلات المعمقة التي أجريت وتاريخ حالات وأمثلة من الملاحظات وقبل أن يكتب الملخص النهائي فأنه يجب أن يسيق ذلك مناقشة الفريق ككل للنتائج المتنوعة والمعاني المفسرة، وماهي علاقة هذه النتائج بالمشكلة التي حاولوا دراستها.

٤- إقتراحات لبحوث مستقبلية في هذا المجتمع المحلي.

٥- المشاكل التي واجهت الفريق في فترة إجراء البحث وماذا فعل الباحثون للتغلب علي هذه المشاكل وكيف أنه من الممكن أن تتأثر النتائج بذلك.

٦- التقرير الخاص بالنتائج عن دراسة هذا المجتمع المحلي يجب أن تعرض في حوالي ١٠-١٥ صفحة ويرفق الملاحظات الميدانية علي أنها ملاحق للبحث.

المدخل الأيكولوجي

Ecological Approach

المدخل الأيكولوجي(١)

من الحقائق التي أكدها علم النبات والحيوان حقيقة أن الكائنات الحية تبحث دائما وتناضل من أجل الحصول علي موقع أو مكان خاص تمارس في حدود حياتها الخاصة ولايختلف الإنسان في ذلك عن غيره من الكائنات الحية، فالتفاعل الإجتماعي الذي يحدث بين بني البشر لا يتم في فراغ، بل يشترط فيه أن يكون له علي الأقل قاعدة مكانية أو إقليمية وتمثل هذه القاعدة المكانية في الحقيقة أكثر من مجرد مساحة من الأرض، بل يكون لها دائما من الخصائص الفيزيقية مايؤثر في ما يقع من أحداث إجتماعية. ويتخذ المدخل الأيكولوجي من هذه الحقيقة السابقة نقطة إنطلاق له، حيث يركز وبصفة أساسية علي دراسة الترتيبات الفيزيقية للبيئة في حدود ما بينها وبين السلوك الإنساني من تأثير متبادل.

وقد بدأ إستخدام المدخل الأيكولوجي في علم الإجتماع من خلال أعمال مدرسة شيكاغو سنة ١٩٢٠ بصفة خاصة، عندما حاول كل من بارك(P. Park) وبيرجس (F. Burgess) البحث عن الوسائل أو الأساليب الملائمة لتحليل وتيسير تطور المناطق المتروبوليتية الكبري. وفي هذا الصدد أدرك الباحثان أن مفاهيم مثل "الثقافة" و"التنشئة الإجتماعية" والتي كانت تمثل أساليب تقليدية في الدراسات الأنثروبولوجية لن تقدم الأسلوب الملائم لتفسير حياة المدينة وتوضيح عمليات التمايز الأقليمي أو المكاني والإجتماعي والثقافي بين أحيائها ومناطقها المختلفة. كما لاحظنا في نفس الوقت تزايد حركات الهجرة وما إرتبط بها من صراع المكان وبخاصة في المدن الكبري مثل مدينة شيكاغو، الأمر الذي جعلهما يدركان علي الفور حاجاتهما الماسة الي مدخل جديد لتفسير هذه الظواهر.

(١) أعد هذا الفصل دكتور السيد عبد المعطى السيد

وفي دراستهما لمدينة شيكاغو، بدأ كل من بارك وبيرجس نظرته الي المدينة في حدود ما أسموه (بالمناطق" أو الحلقات التي تمثل في نظرهم تجمعات من الأفراد تتنافس فيما بينها علي إستخدام المكان، وقد أستعان الباحثان في نظرتهما هذه بكثير من المفاهيم التي إستخدمت في مجال أيكولوجيا النبات والحيوان، ومن ثم حاولا توضيح عمليات "التكامل "Symbiosis" (التي تعني الأشباع المتبادل للحاجات الأساسية للجماعات المختلفة تماما بنفس الطريقة التي تحدث بين الكائنات الحية كأن يقدم النبات الأكسجين للحيوان بينما يوفر الحيوان لنبات مايحتاج اليه من ثاني أكسيد الكربون) وعمليات التعاقب Succession الذي يحدث بين جماعات البشر مماثلا للتعاقب الطبيعي للتغيرات البيئية التي تحدث في مناطق الغابات الطبيعية. ومن خلال ذلك كله إستطاع بارك وبيرجس أن يقدما أطارا تصوريا تصنيفيا للأنماط الرئيسية لأنشطة التي يقوم بها جماعات مختلفة داخل منطقة من المناطق كالصراع والتنافس والتعاون والتوافق والتكامل والتمثيل. وتصورا أن كل عملية من هذه العمليات تعبر عن مرحلة من مراحل الحل النهائي لمعركة الصراع من أجل المكان. وهكذا نلاحظ أن علماء الإيكولوجيا الأوائل قد مزجوا بين الأساليب التقليدية للبحث الإجتماعي بأطار معرفي إستمدوا من المامهم بالخصائص الجغرافية والديموجرافية والإقتصاية لمناطق بحثهم.

وعلي أي حال فقد أهتمت معظم الدراسات التي قامت بها مدرسة شيكاغو بتطبيق المدخل الأيكولوجي. ظهر ذلك واضحا في الدراسات التي أهتمت بالتوزيع المكاني للجريمة وإنحراف الأحداث والمرض العقلي والطلاق وحركات الهجرة والتنقلات السكانية، وتمخضت هذه الدراسات عن وضع عدد من الخرائط التي توضح التوزيعات المكانية لمثل هذه الظواهر وما يرتبط بها من عمليات أيكولوجية كالغزو والتعاقب..الخ، كما أنتهت الي تصور المدينة - مثل شيكاغو - كما لو كانت مقسمة إلي مناطق أو دوائر متمركزةConcentric Zones تبدأ في الوسط بقلب المدينة أو منطقة الأعمال المركية يليها منطقة التحول والإنتقال ثم منطقة سكن الطبقات الفقيرة، فمنطقة سكن الطبقات

الوسطي، ثم مناطق الضواحي التي يقيم فيها الطبقات العليا خارج المدينة أو علي حدودها الخارجية.

ولقد تطور المدخل الأيكولوجي وأدخلت عليه بعض التعديلات التي جعلته أكثر ملائمة للدراسة السوسيولوجية. خاصة بعد أن أدرك علماء الإجتماع أهمية مايعرف بالمكان الإجتماعي أو الأقليم الجماعي ومايقوم بينه وبين نمط الحياة الإجتماعية من علاقة تأثير متبادل، حتي أن بعض الباحثين المعاصرين - مثل بوسكوف - يعتبرون المدخل الأيكولوجي واحد من المداخل الأساسية التي يستعين بها الباحث الإجتماعي للكشف عن ميكانزمات التوافق والتعديل المتبادل بين البيئة والأنسان الي جانب ما يطرحه من إبراز للعلاقات المكانية بين الجماعات وأنواع النشاط.

مزايا وعيوب المدخل الأيكولوجي:

من أهم مزايا إستخدام المدخل الأيكولوجي في مجال البحث الإجتماعي أنه يمكن الباحث من ربط المتغيرات الإجتماعية والفيريقية وتوضيح مابينهما من تأثيرات متبادلة. فكثيرا ما تقدم مايشعر عنه البحث الأيكولوجي من خرائط سوسيوإيلوجية لمجتمع المدرسة عددا من المؤشرات التي توضح طبيعة القوي أو الضغوط البيئية التي تسيطر علي المنطقة (مجتمع البحث) فإرتفاع معدلات الإنحراف في منطقة مايعني أن الفتي يخضع لضغوط بيئية للمشاركة في أنماط للسلوك غير مشروعة وإلا يتعرض للعزلة الإجتماعية كما أنه يمكن من خلال فهم وتحليل عمليات التكافل في المنطقة تفسير مابين بعض الظواهر والمتغيرات الإجتماعية من إرتباط متبادل رغم ماتبدو عليه من تعارض سطحي أو ظاهري.

ومع ذلك فقد ينتقد المدخل الأيكولوجي بشدة لإعتبارات عدة منها أن جانبا كبيرا من الإطار النظري المبكر الذي يستند عليه هذا المدخل لايزال موضع بحث وتساؤل، حيث يري بعض علماء الإجتماع المعاصرين أن الأيكولوجيا

الإجتماعية وما تعتمد عليه من تصورات ونظريات حول التعاقب والصراع والمنافسة والتعاون والتمثيل..الخ هي من البساطة بحيث لا تفيد كثيرا في تحليل العمليات المعقدة للتفاعل الإجتماعي. هذا الي جانب أن ما ارتبطت به النظرية الأيكلولوجية تاريخيا بتصورات مثل "المناطق الطبيعية" تحمل بين طياتها نظرة حتمية واضحة ذات إتجاه محافظ متميز كما أن تأكيد هذا المدخل علي ماأسماه بالمنافسة حتي إستخدام الأرض والمكان كثيرا مايتجاهل دور القوي والعوامل الثقافية في التغييرات الإجتماعية والأيكولوجية.

ولعل من أهم أوجه النقص التي يعاني منها المدخل الأيكولوجي في نظر البعض أنه غالبا مايعزي لسكان المنطقة نفس الخصائص التي يكشف عنها المسح الوصفي للجماعات بمعني أن الباحث الأيكولوجي عندما يلاحظ إنتشار ظاهرة من ظواهر في المنطقة" مثل ادمان المخدرات أو إنتشار جرائيم القتل" في الوقت الذي يلاحظ فيه أن أفراد مهنة معينة أو أبناء موطن معين يمثلون النسبة الغالبة من سكان المنطقة، فأنه يميل الي أن يربط بين المتغيرين فينسب الي هؤلاء الأفراد خاصية إدمان المخدرات أو الميل لأرتكاب الجريمة أو الثآر، الخ هذا في الوقت الذي تتوزع فيه هذه الخصائص بنسب مختلفة بين سكان المنطقة ككل. وأكثر من ذلك يميل الباحث الأيكولوجي الي تفسير إنتشار ظاهرة من الظواهر في المنطقة، كما لوكانت هذه الظاهرة تمثل سمة مميزة للمنطقة ذاتها. مثال ذلك ما ذهب اليه كل من فاريس Faris ودونهام Dunham عندما أرجعا المعدلات المرتفعة من المرض العقلي في بعض الأحياء المختلفة في المدينة إلي ما لهذه المناطق من خصائص إجتماعية وفيزيقية معروفة. وقد كانت حجتها في ذلك أن الأشخاص الذين أصبحوا يعانون من المرض العقلي قد إنتقلوا للإقامة في هذه المناطق المتخلفة بعد أن فقدوا أعمالهم وذويهم وأصدقائهم الأمر الذي يؤثر علي قواهم العقلية ولو أن ذلك يعني في الحقيقة ومن وجهة النظر الأيكولوجية أن هناك بعض المناطق التي ينزح (يهاجر) اليها عناصر سكانية غير متوافقة، ولا يعني أطلاقا أن هذه المناطق هي السبب الأساسي في إنتشار المرض العقلي.

مجالات إستخدام المدخل الأيكولوجي في البحوث الإجتماعية:

لقد ظل محك "التوزيع المكاني" للظواهر والمتغيرات من أوسع المحكات إستخدامات في علم الإجتماع لتحديد أبعاد المدخل الأيكولوجي وذلك علي إعتبار أن الباحث إذا إستطاع دراسة التوزيع المكاني لظواهر إجتماعية كالإنحراف والتفكك الأسري أو المشاركة السياسية ..الخ. وإستطاع بالتالي أن يحدد مواقع تركزها وعوامل كيفية إنتشارها كباحث أيكولوجي إلا أن يربط بين هذه الظواهر وبعض الحقائق والعمليات الأيكولوجية الأخري ليصل في النهاية الي بعض التعميمات المفسرة، غير أن نظرة مثل هذه لا يغير في الحقيقة عن طبيعة المدخل الأيكولوجي كأحد المداخل الأساسية للمدرسة والبحث السوسيولوجي. فالتوزيعات المكانية التي تحدث مصادفة أو تنتج عن بعض المواقف العارضة كتوزيع الأفراد علي جانبي الطريق أو تشكيل الجنود في عرض عسكري أو جلوس الضيوف علي مائدة الطعام، لا تعد في الحقيقة ظاهرة أيكولوجية رغم أنها تشتمل علي توزيع مكاني للأفراد. ومن ثم لا تعتبر كل الدراسات المكانية بالضرورة دراسات أيكولوجية. أن المدخل الأيكولوجي في نظر أصحابه مثل هاولي وكوين لا يقف عند حد الوصف بل يهتم ايضا بالتحليل والتفسير. ولذا فإن الدراسات المكانية وما تقدمه من خرائط توزيعية للظواهر لا تصبح بحال من الأحوال دراسات أيكولوجية مالم تفسر في ضوء عدد من العمليات الإجتماعية والأيكولوجية في نفس الوقت. أضف إلي ذلك أن كل دراسة أيكولوجية لا تعني بالضرورة بالتوزيع المكاني للظواهر فقد يشتمل البحث الأيكولوجي علي دراسة جوانب من حياة المجتمع المحلي ليست ذات طابع مكاني مثل الرابطة الوظيفية لتقسيم العمل بين الجماعات، أو المظاهر الوظيفية للعلاقات الإجتماعية المتبادلة فهذه كلها ليست ظواهر مكانية وأن كان تحليلها الذي يتم داخل حددو مجتمعات محلية أو مناطق قد يضفي عليها معني مكانيا.

ومع أن الدراسات الأيكولوجية لا تتحدد بصفة أساسية في دراسة

التوزيعات المكانية علي نحو ماقدمنا، إلا أن دراسة العلاقة المكنية لأوجه النشاط الإجتماعي ظلت تلعب دورا هاما في كمجال لإستخدام المدخل الأيكولوجي وذلك لعدة أسباب منها:

أ- أن عنصر المكان أو الموقع هو العامل الهام الذي يعطي للسكان طابع الوحدة والترابط.

ب- أن المكان مطلب ضروري لقيام أي وحدة نظامية بنشاطها.

جـ- أن المكان شأنه في ذلك شأن الزمان يتيح الأطار المرجعي للملاحظة وذلك لأن الترتيبات المكانية تقدم المؤشرات الأكثر ملائمة لتحليل العلاقات البنائية.

هذا فضلا عن أن إهتمام المدخل الأيكولوجي بالمكان لا يتعارض والمنظور السوسيولوجي لدراسة المجتمع المحلي خاصة إذا تذكرنا أبسط التعاريف السوسيولوجية للمجتمع المحلي والتي يتضح منها أن المجتمع المحلي يتحدد من خلال بعدين أساسين هما الأقليم أو المكان المحدد والدائم، والمعيشة الإجتماعية الكلية.

وقد يتصور بعض الباحثين أن المدخل الأيكولوجي يتجاهل بطبيعته البحث في موضوعات علم الإجتماع التقليدية كالنظم والجماعات والمجتمع المحلي والثقافة والعادات والمشكلات الإجتماعية..الخ. الأمر الذي يجعله مدخلا غير ملائم أو بعيد كل البعد عن التحليل والفهم السوسيولوجي ولي في الرد علي هذا التصور بعض الملاحظات التي توضح بدورها مجال إستخدام المدخل الأيكولوجي في البحوث الإجتماعية:

أ- أن المدخل الأيكولوجي في إهتمامه بدراسة العلاقة بين الكائن الحي والبيئة يتم بالحياة الإنسانية كظاهرة عمومية أو جمعية وينظر للتوافق البيئي علي أنه مسألة تبادلية مما يؤكد إستخدامه لتصورات الجماعة والمجتمع المحلي والعلاقات المتبادلة.

ب- تحتل فكرة التنظيم كمظهر للتوافق الجمعي للبيئة مكانا هاما في التحليل الأيكولوجي لتكسب المدخل الأيكولوجي طابعا سوسيولوجيا. أن المدخل الأيكولوجي باهتمامه بالتنظم المعيشي يمد البحث علي حد تعبير بوسكوف - بمعلومات موثقة لفهم طبيعة التنظيم الإجتماعي للمجتمع المحلي خاصة وأن هذا التنظيم المعيشي أو الأيكولوجي هو نتاج بشري للتفاعل مع البيئة ومحصلة لعمليات إجتماعية في جوهرها. وهو فوق هذا كله عبارة عن مجموعة الظروف التي تؤثر بطريقة ما في القرارات التي يتخذها الأفراد والجماعات فيما يتعلق بروتينيات العمل والحياة. الأمر الذي يجعله يؤثر في التنظيم الإجتماعي ويتأثر به في نفس الوقت بعبارة أخري فإن المدخل الأيكولوجي في إهتماهه بتفسير أشكال التنظيم الأيكولوجي للمجتمع وتغيبيره إستجابة للضغوط السكانية والتكنولوجية والبيئة يسهم في تدعيم الإهتمام السوسيولوجي التقليدي بمفهوم التنظيم.

جـ- أن المدخل الأيكولوجي عندما يركز علي أنماط النشاط الفيزيقي الذي يمكن ملاحظته وعندما يجعل من هذا النشاط وحده أساسية للتحليل يقترب بذلك من مفهوم "الدور" في علم الإجمتاع ولكن بعيدا عن إرتباطاته أو تفسيراته السيكولوجية ليؤكد علي فكرة تبادل الأدوار علي إعتبار أنماط النشاط المتميزة عددا ونوعا هي في النهاية صفات وخصائص مميزة لمجموع السكان مما يؤدي الي تكامل المدخل الأيكولوجي مع المداخل الأخري للبحث السوسيولوجي.

د- أن المدخل الأيكولوجي في دراسته لبناء المجتمع ينظر إليه علي أنه نوع من التنظيم المكاني لأوجه النشاط المعيشي للأفراد في بيئة محدودة بموارد معينة وعلي أنه نوع من الرابطة الوظيفية للعلاقات البشرية المتبادلة التي تأخذ دلالة مكانية وهو بذلك يثير الإهتمام بقضية هامة في التحليل الوظيفي للنظرية في علم الإجتماع وهي ضرورة أن تعزي الوظائف الي وحدات التنظيم الإجتماعي "تجمعات النشاط بالمعني الإيكولوجي" وليس إلي أفراد أو

أشخاص كما يقرر المدخل السلوكي وليس الي رموز أو قيم كما يقرر المدخل الثقافي لدراسة التنظيم.

هـ- أن المدخل الأيكولوجي في تأكيده علي عنصر المكان وعلي العلاقات التفاعلية بين الأنسان والمكان يؤكد مفهوم العملية في البحث السوسيولوجي في مقابل التركيز التقليدي علي مفهوم البناء الذي كان يميز معظم الدراسات السوسيولوجية حتي عهد قريب لذلك فإنه يصبح مدخلا ملائما لأثراء المعرفة العلمية المنظمة عن التغير الإجتماعي خاصة في نظرته الي التغير علي أنه تحولات لأنماط التنظيم الإجتماعي التي تحدث علي مر الزمن بدلا من إعتباره تحولات أو تعديلات لأنساق القيمة وبناء الشخصية.

و- يعتبر البحث السوسيولوجي لظاهرة الحضرية والنمو الحضري من المجالات الهامة التي أسهم فيها المدخل الأيكولوجي إسهاما فعالا وإيجابيا بل أن النظرية الإيكولوجية في عمومها أرتبطت تاريخيا عدد من الدراسات التي أجريت في هذا المجال والتي إستطاعت أن تقدم إطارا تصوريا لدراسة النمو الحضري من خلال ماقدمته من نظرية دينامية لتحليل العمليات الأيكولوجية كالنمو والتوسع والإمتداد وبهذا أصبح المدخل الأيكولوجي وهو الذي يربط بين السكان والأقليم مدخلا ملائما لدراسة النمو الحضري وتحديد الأنماط الحضرية خاصة وأن دراسة التفاعل الذي يتم بين السكان والبيئة التي يعيشون عليها يحدد الي درجة كبيرة حجم السكان وطبيعة نشاطهم وإنقسامهم الي مجموعات ذات خصائص متميزة ويسهل في الوقت نفسه إستخدام مقاييس محددة بإختبار ذات خصائص متميزة ويسهل في الوقت نفسه أستخدام مقاييس محددة بإختبار درجات التحضر. أن المدخل الأيكولوجي في هذا الصدد يمثل إجراءا معينا لتبسيط الجمع المتراكم من الحقائق المرتبطة بالحياة الحضرية المعقدة وذلك من خلال إدراك القاعدة المادية أو المكانية التي تنشط فيها هذه الحقائق المختلفة. هو يقدم صورة مبسطة لتقسيم العمل بين الجماعات المتخصصة داخل المجتمع الحضري المعقد في إهتمامه بدراسة الجماعات النوعية ونشاطها المتميز

في قاعدة مكانية محددة، كما يتيح في الوقت نفسه قدرا كبيرا من إدراك التكامل والتنسيق بين هذه الوحدات أو الجماعات أو الأنشطة المتميزة. لذلك تعتبر المسوح الأقليمية للمدن الكبري وضواحيها وأطرافها والتي تعني تحليل أنماط الحياة الإجتماعية فيها الي جانب الدراسات المتعددة التي تعني بدراسة النمو الحضري والتخطيط الحضري والريفي ومشكلاته العلمية والعملية كلها تكشف عن المدي الذي يمكن أن يسهم به المدخل الأيكولوجي في مجال البحث الإجتماعي.

كما أن المعرفة التي يوفرها إستخدام المدخل الأيكولوجي فيما يتعلق بتوطن الصناعة وتوزيع السكان والتنقلات السكانية وتأثير النظم الحضرية والعلاقات المتداخلة بين المظاهر الفيزيقية والإقتصادية والإجتماعية والسياسية والثقافية للمجتمع المحلي فهي في مجموعها مادة أساسية لا غني عنها في مجال التخطيط سواء كان تخطيطا فيزيقيا أو إجتماعيا وإقتصاديا شاملا.

والي جانب هذه الإعتبارات العلمية في الرد علي إنتقادات المدخل الأيكولوجي نجد أن الدراسات الأيكولوجية ذات طابع تطبيقي مفيد فكثير من العاملين في مجالات إستخدام الأرض، والتحديد أو الأحياء الحضري، والعمارة والأسكان والمواصلات والهندسة البشرية يعتمدون في الحقيقة علي مايقدمه المدخل الأيكولوجي من نتائج تفيد في إتخاذ القرار في هذه المجالات التطبيقية. بل أن جانبا كبيرا مما يعني به المدخل الأيكولوجي يمثل في أغلب الأحيان أهتمام رجل الشارع:

إذ غالبا مايهتم الرجل العادي ببعض المسائل الإيكولوجية وهو بصدد إتخاذ قرار بأن إقامته في منطقة دون أخري مثل الطابع العام للمنطقة أو الحي متوسط الإيجارات نوعية السكان مدي القرب أو البعد من المدارس ووسائل النقل والمواصلات ومواقع العمل ومركز المدينة والحي التجاري.. الخ وهذه كلها أمور تدخل في صميم إهتمام المدخل الأيكولوجي الذي يوفر قدرا كبيرا من المعرفة الفيريقية والإجتماعية والثقافية بالمنطقة. ويصدق نفس القول علي

أصحاب رؤوس الأموال وهم بصدد التفكير في مشروعات لإستثمار أموالهم في مشروعات معينة وفي مناطق محددة. بل كثيرا ماتكون خريطة المبيعات التي يعني بها أصحاب المشروعات التجارية ليست إلا تعبيرا تجاريا للخريطة الأيكولوجية للمنطقة ويمتد الإهتمام بالمدخل الأيكولوجي الي مجالات أخري غير مجال البحوث الإجتماعية فنجد الباحثين في مجال علم النفس العام علم النفس الإجتماعي يعتمدون أساسا علي هذا المدخل وهم بصدد دراسة بعض الموضوعات مثل التوزيعات المكانية للمرض العقلي أو دراسة أثر التزاحم أو العزلة علي أنماط الشخصية والسلوك..الخ.

ويعتبر مجال دراسة المهن من المجالات الحيوية للبحث الأيكولوجي فطالما أن المهن أو الأعمال المخلتفة تتوزع توزيعا مكانيا محددا بالخصائص الفيريقية المتميزة للمنطقة أو المكان فإنها تكون بذلك مدعاة لإستخدام المدخل الأيكولوجي لفهمها ودراستها وتحليها خاصة إذا وضعنا في الإعتبار أن القيمة الإقتصادية والأيكولوجية للمكان أو الموقع قد تتفاوت من مهنة الي أخري بنفس القدر الذي تختلف بين منطقة وأخري داخل المجتمع.

هذا إلي جانب أن إختيار الأفراد لأعمالهم ومهنتهم أو علي الأقل تقبلهم لها قد تحدده في أغلب الأحيان بعض الإعتبارات الأيكولوجية أو الخصائص الفيريقية لموقع العمل.

الإجراءات المنهجية لإستخدام المدخل الأيكولوجي:

هناك بعض الخطوات التي يتعين علي الباحث إتباعها وهو بصدد إجراء بحث أيكولوجي هي:

١- وضع خريطة للتوزيع المكاني للأفراد والجماعات والأنشطة المختلفة في منطقة البحث، وذلك في ضوء عدد من المتغيرات والمسائل التي يعني بدراستها.

فالتوزيع المكاني لأفراد أو الجماعات في ضوء متغير كالموطن الأصلي

يختلف بالطبع عن التوزيع المكاني لمستويات التعليم أو المهن المختلفة أو إنتشار الجرائم، أو الكثافة السكانية .. لابد وأن يوضح الباحث علي هذه الخريطة المعالم الأساسية للمنطقة مشتملة في ذلك علي الحدود والطرق العامة، والمداخل وشبة وسائل النقل والمرافق العامة والخدمات..اخل

٢- ملاحظة التفاعل الإجتماعي في جزئياته ماتفاصيله، وغالبا ما يستخدم الباحث الأيكولوجي، أو يربط بين مايستخدمه الباحث الإجتماعي من طرق وأدوات فنية لجمع البيانات فهو يستطيع أن:

أ- يستخدم الملاحظة للتعرف علي أنماط التفاعل الإجتماعي داخل حدود منطقة محلية معينة، وهنا تصبح المعلومات الوصفية التي يجمعها عن طريق الملاحظة ذات أهمية خاصة في تحليل وتفسير ما تكشف عنه خرائطه من توزيعات مكانية للمتغيرات والظواهر التي يعني بدراستها.

ب- يعتمد علي البيانات الإحصائية المرتبطة بمنطقة البحث كعدد سكانها وكثافتهم ومعدلات المواليد والوفيات والتركيب النوعي ..الخ.

جـ- يقوم بمسح وصفي للحصول علي المعلومات والبيانات التي لا توفرها المصادر الأحصائية الرسمية أو التي لا يستطيع جمعها عن طريق الملاحظة مثل أنماط النشاط الإجتماعي مواقف الأفراد وإتجاهاتهم نحو بعض المسائل، متوسط القيمة الإيجارية نوعية المشاكل التي تواجه سكان المنطقة..الخ.

٣- ملاحظة وتحديد أنماط التكامل الإجتماعي ليتعرف علي مظاهر تقسيم العمل وأبعاده وحدود التعاون أو الصراع أو المنافسة بين الجماعات المختلفة أو العناصر المكونة لمجتمع البحث.

٤- وأخيرا يستطيع الباحث من خلال هذا كله أن يحدد مناطق طبيعية "تنقسم اليها منطقة بحثه ليوضح أنماط الحياة التي تسود كل منها، وأنواع الأنشطة التي تلعب عليها، ونوعية المشكلات التي تواجه كل منطقة، والوسائل التي يمكن إتباعها لمواجهة هذه المشكلات. وبالطبع لن يتأتي له ذلك

إلا بعد أن يقوم بجميع بيانات مستفيضة عن منطقة البحث خلال فترة زمنية يكشف فيها عن التطور التاريخي للمنطقة مقارنا الإتجاهات السابقة والحالية لهذا التطور حتي يتمكن في النهاية من إستخلاص بعض التنبوءات التي ترتبط بمستقبل الحياة الإجتماعية فيها.

التمرين المقترح للطالب:

وللتدريب علي إستخدام المدخل الأيكولوجي عليك أن تختار إحدي مناطق العمل القريبة منك لتدريس أيكولوجيتها الإجتماعية. ولأن التحليل الأيكولوجي يرتبط ويفيد كثيرا من التحليل المقارن فأنه يفضل أن نقوم بدراسة نموذجين مختلفين من مواقع العمل حتي يمكنك إجراء مقارنة بينهما في حدود النتائج الإجتماعية لخصائصها الأيكولوجية (يمكنك الإستعانة بدراسة زميل لك لأحدي مواقع العمل التي تختلف عن النموذج الذي إخترته ولو أننا نفضل أن تقوم بمفردك بدراسة النموذجين المختلفين).

واليك أهم الخطوات التي يمكنك الإسترشاد بها لأجراء بحثك:

أولا: عليك قبل النزول الي الميدان أن:

١- تحدد مواقع العمل التي ستقوم بدراستها وأحرص علي أن يمثل كل منهما نموذجا مختلفا سواء من حيث الموقع المكاني أو الحجم أو طبيعة العمل نفسه (تستطيع أن تقارن مثلا بين مصلحة حكومية ومشروع تجاري أو مصنع أو بين مصنع كبير وورشة حرفية صغيرة، أو بين مصنع في وسط المدينة وآخر علي أطرافها وضواحيها أو بين مؤسسة تجارية وبين مؤسسة إجتماعية).

٢- حدد أوجه النشاط التي ستركز عليها والتي تتصور أن تفيدك في فهم المناخ الإجتماعي لموقع العمل، ولا تقتصر فقط علي السلوك الظاهر أو الرسمي بل تذكر أن الأفراد يعيشون في هذا الموقع ثلث يومهم أو أكثر، ولذلك أمتد بتحليلك الي دراسة مختلف أنماط التفاعل الإجتماعي المتوقع حدوثها بينهم.

٣- حدد أي المعلومات الوصفية التي تحتاج الي جمعها وتفيد لتوضيح مظاهر النشاط الإجتماعي في الموقع مثل التركيب النوعي والتركيب العمري والوطن الأصلي بناء الدور والمكانة ومستوي التعليم..الخ. وعليك أن تحدد أنماط الفعل الإجتماعي التي ستركز عليها ملاحظاتك (يمكنك الإستعانة بالإجراءات المنهجية التي ذكرناها فيما بعد لإستخدام الملاحظة في البحث الإجتماعي).

ثانيا: عليك عند نزولك الي الميدان أن تقوم:

١- برسم خريطة لموقع العمل والمنطقة الواقع فيها موضحا حدودها وممراتها والتوزيع السكاني للأفراد والأنشطة المختلفة ومختلف الخصائص الفيزيقية لموقع العمل مثل البوابات، أماكن الإستراحة، المرافق، المخازن عنابر الإنتاج، مكاتب إدارة، التوزيع المكاني للعاملين أثناء العمل.

٢- ملاحظة عمليات التفاعل الإجتماعي وأنماطه التي تحدث في المنطقة أو في موقع العمل.

٣- توجيه بعض الأسئلة التي تراها ملائمة لدراستك مثل مدي قرب موقع العمل أو بعده عن محل الإقامة والمواصلات وأثر الظروف الفيريقية المحيطة علي الأداء وعلي أنماط التفاعل الإجتماعي بين العاملين وعلي شعور العامل بالرضا عن عمله أو بالعزلة عن زملائه أو بالإبتعاد عن رقابة الرؤساء والإدارة.

٤- ملاحظة حالات التكافل التي تقع داخل موقع العمل بل في المنطقة ككل لتوضح أنماط ومدي الإعتماد المتبادل بين الأفراد وإلي أي حد يؤثر موقع العمل بخصائصه الأيكولوجية سلبا أو إيجابا في المنطقة المحيطة بها.

٥- تحديد أنماط تقسيم العمل في الموقع وطبيعته هل هو تقسيم رسمي خطط له من قبل الإدارة أم أن هناك تقسيما آخر إتفق عليه بين العاملين بطريقة غير رسمية وما النتائج المترتبة علي ذلك علي المناخ الإجتماعي لموقع العمل، هل يحدث توافق أم صراع أو توافق..الخ.

٦- توضيح أهم العمليات الأيكولوجية التي حدثت أو لا تزال في موقع العمل وفي المنطقة المحيطة هل حدث توسع أو إمتداد أو غزو هل هناك عزل واضح بين المناطق السكنية والمهنية، هل تحدث عمليات عزل داخل موقع العمل نفسه وعلي أي أسس هل علي أساس فني يرتبط بطبيعة العمل أم علي أساس قرابي أو نوعي (ذكور وأناث) وما نتائج ذلك علي المناخ الإجتماعي السائد.

ثالثا: عرض النتائج:

عليك بإعداد تقرير تعرض ليه النتائج التي توصلت إليها بحيث يشتمل علي مايلي:

١- مناقشة أنماط التفاعل وطبيعة المناخ السائد في موقع العمل بالمقارنة بنموذج آخر لتوضح الآثار الإجتماعية التي تترتب علي إختلاف الخصائص الأيكولوجية لكل موقع.

٢- أدلة أو شواهد لمختلف النتائج التي تتوصل إليها، فإذا توصلت مثلا إلي إحدي النتائج التي تقرر فيها أن عزل منطقة ما (أو عنبر أو قسم من الأقسام) في موقع العمل بعيدا عن مكاتب الإدارة أو الأشراف يؤثر في كفاءة الأداء أو في نوعية العلاقات السائدة بين العاملين فعليك أن تدعم هذه النتيجة ببيانات توضح إختلاف معدلات الإنتاج أو حالات الشجار أو التفاهم بين العاملين في هذا القسم عنها في قسم آخر يخضع - لقربه الفيريقي - للإشراف المباشر من جانب الرؤساء أو الإدارة.

٣- وصف أيكولوجي شامل لموقع العمل يشتمل بدوره علي توضيح خصائص الأيكولوجيا الفيريقية للموقع ومتضمنا في نفس الوقت وصفا للحياة الإجتماعية داخل الموقع في حدود تأثرها بهذه الخصائص الأيكولوجية مع توضيح إتجاهات العاملين وآرائهم حول هذه الخصائص الأيكولوجية ومقترحاتهم بصدد أدخال بعض التغيرات التي يرونها ضرورية ولازمة (تستطيع أن تحصل علي هذا الوصف أما عن طريق إستمارة إستبيان توجه أسئلتها لبعض العاملين في الموقع أو أن تطلب من بعض العاملين إعداد تقرير شامل عن مختلف هذه

المسائل علي أن تنافس ماجاء بتقريرهم في ضوء ماجمعته من بيانات وصفية أو لاحظته من أنماط التفاعل لتقدم في النهاية تحليلا مقارنا لتأثير الخصائص الأيكولوجية لموقع العمل علي الحياة الإجتماعية السائدة فيه وفي المنطقة ككل.

الفصل الخامس
مناهج البحث الاجتماعى

أولا: المنهج التاريخي.

ثانيا: المنهج المقارن.

ثالثا: المنهج التجريبي.

تمهيد:

يعالج الفصل الحالي الأنواع المختلفة في مناهج البحث الاجتماعي ويركز بوجه خاص علي ثلاثة أنواع منها درجتي مراجع البحث الاجتماعي على تناولها باعتبارها من أكثر المناهج شيوعا واستخداما في البحث الاجتماعي، وعلى الرغم من أن هناك بعض المراجع في تراث البحث الاجتماعي تضيف إلي قائمة أنواع مناهج البحث الاجتماعي بعض الأنواع الأخرى من المناهج، وخاصة المنهج الاحصائى، فالواقع أن عدم خوضنا بالتحليل فى تفاصيل هذا المنهج نابع من اعتقادنا فى أن المنهج الاحصائي كما تعالجه هذه المراجع، لايقف كمنهج متميز إلي جانب المنهج التاريخى والمنهج التجريبي والمنهج المقارن. وإن كانت هناك إجراءات منهجية احصائية فإن من أهمها استخدام الاحصاء كطريقة في تصميم مجتمع البحث أو اختيار عينة وهذا ما سنعالجه بالتفصيل فى دراستنا لتصميم البحث الاجتماعي، وكذلك استخدام الاحصاء كطريقة في التحليل الاحصائي للبيانات الجاهزة أو التى تم جمعها في البحث خاصة في عملية التبويب، والتصنيف، واختبارات الدلالة وغيرها. وبناء على ذلك يمكن القول أنه إذا كانت هناك أهمية لمعالجة المجتمع الاحصائى فى البحث الاجتماعى فإن هذه الأهمية لاتعدو وأن تكون نابعة من النظر إلي هذه الإجراءات المنهجية فى الاحصاء بمثابة طرق فى البحث الاجتماعى أكثر منها منهج، ولذلك وضعنا فى دراستنا لطرق البحث جانبا لتناول البيانات الجاهزة الاحصائية كطريقة في البحث، وارجئنا الحديث عن مجموعة الطرق الاحصائية الأخري، وخاصة تصميم العينة. وتحليل البيانات إلي دراستنا لتصميم البحث الاجتماعى ويدور تحليلنا لأنواع المناهج حول موضعات محدده، هى بداية استخدام المنهج في علم الاجتماع والمقصود به، والعلماء الذين سبق أن استخدموه، والخطوات التى يمر بها، والمشكلات التى تواجه كل منه.

أولا: المنهج التاريخي في دراسة الظواهر الاجتماعية*

١ - لماذا يدرس عالم الاجتماع الماضي؟

أحيانا يتطلب البحث العلمى أن ندرس الظاهرة محل الدراسة من وجهة النظر التاريخية. والحقيقة أن هناك العديد من الأسئلة المتعلقة باستخدام المنهج والمصادر والبيانات التاريخية فكثيرا ماتثار التساؤلات الآتية:

ماذا يعلم ويستفيد المتخصص في شئون الحياة الاجتماعية خاصة المعاصر منها، من السجلات القديمة التى جمعت وكتبت من أشخاص لهم اهتمامات مختلفة؟ كيف يفيد تتبع الحوادث الماضية - المحفوظة في وثائق - في فهم حياة الأجيال فى القرون الماضية؟

والحق أن الإجابة علي هذه الأسئلة ليس بالأمر الهين، ولكن عامة يمكن القول أنه في دراسة الماضي فإننا نفترض بأن الحياة الماضية لأى جماعة ولنظمها الاجتماعية تقف في علاقة سببية مع الحياة الحاضرة للجماعة ونظمها الاجتماعية. فالتاريخ والنضال الاجتماعي لأى جماعة متداخلين كل منهم في الآخر فالماضي يحتوى نتاج الحاضر فالحياة الاجتماعية تتميز بالتغير والديناميكية ولهذا يجب تصور أو التنبؤ - من خلال دراسة الحاضر والماضي - بمراحل النمو المتعاقبة. ولقد أشار Park بأن لاشئ يحدث من فراغ اجتماعي، فالكل شئ تاريخ ونمو طبيعى، وهذا يشكل تأثيرا واضحا على الحاضر.

كذلك اثيرت سلسلة من التساؤلات عن معنى الماضي، وإلي أى حد يجب أن نتعمق في تاريخ جماعة ما أو ظاهرة معينة قبل أن تكشف عن ماضيها؟ ما الذي يشكل تاريخ الظاهرة: هل مركب التلازم الوجودي، أم تداخل العمليات الاجتماعية أم الحركات الثقافية التاريخية، أم مختلف المراحل الثقافية والاجتماعية أم التطور التاريخى؟ هل عملية التسلسل أم أنماط التعاقب أم الدوائر أم الدوريات في العمليات الاجتماعية هو الذي يعطى أصلية ظاهرة معينة أو نظام اجتماعي أو مشكلة اجتماعية نهتم بدراستها؟

---

* هذا الفصل من أعداد الدكتور محمد أحمد بيومى

وهناك أيضا الكثير من الأسئلة التى ربما تثار عندما نحاول تعريف الماضي وهذه الأسئلة بالرغم أنه من الصعب الإجابة عليها، إلا أنها تمثل أهمية بالغة بالنسبة للباحث الاجتماعى الذي يحاول الوصول إلي فهم شمولي للعملية الاجتماعية الاستمرارية لجماعة ثقافية أو نظام اجتماعى أو ظاهرة اجتماعية لمركب متنوع والذي يقوم بدراسته بالتفصيل. وربما تكون الإجابة العملية الوحيدة التى تعطي في الرد على هذه الأسئلة بأنه مثاليا ليس هناك حدود على التعاقب الزمنى الذي يريد الباحث الكشف عنه. ولكن من الناحية العملية هناك اعتبارات أخرى تتعلق بالزمن الذي سوف يستغرق والجهود والميزانية المتاحه لمثل هذه الدراسة وهناك أيضا اهتمام بالاختلافات بين بيانات التاريخ والعلوم الاجتماعية. وفى الحقيقة كل عالم اجتماع قد تعرض لمشاكل المناهج التاريخية نجده كتب بطريقة أو بأخري عن ما يعتبره هو وزملاءه من اختلافات أساسية بين التاريخ وعلم الاجتماع أو بين التاريخ والعلوم الاجتماعية. ويكفى هنا القول بأن العلماء الاجتماعيين لايكتفون بمجرد سجل لمجرى الاحداث الإنسانية ولكن يتطلبون تحليل للمشاكل الإنسانية والعوامل التي تؤثر فى تطور الجماعة والمعالجات التاريخية التى تهتم بتحليل القوي الاجتماعية والتأثيرات التى تشكل الحاضر قد أخذت أسماء أو فروع جديدة مثل التاريخ الجديد New history التاريخ التحليلي Analytcal history والتاريخ التركيبي Synthetic history التاريخ الثقافى Culture history.

وعملية استخلاص المبادئ من خلال البحث في أحداث الماضي وتحليل الحقائق المتعلقة بالمشاكل الإنسانية والقوى الاجتماعية التى شكلت الحاضر هو مايطلق عليه اسم المنهج التاريخى Historical Method.

٢- اعلام المنهج التاريخي:

(١) من أول اعلام المنهج التاريخي فى الدراسات الاجتماعية هو ابن خلدون الذي حاول أن يقف وقفه موضوعية من الدراسات السابقة عليه وبين كما سنرى فيما بعد الخطأ الذي وقع فيه المؤرخين القدامى من عدم التمحيص

العلمى لمصادر البيانات التاريخية. وفي مقدمة ابن خلدون يجد الباحث نموذجا للعلاقة المتبادلة بين التاريخ وعلم الاجتماع.

(٢) كذلك نجد في أوربا كثير من العلماء الذي بلوروا استخدامات المنهج التاريخى في الدراسات الاجتماعية. ومن الأمثلة على ذلك الفيلسوف الايطالى جيوفاني باتيستافيكو Ciovani B. Vico فى كتابه العلم الحديث الذى بين فيه مبادئ المنهج التاريخى والتى تتميز بالآتى:

أ- يجب على الباحث الاجتماعى فى دراسته للنظم أو الظواهر الاجتماعية الرجوع إلي جذورها الأولى والعصر الذي صهرت منه.

ب- إن تاريخ الإنسانية قد مر فى تطوره بمراحل هى المرحلة الدينية ومرحلة البطولة والمرحلة الإنسانية.

جـ- يعتمد المنهج التاريخي على المصادر الآتية: الوثائق والمستندات، القصص الأدبية، العادات الاجتماعية، التنظيم السياسي للمجتمع، اللغة والقانون الأديان والأساطير.

(٣) كذلك حاول سان سيمون Saint Siman الربط بين المنهج التاريخي والمنهج العلمى للبحث فالتاريخ بالنسبة لسيمون هو الحالة الاجتماعية للشعوب والمنهج التاريخى عند سان سيمون يستند إلي الدعائم الآتية:

أ- تاريخ الإنسانية وحدة واحدة متصلة فالماضى والحاضر والمستقبل حلقات فى سلسلة واحدة.

ب- إن كافة الظواهر الاجتماعية لها بوضعها الواضح والمحدد تحديدا دقيقا فى السلسلة التاريخية فالملاحظة التأملية للماضى هي التي تساعد في الوصول إلي المعرفة الحقيقية للمستقبل.

جـ- التفسير التاريخي هو الذي يساعد الباحث فى ادراك الظواهر فى وضعها الحاضر وأن يقم الدعائم التي يمكن أن تستند إليها فى المستقبل.

د- الباحث مطالب بدراسة النظم الاجتماعية والسياسية في المراحل المختلفة المحيطة بالظاهرة موضوع الدراسة. فهذه النظم هى التي تعطيه صورة حقيقية للأوضاع القائمة فى هذا المجتمع فى الفترة الزمنية محل الدراسة. كذلك يرى سيمون أن التقدم الفنى هو المحور الأساسي لتطور الحركة الاجتماعية ولهذا فمن الضروري أن يهتم الباحث بتطور العلوم والفنون.

هـ- إن تاريخ العقل الإنسانى بوجه عام وتاريخ العلوم بوجه خاص تحدث تطورها بصور ثلاث: الأول تخمينى يذهب من تعدد الآلهة إل اله واحد. والثانى وسط بين التخمين والواقعية يذهب من تصور علة غير منظوره إلي تصور القوانين. والثالث الواقعي يرمى إلي تفسير العلم بقوانين واحدة.

و- الصراع عند سيمون من مستلزماته التقدم، فالصراع هو الذي يدفع الإنسانية إلي الأمام وساعدها علي التقدم. ولذلك من الضروري أن يتضمن المنهج التاريخى الوقوف على حالات الصراع عبر التاريخ والمظهر الذي تتخذه كل حالة منها. كذلك الثورات ذات دلالة بالغة الأهمية فى تطور الحضارات.

(٤) أما أوجست كونت Auguste Comte فيرى أن تطور العقل يتحكم فى تقدم البشرية ولذلك لقد مرت الإنسانية بمراحل ثلاث هى:

المرحلة الدينية والميتافيزيقية والوضعية. وذلك من قانون الحالات الثلاث وكل مرحلة من هذه المراحل تقضي نوعا من التفسير. وهذه المراحل الثلاثة يجب أن تعرض كما يقول كونت فى ثانيا إطار تاريخى يؤكدها ويوضحها لذلك يجب أن يعني الباحث بتتبع ظهور الحضارات عبر التاريخ وأن يهتم بدراسة التاريخ الخاص بالعلوم وتطورها لأنها تعكس تطور الفكر الإنسانى في مراحله التاريخية.

(٥) أما كارل ماركس Karl Mdrx فيرى استخدام المنهج التاريخى لفهم تطور

الصراع الإنسانى مع بيئته المادية والاجتماعية وما ينجم عنها من علاقات بين الطبقات الاجتماعية. فالمادية التاريخية عند ماركس هي تفسير التطور التاريخي ابتداء من هذه العلاقات الأساسية التى تحتمل فى ثناياها وجود الإنسان ومختلف الآراء التي يكونها لنفسه عن موقعه الخاص. وتتبع ماركس تاريخ الإنسانية ودور الصراع في كل مرحلة تاريخية، وانتهى إلى أن آخر الطبقات الاجتماعية فى الظهور هى الطبقة العاملة التي لاتكتفي بفهم موقفها وإنها تستطيع بناء علي هذا الفهم أن تدرك فهم الطبقات الاجتماعية الأخري وحركة التاريخ.

(٦) فوستيل دى كولانج Eustel de Coulangee من أن المؤرخ أو العالم الاجتماعى الذى يدرس مشاكل الحاضر يجب عليه الرجوع إلي الماضي الذي قد شكل مشاكل اليوم. فلا يمكن اغفال ماضي الظاهرة ولذلك فإن اهتمام الباحث بالتاريخ ليس فى مجرد الوقوف على سلسلة الحوادث التاريخية ولكن يجب التركيز على تحليل المشاكل الإنسانية تحليلا دقيقا لمعرفة العوامل التي تؤثر فى تطور الجماعة ونظمها.

(٧) كذلك هناك العديد من علماء الاجتماع المعاصرين من أمثال سروكن Sorokin وستيوارت شابين S. Chabin ورايت ميلز C. wrigh Mills وليبست S.Lipset الذين بينوا أهمية التحليل التاريخى في دراسة التغير الثقافى وتطوره وأنه لايمكن عزل أى ظاهرة اجتماعية عن سياقها التاريخى أو العصر الذي تنتمي إليه ولذلك يجب استخدام التحليل السوسيولوجي التاريخي المقارن فى فهم الظواهر ومشاكل المجتمع.

٣- البحث الاجتماعى والتاريخ:

إن قيمة استخدام المنهج التاريخي في الدراسات الاجتماعية تظهر فى دراسة ماكس فيبر للجماعات الدينية. فمن الملاحظ أن فيبر قد قرأ البيانات التاريخية بتوسع إلا أن استخدامه كان بطريقة متميزة فلم يبذل محاولة لإحياء أحداث الماضي فى كل تفاصيلها أو خلق من أحداث الماضي المتركمة صورة عن

الماضي: عن صور الأشخاص وحياتهم الإنسانية وخصائص كل منهم.

علي العكس من ذلك فنحن نهتم بالحوادث المتميزة وحدوثهم فى وقت وظروف معينة. هذه الحوادث هى التى تفحص من أجل الوصول إلي تفسير عن العمليات التى أدت إلي وجودهم واستمرارهم فبدلا من الاهتمام بالسؤال: ماذا حدث فى ذلك الوقت والمكان؟ فعالم الاجتماع يهتم بالأسئلة الآتية: لماذا ظهرت مثل هذه الأشياء فى الوجود؟ وماهى الآثار التى تركوها على حياة الناس والجماعات المتعلقة بذلك؟ ففي دراسة ماكس فيبر فالتركيز كان علي المتطهرين Puritanism إلا أنه يجب التنبيه إلي أن اهتمام فيبر كان مركزا علي هذه الفرقة على أنه نموذجا ممثل لفرق البروتستانية.

ولقد درس فيبر فرق أخري مثل Mettodism, Pietism The Baptist Sects من أجل معرفة الخصائص العامة المشتركة بين هذه الفرق البروتستانية.

فالتاريخ على أية حال، يهتم بقدر مناسب بأحداث خاصة وتحديد المكان والزمان الخاص بها. أعنى أن التاريخ يهتم بسجل متقن عن كيف ومتي وأين اختفت والمؤرخ يشرح الحادثة بوصف الظروف التى أدت بها والتى نمت من خلالها بالإضافة إلي أنه ربما يشير إلي بعض النتائج الهامة التى قد تتابع كنتيجة للحادثة.

وبكلمات أخري فإن دراسة فيبر لفرقة المتطهرين هو محاولة لتجنب سرد قائمة تاريخية للحوادث بدون ترابط بينها ولكن الاهتمام كان حول المركب الأساسى للعوامل العلمية التى أدت إلي ظهور الرأسمالية الحديثة وخصائصها وتأثيرها على البناء الاجتماعى في ذلك الوقت. ولم يكن الهدف هو إنتاج رواية تاريخية غير نقدية، ولكن الهدف معرفة تأثيرها على الظواهر والأنظمة والمشاكل الاجتماعية الراهنة ولهذا السبب فليس هناك دراسة قد تمت منذ القرن التاسع عشر من المحفوظات أو الوثائق الأصلية عن تواريخ الأسر السابقة ولكن الوثائق التاريخية التى تفسر الأحداث هى التي فحصت بدقة أعنى ليس التاريخ في حد ذاته ولكن التاريخ الثقافى هو اهتمام المؤرخين المتأخرين الذين

نظروا إلي التاريخ فى ضوء مركب العالم الاجتماعي.

على أية حال هذه التفسيرات للتاريخ قد استخدمت عندما ثبت أنها كتبت بباحثين متخصصين كانوا ليس ببعيدين عن المسرح التاريخى للحدث. ففي البحث الاجتماعي نحاول أن نتتبع التطور التاريخي لكى يفيد بناء العمليات الاجتماعية وتربط الحاضر بالماضي ونفهم القوى الاجتماعية الأولى التى شكلت الحاضر من أجل الوصول إلي مجموعة من المبادئ أو القوانين الاجتماعية. وفي أى دراسة اجتماعية تستخدم المنهج التاريخى ليس الهدف هو العيش فى الماضي بمنظور الحاضر ولكن دراسة الأحداث عامة من خلال عينات ممثلة من أجل وصف عمليات التغير التى ربما تتكرر تحت نفس الظروف، فليس الهدف هو دراسة نقدية لمعرفة صحة أو صدق الحقائق لتصف وتفسر وتتنبأ بالأنماط المماثلة للسلوك الإنسانى تحت أوضاع اجتماعية معروفة.

ففى المسوح الاجتماعية نهتم بتركيب الماضي من أجل الوقوف علي تأثيره في المشاكل الاجتماعية الراهنة، وتحدد الظروف المتطلبة للعلاج والتصحيح ونجد أساسا صحيحا للتخطيط الاجتماعى والاصلاح الاجتماعى. فنحن نبحث عن إشارات ربما تبين وتشير إلي أصول ومصادر هذه المشاكل ودرجة التأثير التى كانت تحدث علي ظروف حياة الجماعة ووسائل وطرق التحكم في هذه المصادر والمؤثرات وليس من الضرورى أن يرجع الباحث في دراسته سواء كانت مسوح أو بحث - إلي هيرودوت Herodatus (ابو التاريخ) لمعرفة أو لتتبع تسلسل ونتائج عمليات الصيرورة الاجتماعية. وعلى الباحثين الذين يستخدمون البحث التاريخي أن يستعينوا بعلوم أخري مثل علم المخطوطات القديمة Paleography وعلم الآثار القديمة Arogeikigy وعلم التقاويم Chranology وعلم الجغرافية Geography وعلم الاثنوجرافيا Ethmogrophy وبعض العلوم الأخري.

٤- مصادر البيانات التاريخية:

غالبا ما يحصر الباحث الاجتماعي المصادر التى يستخدمها في المعلومات التاريخية فى ثلاثة مصادر رئيسية هى:

١- الوثائق Documents والمصادر التاريخية التى يستخدمها المؤرخ نفسه.

٢- مواد التاريخ الحضارى والتاريخ التحليلى.

٣- المصادر الشخصية المجمعة عن طريق ملاحظتين وشهود موثوق بهم.

أما بالنسبة لمتي وكيف وتحت أي ظروف تستخدم أحد أو كل هذه المصادر فإن ذلك يعتمد إلي حد كبير على فطنة الباحث واهتماماته وميوله ومجال دراسته كذلك توافر أحد هذه المصادر عن غيرها أثناء إجراء الدراسة.

على أية حال يمكن القول بأن الوثائق تستخدم استخداما مباشرا عندما لاتكون الحوادث التى تصفها أو تصورها قد حللت بواسطة المؤرخين كذلك عندما يريد الباحث الاجتماعي التحقق بطريقة مباشرة عن صحة حوادث معينة كذلك تستخدم الوثائق كمصادر للمعلومات التاريخية عندما لاتكون بعضجوانب معينه من الأحداث أو الوضع التاريخي محل الدراسة غير متضمنه فى الكتابات المتأخرة للمؤرخين التحليليين. وأخير تستخدم الوثائق عندما يحتاج الباحث الاجتماعي إلي معرفة حلقة مفقودة في المعرفة التاريخية لوضع اجتماعى معين.

فالوثيقة فى شكل سجل لتسلسل الحوادث التاريخية قد يكون لها فائدة فى تفسير الموقف محل الدراسة.

ومما هو جدير بالذكر فى هذا المقام هناك وجهتان نظر مختلفتان حول - الاستخدام المباشر للوثائق - فهناك رأى ينادي بعدم اللجوء إلي استخدام الوثائق إلا بعد أن يكون قد مضي عليها عدة أجيال.

أما الرأي الأخير فهو يري أن استخدام الوثائق الحديثة أو المعاصرة لاغبار عليه طالما كانت هي المصدر الوحيد المتوفر للبحث. كذلك يرى هذا الرأى

الأخير أنه كلما كان الباحث قريب زمنيا لجو الوثيقة كلما كان أقرب إلي فهم روح ومسرح الأفعال لهذه الحوادث.

والحق أن هناك وجهة صدق بالنسبة لكل من هذين الرأيين ويترك الإجابة علي هذه المشكلة للباحث نفسه الذي يستخدم الوثائق الأصلية عند استخدامه كل مرة لهذه الوثائق. وذلك لأن فهمه قد يختلف ويتنوع حسب الوثائق المتباينة التي يدرسها وحسب هدف الوثائق وهدف بحثه. كل هذا متروك لفطنة الباحث وقدرته كذلك لاتجاهاته العلمية.

وقد لاحظ هوارد بيكر Howard Becker إن ما يقصد بالبيانات التاريخية هو كل معلومات متوفرة عن أناس معينين وتكشف عن هذه المعلومات عن فترة تاريخية لأكثر من ثلاثة أو أربعة أجيال والسبب الذي جعل هوارد بيكر يركز على استخدام الوثائق القديمة لثلاثة أو أربعة أجيال ماضية هو اعترافه بأن مصدر المعرفة عن الحاضر لايمكن توافرها إلا عندما يصبح هذا الحاضر ماضي تاريخي Past Historical فكثير من الوثائق التى تصف أو تتناول أحداث الحاضر من العسير أن تكون في متناول الباحثين. هذا بالإضافة إلي أن الوثائق المتعلقة بالحاضر أو الماضي القريب لاتمد الباحث بالمعلومات الأساسية الضرورية لعقد مقارنات وتعميات متشابهة. وهذا لايعنى أن الوثائق المعاصرة ليست بذات فائدة فالباحث يستطيع أن يستخلص منها الحقائق والعوامل الاجتماعية التي تساعد على فهم الموقف الحاضر ولكن كيف وإلي أى حد يستطيع الباحث أن يستخلص المبادئ من هذه الوثائق المعاصرة ذلك مازال يشكل صعوبة لايمكن الإجابة عليها بطريقة مباشرة أو عامة.

على أى حال يمكن أن نعرف الوثائق بأنها أى مادة مكتوبة يمكن أن تكون معرفة عن السلوك الإنسانى أو وضع معين والباحث الاجتماعى يهتم بالوثائق التى لم يتدخل الباحث فى كتابتها مثل الوثائق الشخصية، السجلات الإدارية، التقارير العامة، تعداد السكان، مسوح اجتماعية سابقة، احصاءات عن الصحف والاقتصاد، سجلات عن المنظمات الخيرية، سجلات المحاكم، سجلات

المدارس، الجرائد والمجلات، شرائط الإذاعة والتليفزيون، الأغانى والفولكلور والأفلام والشعر، الخطب، القوانين الوضعية، النقود والآثار والمباني القديمة، علوم التقاويم، المحاضرات والاتفاقيات وسير الأشخاص وتراجم حياتهم.

وليكن معروفا للباحث الاجتماعى أن المؤرخين أنفسهم يعترفون بأن المؤرخين القدامي الذي قدموا الأحداث لنا لم يقدموا لنا وصفا حقيقيا للأحداث نفسها ولكن قدموا وصفا لانطباعاتهم للأحداث التى يصفوها فكثيرا من المؤرخين القدامى كانوا مدافعين عن عقائدهم الدينية أو كانوا ينتمون لفرق معينة أو يدافعون عن مبادئ فلسفية أو سياسية معينة ولهذا فإن الباحث الاجتماعى عند معالجته للوثائق يجب أن يفي بما يأتى:

١- أن يتخلص من التفاصيل التي قد يكون لها طابعا ذاتيا ويكتفي بالنتائج الرئيسية التى تفسر أو تصور الظاهرة أو الأحداث محل الدراسة.

٢- أن يعمل الباحث علي ترتيب المعلومات التى يستخلصها ويضعها على أساس - العلاقات المتبادلة بين الحقائق وبهذا يمكن التفرقة بين التاريخ الحقيقى والتاريخ المزيف.

٣- ألا يعتمد الباحث علي مصدر واحد فى معلوماته كذلك لايعتمد على أساليب واحدة فى تفسير الظاهرة أو الموقف موضوع الدراس.

٤- على الباحث أن يحصر اهتمامه في البحث على الأنماط الاجتماعية والعمليات الاجتماعية والتي لها تأثير علي السلوك الإنسانى والجماعات والأنظمة الاجتماعية.

٥- أن يخضع مصادر بياناته للفحص الدقيق وذلك عن طريق استخدام أدوات منهجية تكشف عن مدي صدق هذه البيانات.

٥- كيفية نقد البيانات التاريخية:

غالبا ماتكون البيانات التاريخية ذات أهمية عندما تحتوي منظورات واسعة أو عندما تشير إلي وجهة نظر معينة. ولقد أشار سدنى فاى بتعقد وتداخل

العوامل السببية المتعلقة بوصف الحوادث التاريخية ففى كتابه عن أصول الحرب العالمية بين لنا كيفية البحث عن كل المصادر التى قد تكشف عن أسباب الصراع التى أدت إلى نشوب الحرب العالمية. فهو يرى أن معرفة هذه الأسباب ليس بالأمر الهين ولذلك يجب أولا الرجوع إلى الماضي البعيد لمعرفة تاريخ أوربا السياسي في خلال القرن الماضي كذلك يجب أن تتضمن معرفة الأسباب دراسة فنية للقوى العسكرية والبحرية لمختلف الدول وخططهم للغزو وعلاقة السلطات العسكرية المدنية في كل من هذه الدول كذلك نفسية الخوف وكل العوامل الأخري التى خلقت مفاهيم غامضة من التسليح والقرصنة كعوامل أدت إلي الحرب.

كذلك من الأهمية بمكان دراسة وتحليل هذا المركب المعقد الذي بدأ مع الثورة الفرنسية، ثم بدأ بالتدريج ينمو ويقوي خلال أكثر من قرن والذي يطلق عليه اسم القومية. وهذا بدوره متعلق بدراسة المشاكل النفسية والسياسية المتعلقة بالدين والعنصر والديمقراطية والتعليم والتعصب. كذلك يجب أن تتضمن الدراسة معرفة الأسباب ومعرفة تشابك المشاكل السياسية والاقتصادية التى نشأت نتيجة تحول المجتمع الأوربي إلي المجتمع الصناعى وماتعلق بذلك من مشاكل متعلقة بالاسكان، والموارد الغذائية والأسواق الخارجية والمواد الخام واحتلال المستعمرات وتراكم رأس المال الذي يبحث عن استثمارات خارجية كذلك يجب أن يعطى الباحث اهتماما بدور الصحافة كعامل من العوامل التي أدت إلي الحرب العالمية. ويخلص سدني فاي بأنه واضحا من كل هذا فإنه ليس هناك مجلد واحد يمكن أن يتناول ويشمل كل هذه القوي المركبة التى تشمل العوامل التي سببت نشوب الحرب العالمية علي أية حال فالبيانات التاريخية تعتبر ثابتة وموثوق فيها عندما يقدموا – مثل مافعل سدني فاى – الأحداث التاريخية على أنها:

١– مركبات للقوي الاجتماعية.

٢– ظواهر اجتماعية متشابكة لعملية الاجتماعية.

٣- مجموعة علاقات نفسية، اجتماعية، اقتصادية، سياسية، عسكرية، دينية اجتماعية، وتعليمية - ساهمت بنتيجة واحدة هى إظهار تناسق معين أو نمط معقد. ومصدر الخطأ - والذي لايمكن تجنبه كلية من أى مجالات من المعرفة الإنسانية - قد يقل عندما لايعتمد الباحث علي مجري واحد لتفسير الموقف موضوع الدراسة.

فمن المستحب إثارة هذه الأسئلة والتى ربما قد لايجاب عليها إلا بعد فحص العديد من البيانات التاريخية وبعد تحليل البيانات نفسها:

١- هل المؤلف استخدم مصادر أصلية أو أولية أم أنه استخدم مصادر اشتقاقية أو ثانوية.

٢- هل حصر نفسه فى نوع معين من المصادر أو مجموعة من البيانات أم أنه تصور عمله علي أنه موضوعات معقدة.

٣- هل كان لديه منظور كلي وشمولي للموقف أم أنه حصر نظرته إلي المشاكل المباشرة والمؤقته.

٤- هل أن مفاهيمه لما هو مهم ومميز تتفق ماهو مستخدم من معاصريه؟

وعندما تستخدم الوثائق التاريخية الأصلية والسجلات فإن استخدامها يثير بعض المشاكل الأخري وعندئذ تصبح موضوعا لما يسمى:

أ- النقد أو الفحص الخارجي:

والذي يتعلق بأصل الوثيقة ومكانة المؤرخ، الظرف الخاص والهدف الذي أدي إلي كتابة الوثيقة أو السجل، خلفية المسجل، مصادر رأيه، واستخدامه لهم وهكذا.

ب- النقد أو الفحص الداخلي:

والذي يتعلق بتكامل الحقائق ودقتها، التحيز، الأباطيل، فهم المسجل المحدود، هل كان متأثرا بالرأى العام أو بدوافع واهتمامات أدبية هل هو

ملاحظ مدرب وهكذا. ولقد لاحظ ستيوارت شابين stwart chapin أنه من الضروري كجزء مهم من عملية النقد الداخلي للوثائق "أنه نتتبع في كل حالة العمليات العقلية التى بدأت مع ملاحظة الظاهرة وانتهت مع كتابة كلمات التقرير "والحق أن تحقيق ذلك ربما يتمثل صعوبة بالغة ولقد قدم شامبين بعض الاشارات التي تساعد عملية النقد الداخلى مثل؟:

١- هل كان المؤرخ مؤمنا بالحكم الذي وضعه؟

٢- هل كان للمؤلف هدف في خداع القارئ؟

٣- هل كان المؤلف تحت أى ضغط جعله يقول ماهو غير حقيقي؟

٤- هل كان متأثرا بمشاعر مشاركة أو نفور جعلته يقول ماهو يعتبر حقيقي؟

٥- هل هناك دليل على اهتمامات أدبية أو درامية التي تؤدي إلي تشويه الحقيقة؟

كذلك الكثير من الأسئلة التى يجب أن تثار بالنسبة لاستخدام البيانات التاريخية فى البحث. والحق أن ابن خلدون أول من عرض هذه المشاكل المتعلقة بالنقد الداخلى للوثيقة والتي تؤدي إلي الخطأ في وصف الحقيقة وذلك فى قوله:

.. فمنها التشيعات للآراء ......، فإن النفس إذا كانت علي حال الاعتدال فى قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر حتى نتبين صدقه من كذبه وإذا ضامدها تشيع لرأى أو ثملة قبلت مايوافقها من الأخبار لأول وهلة وكأن ذلك الميل والتشيع غطاء عين بصيرتها عن الإنتقاء والتمحيص فتقع فى قبول الكذب ونقله ومن الأسباب المقتضية للكذب في الأخبار أيضا اثقة بالناقلين وتمحيص ذلك يرجع إلي التعديل والتجريح. ومنها الذهول عن المقاصد، فكثير من الناقلين لايعرف القصد الذي عايش أو سمع وينقل الخبر علي مافي ظنه وتخمينه فيقع فى الكذب ومنها توهم الصدق وهو كثير وإنما يجئ في الأكثر من جهة الثقة بالناقلين ومنها الجهل بتطبيق الأحوال علي الوقائع لأجل

مابداخلها من التلبيس والتصنع فينقلها كما رآها... ومهما تقرب الناس في الأكثر لأصحاب التجلة والمراتب بالثناء والمنح، وتحسين الأحوال وإشاعة الذكر بذلك فيستفيض الأخبار بها على غير حقيقة فالنفوس مولعة بحب الثناء، والناس متطلعون إلي الدنيا وأسبابها من جاه أو ثروة، وليسوا فى الكثير براغبين فى الفضائل ولامتنافسين فى أهلها ومن الأسباب المقتضية له أيضا - وهي سابقة علي جميع ماتقدم - الجهل بطبائع الأحوال فى العمران فإن كل حادث من الحوادث، ذاتا كان أم فعلا، لابد له من طبيعة تخصه فى ذاته وفيما يعرض له من أحواله فإذا كان السامع عارفا بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضاياتها أعانه ذلك فى تمحيص الخبر" (المقدمة ص ٢٦).

على أية حال كل هذه الأسئلة قد تتطلب بحوث مكثفة قبل الإجابة عليها ولكن بالمقارنات مع نتائج المصادر الأخري فالكثير من الأخطاء وعدم الدقة قد تختفي والمقارنة لمصدر البيانات قد يلقي الضوء أيضا على بعض المشاكل التي قد يسهم بها الباحث فى الحياة الاجتماعية وبالرغم من اتفاقنا مع جزراند Jusserand من أن التاريخ ليس ببساطة فن وليس كذلك بساطة علم ولكنه يجمع بين طبيعة كل من العلم والفن - فإنه يجب التأكيد من خلال المقارنة والتمصر أن الراوي التاريخي قد اهتم بالعقل بالواقع. ولما كان من المستحيل على المؤرخين أن يكتبوا تاريخ الحياة بأكملها ولكن يختاروا من بين الحوادث المتعددة فإن ذلك يتطلب أن تكون علي علم بأن كانت هذه الحوادث المختارة هي المهمة والمميزة للمواقف الاجتماعية والعصور التى تصفها.

٦- الخلاصة:

إنه يجب الإشارة إلي أن التاريخ يهدف إلي حفظ ذكري الأشخاص والأعمال الخالدة والتي ربما تستخدم كدروس معتمدة لمستقبل الإنسانية وإن كان التاريخ قديما قد كتب من أجل الترفيه والتعليم والتثقيف وإثبات وجهة نظر، وكذلك اعتبر التاريخ - كما ذهب توماس ماكيولى Thomas Hacaulay فى أحسن صورة هو جمع مركب من الفلسفة والشعر. فإن المفهوم المعاصر

للتاريخ يختلف عن ذلك فى اعتبار التاريخ علي أنه "التثبيت الراسخ من الحقائق والعرض الدقيق للحقائق الثابتة لأنه يسعى للتعبير عن الحقيقة.

ولقد أكد ليبولد فان رانكي Lepold von Ranke بأن الطريقة إلي البحث العلمى يجب أن تكون في التركيز على أن تصور التاريخ ليس علي أنه فقط التأكد المطلق للأحداث التاريخية ولكنه علي أنه منهج لشرح "كيف حدثت في الواقع هكذا".

وبطبيعة الحال لايستطيع الباحث عند محاولته دراسة مركب الخلفيه الاجتماعية للجماعة أو أنظمتها أو مشاكلها فإنه - من المستحيل أن يقوم بفحص ذلك النظام الهائل والمتنوع اللامحدود من الحوادث المختلفة والظواهر التي - من خلال العصور - أدت إلي ظهور وتطور الموقف الاجتماعى للجماعة فالباحث فى أحسن الظروف لايستطيع إلا أن يدرس بعض الأحداث أو الوقائع التى مازالت متداخلة مع معتقدات الجماعة وأنماط سلوكها وحياتها العاطفية. ومثل هذه الدراسات تتطلب عملية اختيار "عينة" فالباحث حتي مطالب أن يكون متأكدا من أن اختياراته أو عينته ممثلة ومماثلة لزمن الجماعة ووضعها الحضاري وإنها لاتصف فقط موقفا خاصا مميزا لزمان أو مكان محدد.

كذلك يجب على الباحث أن يتأكد من أن المؤلفين الذين يعتمد عليهم للخلقية والبيانات التاريخية لديهم منظور شمولي وأنهم اهتموا بمركبات القوى الاجتماعية ولم يحصروا أنفسهم فى دراسة ظواهر منعزلة وخاصة.

والباحث الاجتماعى عليه ألا ينظر إلي التاريخ باعتباره سلسلة من الحوادث ولكن عليه أن يهتم بفكرة التحليل العلمي لأحداث التاريخ فتحليل الماضي يساعد على معرفة إلي أى حد تتأثر النظم والأفكار والعادات والمشاكل الاجتماعية التي تدرسها بالماضي تغير ظروف الأزمنة كذلك يمكن أن نلاحظ حلقات متعاقبة من كثير من أشكال الحياة والمشاكل الاجتماعية ويمكننا كذلك أن ندرك الظواهر الاجتماعية في علاقاتها المركبة وبمنظور أشمل.

ودراسة التاريخ تساعدنا أيضا علي أن نكون متسامحين وفي نفس الوقت ناقدين للأفكار القديمة والجديدة.

وأخيرا فإن الباحث الاجتماعي يجب أن يكون واعيا بأن التاريخ مهما كان دقة المؤلف وحكمته لايخلو من التشويه والخطأ فكما أشرنا غالبا مايتدخل التحيز الشخصي أو الديني أو الثقافي أو حتي النظرى للمؤرخ. وينعكس على تحليله أو تقيمه للظواهر أو المجتمعات التى يدرسها ولذلك فإن البيانات التاريخية المستخلصة من مصادر متنوعة والمختارة بعناية والمفحوصة والمستخدمة بدون تحيز - مثل هذه البيانات تشكل مصدرا للمعرفة يساعد علي فهم وتعميم الظواهر الجمعية والأنظمة الاجتماعية.

ثانيا: المنهج المقارن[١]:

ماهو المقصود بالمنهج المقارن؟ ومتي بدأ استخدامه في دراسة المجتمع أو من هم أقطابه؟ وما هي أهم التطورات التى دخلت علي استخدامه؟ وما هي المشاكل المنهجية التى يثيرها استخدام هذا المنهج فى دراسة المجتمع.

أ- المقصود بالمنهج المقارن:

وكان المنهج المقارن، حتي نهاية القرن التاسع عشر هو المنهج السائد فى علم الاجتماع وإن لم يكن هو المنهج الوحيد. وهو ينطوي على استخلاص أو تجريد نتائج من تحليل المجتمعات التاريخية المختلفة فى محاولة لإيجاد قوانين التاريخ وكان المجتمع فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر يتغير من المجتمع القروى إلي المجتمع الصناعى الحضري وكان الناس يتوقون إلي فهم العالم الاجتماعي حولهم واعتقدوا أن هذا الفهم يمكن أن يتم من خلال التاريخ. وكانت الدراسات التاريخية التي قاموا بها مخالفة للدراسات التاريخية السابقة عليهم إذ كانت الدراسات السابقة تأخذ بالأسلوب الإنساني الذي كان ينظر فيه إلى التاريخ كطريق لفهم المشاكل المعاصرة، دراسة الطريقة التى كان ينصرف بها الناس في الماضي وتحليل نتائجها على أفعالهم سيمدنا بالتوجيهات

---

* أعد هذا الجزء دكتور على عبد الرازق جلبى

للسلوك أو التصرف أو الفعل في الحاضر وفى الطريقة الجديدة في النظر إلي التاريخ، المنهج المقارن لايزال التاريخ يمثل الدليل علي فهم المشاكل المعاصرة وليس لأن الناس يواجهون مشاكل مماثلة للمشاكل التي كانوا يواجهونها في الماضي وإنما لأن التاريخ هو المصدر يمكن منه تطوير تنمية القوانين حول تطور المجتمعات وكانت الوثائق والمعطيات التاريخية هي المصدر الذي يمكن أن تشتق منه القوانين العلمية للتاريخ باستخدام المناهج العلمية.

بداية وتطور استخدام المنهج المنهج المقارن في دراسة المجتمع:

أشتق المنهج المقارن مباشرة من كتابات مفكري باريس. وكان حتي عام ١٩١٨ هو المنهج السائد في علم الاجتماع بالرغم من أنه بعد هذا التاريخ بدأ يعانى من تدهور سريع. وكان تدهوره يرجع إلي تدهور أو انهيار فكرته الأساسية - التقدم والتى لم تعد بعد الأحداث الدامية للحرب العظمي تبدو على أنها قانونا اجتماعيا لامفر منه. وكانت الفكرة التى مؤداها أن المجتمع كان في حالة تقدم من عصور سابقة أكثر وحشية وبربرية هى حجر الزاوية في الفكر الفلسفي فى القرن التاسع عشر والتي لم يسبق أن عارضها أحد.

وكان الخلط بين التقدم الاخلاقى والتكنولوجى هو الخطأ الشائع فى ذلك العصر والذي لايزال يستمر حتي اليوم، وأدي اكتشاف وجود قبائل في مناطق نائية وبعيدة من العالم كانت في حالة تكنولوجية بدائية أدي بالمفكرين إلي النظر إلي هؤلاء الناس على أنهم يمثلون الحالة الأولى التي كان عليها الإنسان في فترات التاريخ المبكرة حفريات حية وفى نفس الوقت ظهر أن هناك تقدم اقتصادي وسياسي خاصة إذا حددنا التقدم فى هذا المجال بأنه حرية سياسية وثروة، وكان بالفعل يحدد على هذا النحو. ولقد دعمت فيما بعد نتائج الجيولوجيا فى القرن التاسع عشر ونظرية داروين عن التطور فكرة التقدم في علم الاجتماع التي استفادة منها فى تأييد النزعة الدارونية الاجتماعية القائمة بالفعل كوندرسية وسيمون وكومت. فلقد أكد كوندرسيه فكرة التقدم المستمر وذهب كومت إلي أنه يمكن أن يتحقق التقدم من خلال مراحل ثلاثة، الأولي

المرحلة اللاهوتية ثم حيث كان يستعان بالكائنات العليا فى تفسير الأسباب والمرحلة الثانية هي المرحلة الميتافيزيقية التى كان يفسر فيها الأسباب بإرجاعها إلي قوى مجردة، والمرحلة الثالثة هي المرحلة الوضعية حيث لاوجود لأسباب مطلقة وإنما هناك قوانين المساوقة في الوجود والتتابع وذهب إلي أن التدخل المقصود أو العمدي في التطور نتاذجه محدودة لأن التقدم تحكمه قوانين وضعية (ولامفر منها).

وكل مايستطيع الإنسان أن يفعله هو تعديل القوى الثانوية وهكذا يعملون على الأسراع بالتغير والتماثل بين هذه القضايا وقضايا ماركس التى مؤداها أن ثورة البروليتاريا أمرا لامفر منه، وإن كان على الناس أن يقموا بها، أمرا ملفتا للنظر واستعار ماركس أيضا من سان سيمون واتباعه الذين ابتكروا إطارات أو تطورات يوتوبية من أجل النظام الجديد الذي تصوروا بزوغه.

ويمثل ماكانت الفكرة الماركسية عن التقدم مختلفة كان هناك أيضا فكرة مختلفة لدي بدراسة من مدارس التفكير أخري هي الدارونية الاجتماعية وكان الانجليزي هربرت سبنسر من أكثر المدافعين شهرة من هذه المدرسة الذي أدرك التقدم على أنه التقدم تطوري منه، على حد تعبيره، يترتب علي البقاء بلانسب ابنية اجتماعية أكثر فعالية وسيطرت أفكار سبنسر على علم الاجتماع في انجلترا والولايات المتحدة في بداية القرن العشرين ربما لأن أفكاره كانت تناسب عقيدة دعه يعمل فى العمل التي كانت سائدة فى هذا العصر.

وإذا كان لابد من تحقيق التقدم كان سبنسر يعتقد فى عدم تدخل الحكومة فى العالم الإجتماعي لتخفيف الفقراء ولأى سبب آخر، لأن هذا معناه التدخل فى عملية التطور تلك الفكرة التي كان يسعد رجال الأعمال بالتصديق عليها. وليس كل علماء الدارونية الاجتماعية يوافقون على آراء سبنسر في عدم التدخل بل كان الامريكي وارد يقرر أنه عندما يتمكن الناس من فهم الظواهر الاجتماعية فإنهم يستطيعون بذلك التدخل للتعجيل بالتقدم وكان المنهج الذي استخدمه كل هؤلاء العلماء كومت، ماركس، سبنسر هو المنهج الذي يقارنون فيه بين فترات تاريخية متباينة ويستخلصون من هذه المقارنة قوانين التطور

التاريخي. وتشير الحقيقة القائلة بأنه من فحص نفس التاريخ أمكن لماركس أن يصل إلي نتيجة واحدة وأن يصل سبنسر إلي نتيجة مغايرة لها تشر إلي أن القوانين هى منا نتائج الملاحظ وليست نتاج للمعطيات. وهذه الحقيقة لم تكن واضحة فى ذلك الوقت وإنما كان ماكس فيبر فقط الوحيد الذي وصل إلي درجة عالية وبلغ درجة كافية من الفهم التاريخى الذي جعلته يدرك أنه من المستحيل استخلاص القوانين من الظواهر الفريدة فى التاريخ. حيث لاتوجد لها حالات كافية يمكن المقارنة بينها واستطاع فيبر أن يحل هذه المشكلة من خلال تطوير فكرة النموذج المثالي الذي كان يمثل تجريدا لجوهر الظاهرة التاريخية الذي قد لايقع أو يحدث فى صورة خالصة فى أى موقف واقعى أو امبيريقى وباستخدام هذا النموذج كان فيبر قادرا على دراسة روح البروتستانية وظهور لرأسمالية نماذج مثالية وأن يربط بينها وبالرغم من أن مفهوم النموذج المثالي قد اتسع نطاق استخدامه في علم الأجتماع إلا أنه فشل في حل المشكلة المترتبة علي تفرد الحقائق التاريخية.

والمنهج المقارن، ونتيجة لأنه بعيدا عن العلمية، طالما كان التاريخ يفتقر إلي الحالات الكافية التى تمكن من إجراء المقارنة وإيجاد الأنماط قد تعثر نموه وإن لم يهمل كلية وإنما أقام سوروكين وياريتو رايزنستدت بعض كتاباتهم التى بالرغم من أنها لاتتماشي مع طراز وأسلوب الكتابات فى عصرهم، علي أساس الالتزام المباشر بالمنهج المقارن وأصبح من الشائع اليوم فى المحاولات التى تتبع التطورات في التاريخ الحديث بأمل التنبؤ بالمستقبل الأخذ بهذا المنهج وكانت دراسة أوجبرن ١٩٣٤ الضخمة فى مقدمة هذه المحاولات تلاها دراسات كون (١٩٦٦) وميدوس عام (١٩٧٢).

أقطاب المنهج المقارن في دراسة المجتمع:

أ- سوروكين:

يختلف سوروكين لدرجة كبيرة عن ماركس وسبنسر وكومت ذلك لأنه أولا: وضع أو أخرج مؤلفه عن الديناميات الثقافية والاجتماعية ١٩٣٧ - ١٩٤١

الذي استخدم فيه المنهج المقارن في القرن العشرين، وليس في القرن التاسع عشر، وثانيا: كان مفكرا أكاديميا، وثالثا: بالرغم من نشأته الروسية، فلقد أجري دراسته في أمريكا وليس في أوربا.

وربما كان الفارق الأكثر أهمية بين سوروكين وكومت وماركس وسبنسر تكمن في نزعته التشارقية فالكتاب الثلاثة السابقين نظروا كلهم إلي المجتمع على أنه يسير نحو التقدم وكان سوروكين شأنه شأن غيره من كتاب القرن العشرين الذين استخدموا المنهج المقارن، مثل شبنجلر وتونيني أكثر تشاؤميه بالرغم من أنه نظر إلي التاريخ على أنه دائري فإنهم قد اعتقد أنه يكتب فى عصر التدهور أو الانهيار. ولما يصعب فهم هذه النزعة التشاؤمية التى تصبح كتابات القرن العشرين التى استخدمت المنهج المقارن، الواقع أن ذلك يرد عادة إلي حرب عام ١٩١٤ - ١٩١٨ ولكن توينى الذي أخرج مؤلفه بعد الحرب كان أكثر تفاؤليه من شبنجلر الذي أخرج كتابه قبل هذه الحرب. وكان للاعتقاد بأن الناس يتصرفون أو يسلكون بناء على دوافع غير رشيده أكثر منها رشيدة أو معتدلة. التى بدأت تنتشر بالقبول بعد أن أصبح مؤلف فرويد معروفا، إثارة على وجهة النظر التفائلية للمجتمع الإنساني. ولقد نظر باريتو بالتأكيد الذي كان واحد من بين قلة من.

ب- أوجبرن:

قدم أجبرن تصورا جديدا للمنهج المقارن إذ كان كل من استخدم المنهج المقارن قبل أوجبرن الكلاسيكي عن التطورات الاجتماعية الحدية (١٩٣٤) كانوا يعملون بدون تمويل وبأسلوب وبطريقة تأملية فلسفية حيث تلقي أوجبرن منحة ضخمة من حكومة الرئيس هوفر ومن مؤسسة روكفلر للإشراف على دراسة حل اتجاه ومدي التغيرات في المجتمع الامريكي وكان هذا الاهتمام بعملية تمويل هذا النوع من البحث الذي أطلق عليها فيما بعد علم المستقبل راجع إلي أن الحكومة قد التزمت بتحقيق نمو اقتصادي بعد الكساد في عام ١٩٢٩، واردات أن تخطط لهذا النمو وكان الموقف النظري الأساسى الذي

أخذه أوجبرن عام (١٩٥١) هو ذلك الموقف المميز للاتجاه التطوري بقوله أعتقد أن مشكلة التطور الاجتماعى قد خلت وإني قد قمت بدورا هاما فى حل هذه المشكلة وذلك بفضل أربعة عوامل، الاختراع التراكم، النتشار، التكيف (ص١٥١).

وأعتقد أجبرن أنه قد حل المشكلة من خلال تمسكه بالمنهج الاحصائي ولقد نشأ هذا التمسك عن ماتلقاه من تدريب في كولومبيا تحت إشراف جدينجز الذي كان عالم اجتماع تطوري وبدافع قوى عن القياس فى علم الاجتماع وكان أوجبرن تلميذا ناجحا. واعتقد أنه باستخدامه للاحصائيات قد تجنب كل احتمالات التحيز التى سبق أن وقع فيها من استخدم المنهج المقارن قبلا منه. واعتقد أنه قد حقق الفكرة التى تعرف اليوم باسم التحرر من القيم إذ يقرر أن المساهمين فى دراسته قد ناضلوا من اعتقاد في الكشف عن، ثم تقرير نتائجهم بدون أن تتأثر بتفضيلاتهم الشخصية أو بما لايفضلونه شخصيا. وكانت فكرة الدراسة هي رفض الآراء التي لاتجد تأييدا وقبول النتائج الثابتة. وكانت الفكرة يحواها تكوين جداول مركبة تتسم بالثبات فى نظر المحافظ والثورى لدرجة تصدق معها الاتجاهات أو التطورات الاجتماعية فى نظر المحافظ بمثل ما تصدق في نظر الراديكالى واحتوي التقرير الذي أعد تحت إشراف أوجبرن على حوالى ١,٥٦٨ صفحة صدر في حوالي (١٣) مجلد تحوي دراسات خاصة وحقائق تدعمها. وتشتمل علي مجموعة مقالات حول اتجاهات أو التطورات في كل شئ من السكان إلى أوجه نشاط النساء خارج المنزل. وكانت تنبؤاته المبنية علي هذه الاتجاهات هي مايمكن أن يتوقعه المرء بالنظر إلي مثل هذه البيانات. وناقش مؤلفيها فكرة تبخير مياه البحر وتعويم المدن لمواجهة السكان المتزايدين ومشاكل المجتمع الاستهلاكي ونتائج الارسال التليفزيونى. وكان اسهام أوجبرن الخاص باعتباره يختلف عن زملائه الذين شاركوا معه في هذه الدراسة، وكمشرف عليهم كان يتعلق بنتائج الاختراع. وهنا يذهب كما يقرر في مؤلفات أخري له أنه هناك عناصر ثلاثة فى عملية الاختراع فهناك الاختراع نفسه، والحاجة له، وقاعدة أو أساسه الثقافي. ويعني بالقاعدة أو

الأساس الثقافى تراكم المعرفة في منطقة الاقتراع وذهب إلي أن هذا الأساس الثقافى أكثر أهمية من عبقرية الفرد أو من أى حاجة للاختراع واستشهد في تأييده لهذه الفكرة الوصل في وقت واحد أو اكتشاف أناس مختلفين لاختراعات متماثلة، مثل التليفون، والطائرة، والآلة الكاتبة وغيرها ولقد ترتب علي هذه الافكار أنه بقدر اتساع القاعدة الثقافية بقدر احتمال الاختراع وأوضح أوجبرن هذا الوضع قائلا أن الاختراعات في أي ميدان يتزايد فى أعدادها بطريقة لها دلالتها بحيث إذا كان هناك (١٠) اختراعات في العام الماضي يصل عدد الاختراعات في العام التالي إلي (٢٠) ثم إلي (٤٠) في الستة شهور التالي و (٨٠) فى التى تليها وهكذا.

وذهب أوجبرن إلي أن هذا النمو السريع فى التكنولوجيا كان من السرعة فى المجتمع وثقافة المجتمع لدرجة استطاع أن يتوافق معها بسهولة وأطلق علي هذا الاختلاف بين التقدم التكنولوجي والثقافى، تخلفا ثقافيا واعتقد أن هذا التخلف يعتبر أحد الجوانب الهامة فى المجتمع الحديث.

مشاكل المنهج المقارن:

هناك ثلاثة مشاكل أساسية فى استخدام المنهج المقارن:

١- اختيار وحدات التحليل.

٢- أهمية كل وحدة فى الفترات التاريخية المتباينة.

٣- تفرد التاريخ.

والمشكلتين الأوليتين مشتركتان بين كل التفسيرات السيولوجية. فكل تفسير سوسيولوجي عليه أن يبسط الواقع بواسطة تقسيمه إلي وحدات متميزة وهكذا يتحدث علماء الاجتماع عن الدور والمكانة والقوة والطبقة مثلا وتكون الوحدات في المنهج المقارن هي مثلا الثقافات الفكرية أو العصور الميتافيزيقية. وكل تفسير سوسيولوجي يكون عليه أن يتناول أو يتعامل مع وحدات هامة متباينة فى مجتمعات متباينة وهكذا قد تكون القوة هى التصور

لتفسيرى الهام فى أحد المجتمعات وأقل أهمية في مجتمع آخر وبالمثل قد تكون الطبقة الاجتماعية لها أهمية في التفسير فى فترة تاريخية معينة وأقل أهمية في فترة أخري.

ولكن المشكلة الأخيرة وهي مشكلة تفرد الوقائع التاريخية، هى المشكلة الخاصة والمميزة للمنهج التاريخي فالمنهج العلمي هو في جوهره أو أساسه عملية تعميم فالعالم يصيغ فرض حلول موقف معين ثم يختبره في هذا الموقف. ثم يحاول اختبار الفرض ثانية وأخري في موقف مماثلة. ولتحقيق هذا العمل نجد أنه من الواجب عليه أن يجد المواقف المتماثلة. ولكن هذه المحاولة ليست بالسهولة في التاريخ كما الحال في العالم الطبيعي. فكل واقعة تاريخية يعتبر واقعة فريدة والمعرفة التاريخية معرفة فردية أما المعرفة العلمية فهى معرفة أسمية وعلم الاجتماع كما أشرنا سلفا، عليه أن يجد المواقف المتكررة لكي يكون علما ويمكن أن يتحقق ذلك وسهولة من خلال التركيز علي الحاضر دون الماضي، وكان ماركس فيبر هو عالم الإجتماع الذي بالرغم من أنه قد أدرك تفرد الوقائع التاريخية، فقد أراد أن يدرس هذه الحقائق علي أساس سوسيولوجي وحاول ذلك من خلال إغفال الجوانب الفريدة للواقعة التاريخية لدرجة أنه قد تمكن من الوصول الي تعميم حولها وينبغي الطريقة كان علماء الإجتماع في دراستهم للعلاقات في الجماعات الصغيرة يتجاهلون الجوانب الفريدة في كعلاقة لكي يتمكنوا من دراسة سلوك الجماعة الصغيرة علي أساس مجرد وكان المنهج الذي إختاره فيبر للوصول الي التعميمات حول التاريخ هو منهج إيجاد الأبينة الفرضية التي أطلق عليها النماذج المثالية. لوجهة نظر ويصاغ النموذج المثالي من خلال التركيز علي جانب واحد أو أكثر بواسطة التأليف بين عدد كبير ومتميز من الظواهر الفردية الواقعية التي تنظم وفق هذه الوجهات للنظر التي تؤكد علي جانب واحد في مفهوم مجرد موحد تحليلي.

وبالإمكان بناء نموذج مثالية كثيرة ومتباينة بالنسبة لكل واقعة تاريخيه

بالرغم من أن فيبر إعتقد أن هذا العدد محدود إلا أنه لم يبرهن علي ذلك وإستخدام النموذج المثالي يجعل من الممكن إجراء تجارب في الذهن أو العقل إذا أمكن مثلا مقارنة النظام الرأسمالي الغربي بغيرها من نظم إقتصادية حتي يمكن بيان الجانب الذي تختلف فيه عن النموذج المثالي. وهكذا نزل رد فيبر الدراسة السوسيولوجية للتاريخ الي مستوي أدني من مجرد البحث عن القوانين التاريخية الي مستوي أدني للبحث عن التفسيرات للأحداث أو الوقائع التاريخية المحددة.

ويمثل حوار وسيناريو كون مثال طيب علي نموذج التفسيرات التي فكر فيها فيبر، وتمثل الصور المتباينة والمقبولة التي عبر عنها كون مثل الأكثر تكاملا والأكثر فوضي النماذج المثالية التي يمكن بواسطتها مضامين الأفعال ولكن النموذج المثالي لايمدنا بالحل للتغلب علي مشكلة داسة التاريخ، ذلك لأن كل نموذج مثالي وعلي كل قانون تاريخي يتأثر بواسطة قيم الملاحظ فهو بذلك يعتبر عملا تعسفيا، مثل كل قانون تاريخي يعتبر عملا تعسفيا.

ثالثا: المنهج التجريبي(١)

ما المقصود بالمنهج التجريبي؟ وإلي من ترد بداية إستخدامه في العلم عموما وعلم الإجتماع بوجه خاص وكيف تطور هذا الإستخدام من خلال أقطابه في علم الإجتماع؟ وماهي خطواته الأساسية؟ ثم ماهي أهم مشكلاته؟

تعريف المنهج التجريبي:

إذا كان المنهج الإستقرائي الذي يتدرج فيه الباحث من البسيط الي المركب ومن النتائج البسيطة إلي النتائج العامة، فإنه يمكن لنا إعتبار الملاحظة والتجربة من أهم قواعد المنهج العلمي ذلك لأنه إذا كان الباحث من خلال الملاحظة يقوم بفحص الظاهرة علي ماهي عليه في الواقع، ويكتفي بمشاهدتها والمقارنة بينها، أو بعبارة أخري يصغي الباحث للطبيعة من خلال المشاهدة

* أعد هذا الجزء دكتور على عبد الرازق جلبى

ليسجل عنها ماقد يتكشف له من صفات الأشياء أو العلاقات فيما بينها، فإنه عادة ما لايكتفي أو يقتنع بمثل هذا الموقف السلبي من الظواهر بقدر مايدفعه به الي المعرفة الدقيقة حولها الي التدخل في مجري هذه الظواهر وتعديل الظروف التي توجد فيها حتي يستطيع دراستها في أنسب وضع أو بعبارة أخري يدفعه حبه الي المعرفة الدقيقة الي إتباع أسلوب منظم يستطيع من خلاله التحكم في مختلف العوامل التي يمكن أو يحتمل أن تؤثر في الظاهرة موضوع بحثه، حتي يمكن له جمع البراهين والأدلة علي وجود العلاقة بين الأسباب والنتائج المرتبطة بموضوع هذا البحث أو بعبارة أدق يدفعه حبه الي المعرفة الدقيقة الي إتباع أسلوب التجربة أو المنهج التجريبي الذي يقوم فيه:

١- بالتدخل في مجري الظواهر وتعديل ظروفها.

٢- التحكم في مختلف العوامل التي يحتمل أن تؤثر فيُ الوظاهر

٣- جمع الحقائق والبراهين والأدلة.

٤- إستخلاص العلاقات (السببية - الإقتران - الإختلاف) او التحقق من الفروض.

بداية إستخدام المنهج التجريبي
وتطوره في دراسة المجتمع

ترد بداية إستخدام المنهج التجريبي الي خارج نطاق دراسة المجتمع، حيث فتح جون سيتوارت مل طريق إستخدام هذا المجتمع في نطاق العلوم الطبيعية. وذلك من خلال توضيحه للطرق الممكنة في إقامة البراهين والأدلة علي أساس تجريبي والتي حصر أهمها في طريقة الإتفاق Agreement وطريقة الإختلاف deference وطريقة التغير النسبي variance concomitent والتي تتخلص أولها في أنه إذا اتفقت حالتان أو اكثر لظاهرة المراد بحثها في ظرف واحد فقط، فهذا الظرف الوحيد الذي تتفق فيه جميع هذه الحالات يمثل السبب في هذه الظاهرة.

ويدل معني الطريقة الثانية (الإختلاف) علي أنه إذا إشتركت حالتان أو أكثر للظاهرة المراد بحثها في ظرف واحد فهذا الظرف الوحيد المشترك الذي تخلف فيه جميع هذه الحاجات يمثل السبب في هذه الظاهرة. ويشير معني التغير النسبي الي أن الظاهرة التي تتغير علي نحو ما كما تغيرت ظاهرة اخري علي نحو خاص، تعد سببا أو نتيجة لهذه الظاهرة أو مرتبطة بها بنوع العلاقة السببية.

ولما كان المنهج التجريبى من بين أكثر المناهج دقه وانتشارا فى العلوم الطبيعية، وكانت رغبة علماء الاجتماع ودارسى المجتمع فى أن يتشبة علمهم بالعلوم الطبيعية، هي التي دفعت الي ظهور التجارب وإستخدام المنهج التجريبي في نطاق علم الإجتماع، ولكن نظرا للصعوبات والمشكلات العديدة التي تواجه تطبيق هذا المنهج في دراسة المجتمع، وإنحصر نطاقه وضاق إستخدامه الي درجة قد يظن البعض معها أنه ليس هناك تجارب في علم الإجتماع.

والواقع أن التجارب في علم الإجتماع قد أجريت بطريقتين أو بنمطين أثنين المنط الأول لتجارب أو النموذج أجري علي نطاق أكبر في أحد فروع علم

الإجتماع المعروف باسم علم إجتماع الجماعات الصغيرة، إذ لا يثير ميدان الجماعات الصغيرة مشاكل علمية يصعب حلها أثناء الدراسة وعلي الرغم من أن المشاكل الإخلاقية تظل قائمة إلا أنه يكون من السهل دراسة أو تناول التغير في الجماعات من خلال بيان أثر متغيرات داخلية أكثر من تناول التغير في المجتمعات الأكبر هنا ماظهر في كتابات.

وأصبح النموذج الثاني من التجارب ممكنا حديثا فقط مع إبتكار وإدخال نظم الأجهزة الحاسبة في البحث السوسيولوجي.

وبالإمكان دراسة المجتمعات بهذه الطريقة من خلال تجريد المتغيرات وبيان كيف تتفاعل هذه المتغيرات داخل النموذج القياسي بفكرة النسق وفكرة تجريد المتغيرات من مواقف فريدة أو فردية وتناولها علي نحو مستقل عن السياق كان سيمل) قد بدأها لأول مرة عام ١٩٠٢ في بداية القرن العشرين ولكن الأثر الكامل لهذه الفكرة عليه أن ينتظر حتي يتم الإستعانة بالأجهزة الحاسبة في هذا الميدان علي نطاق واسع. ويكفي في هذا المقام أن نوضح إستخدام المنهج التجريبي في دراسة المجتمع علي يد مايبو وبيلز كأمثلة علي تطور إستخدام هذا المنهج في دراسة المجتمع.

فلقد كانت دراسة التون مايبو وزملاؤه نوعا من البحث الأمبريقي الذي أكتسبها مكانة هامة في علم الإجتماع، حاولوا فيها التحكم في المتغيرات التي تؤثر في سلوك الجماعة، وأدخلوا متغيرات جديدة في التجربة بهدف التحقق منها وكانت دراساتهم هذه قد أجريت في مصنع هاوثورن التابع لشركة وسترن اليكتريك. وإذا كانت دراسة مايبو توضح أثر الجماعة علي الفرد، فإننا نجد بحوث أخري في علم الإجتماع أهتمت بالجماعة ذاتها حيث طور موريتو أسلوبا لقياس أنماط الصداقة في الجماعات واشتهر هذا الأسلوب باسم القياس الإجتماعي.

واستطاع بيلز حديثا جدا أن يطور دراسة الجماعة من خلال تناول العمليات التي تحدث داخلها بإستخدام دليل الملاحظة أسهم بدوره في تطوير النظرية السوسيولوجية.

التون مايو:

كانت أول محاولة للدراسة في هاوثورن من جانب إدارة المصنع لمعرفة أثر الإضاءة علي الإنتاج الصناعي. حيث بدأوا عام ١٩٢٤ تجربتهم التي قاموا فيها بزيادة الإضاءة في ثلاثة أقسام بالمصنع تدريجيا، وعندما لم يجدوا أي - علاقة واضحة بين المتغيرات في الإضاءة والإنتاج قرروا تعديل إجراءاتهم التجريبية عن طريق إستخدام فكرة الجماعة الضابطة. حيث قاموا نتيجة لذلك بتقسيم العمال الي جماعتين لهما نفس الخبرة، سلطوا علي واحدة منهم إضاءة مستمرة وعرضوا الأخري لإضاءة متغيرة، ولاحظوا أن الإنتاج في الجماعات قد إرتفع وإستخلص الباحثون نتيجة مؤداها أنهم لم يقوموا بالتحكم في متغير الإضاءة بالدقة الكافية والأفضل إستبعاد ضوء النهار، ومرة ثانية فإن الإنتاج الجماعتين التجريبية والضابطة. وأخيرا أختار الباحثون فتاتين اثنتين وزاد والإضاءة وزادوا الإضاءة عليهما حتي مستوي معين لم يتعداه ومع ذلك قررت الفتاتين أن الإضاءة وأدت علي هذا المستوي وأنهم رأوا تغير كهربائي في المصابيح. والحقيقة أنه قد تم تغيير المصابيح ووضع أخري مكانها من نفس الشدة ومع ذلك قررت الفتيات أن الإضاءة زادت، واتبع نفس الإجراء في خفض الإضاءة وظل إنتاج الفتيات كما هو بدون تغير خلال التجربة. وقرر الباحثون بناء علي نتائج هذه الجترية في مصنع هاوثورن أولا، أن الضوء يمثل أقل العوامل المؤثرة في الإنتاج، وثانيا - أن تجاربهم لم تكن من النجاح لأنهم لم يستطعيوا التحكم في كل المتغيرات المحتمل أن يكون لها تأثير. ولذلك قرروا دراسة جماعة صغيرة من العمال ليتمكنوا من تحقيق أكبر قدر من الضبط والتحكم في المتغيرات ولذلك إستعانوا بمايبو من جامعة هارفارد، الذي ساعدهم في تنظيم دراستهم حول غرفة تجميع الإسلاك بإستخدام المناهج التجريبية وكان لهذه الدراسة أهميتها في تطوير طريقة التجربة فيما بعد. ولما كان لنتائج هذه التجربة أهميتها في هذا الصدد كان من الضروري النظر الي هذه النتائج حيث إنتهي الباحثون الي أن إتجاهات العاملين وليست بيئتهم الفيزيقية هي التي تؤثر في الإنتاج ونتيجة لذلك قاموا بإجراء برنامج

للمقابلات أو الإستفسارات من خلالها شجعوا العمال علي الحديث حول عملهم. وكان من نتيجة هذه المقابلات أن لوحظ أن جماعات العاملين تقوم بتحديد معدل الإنتاج بالرغم من أنهم يحصلون علي مكافآت أو حوافز في مقابل كل زيادة في الإنتاج، ومن هنا فكر الباحثون في دراسة هذه الظاهرة بإستخدام طريقة الملاحظة وتوصلوا الي أن التنظيم غير الرسمي يؤثر الي حد كبير في إنتاجية العاملين.

وكل هذه المحاولات السابقة وغيرها توضح أن الباحثين في كل مرحلة كانوا يختبرون أحد الفروض التي تصوروا أنها تقدم تفسيرا لزيادة أو إنخفاض الإنتاج، مثل أثر الظروف الفيزيقية وتقليل رتابة العمل، وزيادة الأجر وأثر العوامل الإجتماعية.. الخ وإنتهوا الي أن الفرض الأخير هو الذي يثبت كتفسير لظواهر إرتفاع وإنخفاض الإنتاج.

وهكذا كان مايو وزملاؤه من الأهمية في مجال تنمية إستخدام المنهج التجريبي في علم الإجتماع، لأنها دللت علي إمكانية التحكم في المتغيرات في المواقف الإنسانية وإمكانية إدخال متغيرات جديدة، هذا فضلا عن أن هذه التجارب قد حفزت باحثون آخرون فيما بعد من أمثال: جريس، وجولدز ودالتون ووروردي. وغيرهم.

روبرت بلز:

ويتجلي في أعمال بيلز التكامل الواضح بين النظرية والبحث ذلك لأنه قد أهتم بالموقف الإنساني والأفعال التي تحدث داخله، بإعتبارها تصدر عن مشاركين يربطون أفعالهم ببعضها الآخر، أو يقامون أفعال غيرهم، وأقام تعميم التجربة بناء علي وجهة النظر هذه. حيث كان يجمع في تجاربه المشاركين معا بهدف التجربة ويعطي لكل واحد منهم رقم مميز. وكان يستبعد خبراتهم السابقة علي دخولهم غرفة التجربة كلية. وكانت فئاته التي يستخدمها في الدراسة السلوك بشقيها من هذه النظرية أو التصور مباشرة وهي نظرية تعرف باسم نظرية الفعل action التي سبق أن طورها تالكوت بارسونز والتي تصور فيها

أن كل نسق إجتماعي يواجهه ستة مشاكل وظيفية يمكن أن يغير عنها بواسطة أي عشر فئة من الفئات التي يمكن إستخدامها في ملاحظة السلوك التضامن، التوتر، الموافقة، الإقتراح، الرأي ، المعلومات..الخ.

وعندما بدأ بيلز يجري تجاربه وجد أن الملاحظين لا يتمكنون من الإلتزام بالعدد الكبير من الفئات التي حددها لهم الأمر الذي أضطره الي تقليل عددها وكان بيلز يطبق طريقته هذه الملاحظة في معمل للبحث الإجتماعي، يجمع فيه المشاركين في التجربة، ويقف الملاحظين خلف مرآه زجاجية توضع مايحدث بين المشاركين أمام الملاحظين بدون أن يدرك المشاركين وجود الملاحظين، الذي يستطيعون سماع ما يدور بينهم من أحاديث والذين قد تلقوا تدريب كافيا علي أداء مثل هذه الملاحظات ومايحدث من أفعال لفظية وغير لفظية ثم تصنيفها في الفئات المذكورة، ثم تسجيل كل ذلك ، في سجل مبسط يضم قائمة العينات وإعداد المشاركين وتكرر التجربة للتأكد من ثبات النتائج من خلال المقارنة بين كل منها والواقع أن فائدة هذه الطريقة إتضحت في إمكان إستخدامها في دراسة كل أنواع الجماعات وفي مواقف متباينة من حيث بناء الجماعة ووظائفها وإنماط التفاعل والقيادة وغيرها.

مشكلات المنهج التجريبي:

يعتبر المنهج التجريبي بمثابة منهج العلم وكانت طريقة التباين difference من أكثر الطرق إنتشارا في تطبيق المنهج التجربي. ويتضمن ذلك أن يكون لدينا موضوعين أو هدفين objets أو سائلين Fluids أو جماعتين من الناس يتماثلان بالدقة والتحديد من كل الجوانب الهامة. ويدخل علي واحد من هذين الموضوعين أو الجماعتين أو المماثلين موضوع البحث عاملا جديدا. والتغير الذي يحدث في هذا الصدد - يتفجر الهدف أو يتغير لون السائل، أو تصبح الجماعة من الناس مياله الي العنف تقارن بالمظاهر (بالموضوعات) الأخري التي لم يضاف اليها العامل الجديد وأي إختلاف بين الأثنين يمكن إرجاعه الي هذا العامل الجديد. والجماعة أو الموضوع التي أدخل عليها في الواقع العامل

الجديد يطلق عليها أسم الجماعة التجريبية والأخري التي لم يدخل عليها هذا العامل تسمي المجموعة الضابطة والواقع أن المشكلات المتضمنة في هذا الإجراء من أنواع ثلاثة التأكد من أن الموضوعات المتناولة في التجربة في هذا الإجراء من أنواع ثلاثة التأكد من أن الموضوعات المتناولة في التجربة متشابهة متماثلة في كل الجوانب الهامة، ترتيب الموضوعات المتناولة في التجربة في جماعة تجريبية وأخري ضابطة قياس التغير الذي يحدث وأول هذه المشكلات، صعوبة التأكد من أن الجماعتين متماثلتين تعتبر واحدة من المشكلات التي لا يمكن حتي في العلوم الطبيعية حلها تماما. فلقد يوجد هناك إختلافات بين عينتين كيمائيتين، لا يستطيع الباحث الكشف عنها بالرغم من كل محاولاتهم في تنقية أو تخليص هذه العينات من أثر هذه الإختلافات، وبإمكانهم فقط أن يقولوا أن العينتين مجرد متماثلتين عندما تكشف أدواتهم أنه لايوجد إختلاف بينهم، ولكن عدم وجود الإختلافات قد يعزي أو يرجع علي عدم دقة أدواتهم أو نظرياتهم أكثر من أي تماثل حقيقي.

وهذه مشكلة حادة في العلوم الإجتماعية والتي تفتقر الي نماذج نظرية قياسية واضحة توجه أو ترشد الباحثين وتساعدهم علي تقرير ماالذي يتجاهلونه أو يفضلونه أو مالذي يحاولون ضبطه ويعرف عالم الطبيعة الذي يدرس المغناطيسية الكهربائية أنه يستطيع تجاهل أثر كون العازل البلاستيك علي الإسلاك ولا يكون عالم الإجتماع الذي يفتقر الي نظرية نامية أو متطورة مثل عالم الطبيعة متأكدا ما إذا كان عليه أن يتجاهل الحقيقة القائلة بأن أحد جماعاته الضابطة جذابة ذلك أنالفتاة قد تحصل علي تقديرات عالية كمدرسة لأنها جذابة أكثر منها ماهو فإنه من الصعب التحكم في كل الجوانب، وهكذا يتحكم أو يضبط العلماء تلك العوامل التي يعرفون أنها هامة بناء علي فهمهم النظري. ويجد عالم الإجتماع نتيجة لإفتقاره الي النظرية الواضحة والتي لا تثير الخلاف عملية الضبط التجريبي بالغة الصعوبة.

والواقع أن هناك منهجين أثنين للتأكد من أن الجماعات الضابطة والتجريبية

متماثلتين في البحث الإجتماعي الأول هو إستخدام العينات المتماثلة علي ضوء المتغيرات مثل الإجتماعية والنوع (ويحدد التباين من خلال إجراء المسح علي الأفراد ثم المقارنة بينهم بعد ذلك عن طريق تحديد أو تعيين أو تخصيص بعض الرموز التي تتوافر لدي هؤلاء أعضاء الجماعات) وهذا الأسلوب في تناول الحقائق أو المتغيرات مثل التجربة expost facts exper ناقشناه في الفصل الثاني. والخطوة أو المنهج الثاني هو التوزيع العشوائي للأفراد علي الجماعات. وبهذه الطريقة يسلم المرء بأن كل المتغيرات قد وزعت علي أساس عشوائي في كل جماعة ولذلك فإن كلها متشابهه أو متماثلة. وهذه الطريقة تكون جذابة حيثما لايكون المرء متأكدا أي المتغيرات له أهميته.

والمشكلة الثانية الناجمة عن أوالمترتب علي عملية توزيع الأفراد علي جماعتين اثنتين هي مشكلة عملية وإخلاقية. وإذا قام أحد الأشخاص بتوزيع الأفراد علي جماعتين وأخبر إحداهما بأنهم يكونوا جماعة ضابطة. فإن بعضهم قد لا يوافقون علي أن يكونوا هكذا وبالتالي قد يؤثر هذا علي نتائج التجربة . ومن ناحية أخري، إذا قام الباحث بتوزيع الأفراد علي الجماعات بدون أن يخبرهم هنا قد تظهر مباشرة المشاكل الإخلاقية الناجمة عن تناول أو التفاعل مع الكائنات الإنسانية. (وتناول عينة أو رموز من الأفراد في التجربة المبدئية expost factes لا تجنبنا هذه المشكلة الإخلاقية) وتناول الكائنات الإنسانية كرموز يدل في ذاته علي تقليل من شأن الإنسانيةdehumamising.

والمشكلة الثالثة، المذكورة سلفا، والمتعلقة بالقياس يترتب عليها صعوبات دقيقة في العلوم الإجتماعية وعدم توفر النموذج القياسي النظري يجعل من الصعب علينا أن نقرر أي المتغيرات يجب قياسها وكيف نقيسها كما تجعل من الصعب علينا أن نحدد أي المتغيرات يجب التحكم فيها أوضبطها لكي تكون جماعتين متماثلتين والشيء الأكثر أهمية أن القياس يضطر عالم الإجتماع أن يواجه أحد التحديات الأساسية لعلم الإجتماع ففي عملية القياس، يغير عالم الإجتماع مايقوم بقياسه، ذلك لأن وجوده أو وجود أدوات القياس تغير السلوك

الذي يدرسه وإستخدام الأدوات غير المباشرة قد يجنبنا هذا الشك علي المدي القصير بالرغم من أنها قد تثير المشاكل الإخلاقية ولكن علي المدي الطويل تصبح المعارف التي توصل اليها عالم الإجتماع متقاسمة بين غيره وقد تغير سلوكه. وهذه هي المتناقضة الأساسية التي تجعل العلوم الإجتماعية مختلفة عن العلوم الطبيعية.

والواقع أن المشاكل الإخلاقية والعملية المتضمنة في التجارب تعتبر مشاكل دقيقة. ويستخدم المصطلح تجربة هنا بالمعني المستخدم في العلوم الطبيعية وهناك يستخدم طريق الإختلاف difference علي نطاق واسع وتعتبر طريقة المسح التي تتناول فيها الحقائق قبل التجربة والمنهج المقارن الذي يتناول الأحداث التاريخية كلها محاولات لإجراء التجارب علي الجماعات الكبيرة. وليس من المدهش القول بناء علي التصور العلمي الطبيعي الدقيق أنه لايمكن أن تكون هناك تجارب علي الجماعات الكبيرة من الناس فقد تفسد المشاكل العملية المتعلقة بالمتغيرات المضبوطة او التي يمكن التحكم فيها أي محاولة من هذا النوع وحتي إذا كان هناك مبرر إخلاقي لمثل عملية التجريب هذه.

الفصل السادس

طرق البحث الإجتماعي مع تمارين تطبيقيه

أولا: الطريقة الإسقاطية وتمارين تطبيقيه.

ثانيا: طريقة القياس الإجتماعي وتمارين تطبيقيه.

ثالثا: طريقة تحليل المضمون وتمارين تطبيقيه.

رابعا: طريقة البيانات الجاهزة.

خامسا: طريقة دراسة الحالة وتمارين تطبيقيه.

سادساً: طريقة المسح الإجتماعي وتمارين تطبيقيه.

تمهيد:

وجدنا من الضروري أن نقدم تحليلا مستفيضا لأنواع الطرق التداولة والمعروفة في البحث الإجتماعي حتي يتوافر أمام الطالب رصيدا عن المعرفة حول طرق البحث يمكن له أن يفيد منها في إنتقاء طريقة مناسبة للبحث يضمنها التصميم الذي يضعه لتناول موضوع بحثه.

ولما كنا قد فرغنا من توضيح المقصود بطريقة البحث عند تحليلنا للمفهومات الأساسية في البحث الإجتماعي في الفصل الأول، وإنتهينا أثناء ذلك من توضيح الفارق بينها وبين منهج البحث وأداته، كان تحليلنا لطرق البحث هنا في الفصل الحالي، يتصرف نحو تحديد الطرق المتداولة في البحث، وبيان حدود كل واحد منها، وإستخداماتها وأساليبها وخصائصها ومميزاتها وعيوبها، وينصب هذا التحليل في عمومه وجملته علي الطرق الإسقاطية والقياس الإجتماعي وتحليل المضمون وتحليل البيانات الجاهزة، ودراسة الحالة والمسح الإجتماعي، بإعتبارها من أهم طرق البحث وأكثرها إستخداما في البحث الإجتماعي.

أولا- الطريقة الإسقاطية Projectuive techmique

وهي طريقة في البحث إبتكرها علماء النفس والطب النفسي الذي يهتمون بتشخيص وعلاج المرض الذي يعانون من الإضطرابات الإنفعالية خاصة، وأصبحت هي الطريقة المناسبة في هذا الصدد، برغم أنها تحتاج الي تدريب متخصص ومتعمق.

تعريف الطريقة الإسقاطية:

يقصد بالطريقة الإسقاطية تلك الوسيلة غير المباشرة في دراسة الشخصية والتي يعرض من خلالها علي الفرد المبحوث بعض المثيرات الغامضة والمبهمة وغير المتشكلة مثل بقع الحبر والصور غير المرتبة والجمل الناقصة أو غيرها، ويطلب من المفحوص أن يستجيب إليها، بحيث تصدر إستجابته في صورة صفات وتفسيرات لهذه المثيرات تعبر عن حاجاته ودوافعه ونزعاته ورغباته

وميوله أكثر مما تعبر عن المثير الموضوعي ذاته أو الأشياء المبهمة المذكورة سلفا.

وسائل الطريقة الإسقاطية:

تعتمد الطريقة الإسقاطية علي وسيلة محددة هي أسلوب الإختبار Test وقد ظهرت الإختبارات الإسقاطية في تراث البحث الإجتماعي في صور متعددة، نذكر منها الإختبارات المصورة مثل إختبار تفهم الموضوع T.A.T وإختيار بقع الحبر (الرورشاخ) وإختبارات لعب الأطفال والإختبارات السيكودرامية والسسيودرامية والإختبارات اللفظية، مثل إختبار الجمل الناقصة وهكذا.

ويقصد بالإختبارات المصورة أو إختبار تفهم الموضوع ذلك الإختبار الذي يتكون من عدد من الصور التي تعبر عن بعض المواقف الغامضة والتي تعرض علي المفحوص بطريقة غير مرتبة، ويطلب منه أن يكتب بإختصار تصوراته أو ظنونه عما تمثله كل صورة منها.

كما يقصد بإختيار بقع الحبر وهو من أكثر الإختبارات شيوعا ويعرف بأسم اختبار الرورشاخ ويتكون من (١٠) بقع حبر مطبوعة علي (١٠) كروت منفصلة، تعرض تباعا علي المفحوص ثم يطلب منه أن يقدم تصوراته عما يمكن أن تمثله كل صورة منها.

ويقصد بإختبارات لعب الأطفال تلك المجموعة من الدمي أو العرائس التي تستخدم في التعرف علي الإتجاهات بين الأطفال والتي يطلب من الأطفال بصددها تمثيل بعض المشاهد التمثيليه التي تلعب فيها كل دمية منها دورا يظنه أو يعتقد فيه الطفل وهكذا.

ومن الإختبارات اللفظية، إختبار تكميل الجمل وفيه يعرض علي المفحوص سلسلة من الجمل الناقصة يطلب اليه أن يقوم بتكملتها علي النحو الذي يتصوره ..الخ.

خصائص ومميزات الطريقة الإسقاطية:

تتميز الطرق الإسقاطية في البحث بأنها من أجدي الطرق التي إبتكرت للتغلب علي عدد من الصعوبات:

أ- عدم رغبة بعض الأفراد في مناقشة بعض الموضوعات مع غيرهم.

ب- عدم رغبتهم في الكشف عن أخص المعلومات المتعلقة بحياتهم.

جـ- إستنكارهم أو رفضهم التعبير عن إتجاهاتهم الحقيقية نتيجة لإعتقادهم بأنها إتجاهات غير مقبولة أو لأنهم يعجزون عن الإفصاح عنها أو يجدون حرجا في الكشف عنها أو نتيجة للخوف او الرهبة من معرفة الآخرين بها.

ولما كانت هذه الصعوبات تمنع المبحوثين من التعاون المباشر مع الباحثين ابتكرت الأساليب الإسقاطية والمثيرات المبهمة كطريقة غير مباشرة يساعد تعرف الباحث علي إدراك المفحوص لهذه المثيرات، وعلي فهمه للمعني الذي يعطيه المفحوص لهذه المثيرات، والطريقة التي يتناول وينظم بها هذه المثيرات، ثم تفسير الباحث هذا الإدراك والمعني وطريقة التنظيم يساعده علي الوصول الي وجهات نظر المفحوص عن العالم والوقوف علي بناء شخصيته والتعرف علي حاجاته ومشاعره وأسلوب تفاعله مع الآخرين وهكذا.

إستخدامات الطرق الإسقاطية:

وبناء علي الخصائص والمميزات الإسقاطية يمكن الإشارة إلي بعض إستخداماتها علي النحو التالي:

تستخدم الطريقة الإسقاطية في دراسة اشخصية من حيث دوافع الشخصية والرغبات الشخصية والحاجات والنزعات.

كما تستخدم في دراسة السلوك الإجتماعي والعلاقات الإجتماعية، وبالمثل تستخدم هذه الطريقة في دراسة الإتجاهات الإجتماعية والقيم.

عيوب الطريقة الإسقاطية:

وبالرغم من أهمية الطريقة الإسقاطية كما يدلل علي ذلك خصائصها وإستخداماتها إلا أنه يمكن الإشارة إلي أحد العيوب الأساسية التي تؤخذ علي مثل هذه الطريقة ذلك أنه إذا كانت هذه الإختبارات تقوم علي إفتراض مؤداه: أن الصفات والتفسيرات التي يفردها الفرد المبحوث الي المثيرات المبهمة والغامضة وإنما تصدر وتعبر عن حاجاته وميوله ورغباته وإتجاهاته الشخصية الأمر الذي يلقي بطريقة غير المباشرة الضوء علي بناء شخصيته، فإن هذه الطريقة يمكن أن تنهار من أساسها الإفتراض هذا، إذا علمنا أن الموقف الخارجي الذي يوجد فيه الفرد المبحوث قد يؤثر لدرجة كبيرة علي إستجابته للمثيرات المبهمة وعلي التأثيرات والأوصاف التي ينسبها الي هذه المثيرات.

التمارين والإجراءات العملية للطريقة الإسقاطية: Projection

١- التمرين المقترح:

يمكنك إجراء بحثك علي مجموعة من عشرة أشخاص من المراهقين من كلا الجنسين لمعرفة جوانب شخصية المراهقين وبنائها وحاجاتها ومشاعره وقيمة وإحتياجاته العاطفية والضغوط النفسية وصراع القيم ومفهوم الجنس لديه..الخ

ويجب التنبيه بإن إستجابة المراهق لايمكن أن توصف بأنها صواب أو خطأ ولكن هذه الإستجابة تكشف عن إدراكه للمثير أو المعني الذي يصبغه عليه والطريقة التي ينظر بها الي إحتياجاته ودوافعه ومن ثم فهي تكشف عن نظرته الي العالم وعن بناء شخصيته ونظرته الي نفسه والي طريقة تعامله مع الآخرين خاصة الجنس الآخر.

ويمكنك دراسة جماعة من المراهقين أما في مدرسة ثانوية (بنين أو بنات) أو من أحدي النوادي أو الساحات الشعبية.

٢- الإجراءات العملية للقيام بتمارين الطريقة الإسقاطية:

أ- قبل الذهاب الي الميدان:

(١) تذكر أن المثير (سواء كان صورا أو جملا أو الفاظا..الخ) قد صمم أصلا لأن يوحي للمراهقة بمعان تختلف عن المعني الذي صمم من أجله.

(٢) كذلك يجب أن تكون مدركا بأن مهمتك الأساسية هي الحصول علي بيانات قد يشعر المراهق بالحرج أو الخوف من التعبير عنها لما لها من حساسية له أو بالنسبة لقيم المجتمع عامة.

(٣) كثير من آراء المراهق وإتجاهاته غير محدودة ولا يستطيع التعبير عنها بوضوح كذلك كثيرا من مشاعره ومشاكله النفسية تنتمي الي اللاشعور، لذلك يجب أن تكون علي دراية كافية بالأساليب الخاصة بالتحليل النفسي وميكانيزمات الشخصية.

(٤) يمكنك الإستعانة بمجموعة من الإختبارات مثل:

أ- **إختبار روورشاخ:** والذي يتكون من بعض بقع الحبر التي لا تعني أشكالا معينة أو محددة وتعرض هذه الصور علي المراهق ويطلب منه أن يذكر مايراه من أشكال وبطبيعة الحال فإن كل إستجابة من المراهق يجب أن تكشف عن الحالة النفسية التي يعانيها المراهق.

ب- **إختبار تفهم الموضوع:** ويعرض فيه للمراهق صور معينة ويطلب منه أن يذكر ماتوحي به هذه الصور له ويجب في هذه الحالة أن يتضمن هذه الصور صورا للجنس الآخر مواقف تعبر عن العلاقة بين الرجل والمرأة.

جـ- **إختبار تداعي المعاني:** وفيها يعرض علي المراهق عدد من الكلمات ويطلب منه أن يذكر أول كلمة تخطر له عند سماع كل كلمة مثلا إذا قيل له أي ماهو أول شيء يخطر علي ذهنه أو الأب..أو الأم أو العلاقة الجنسية ..الخ.

د- **إختبار تكميل الجمل:** وفيها يعرض للفرد جمل ناقصة ويطلب منه أن يكملها في وقت محدد مثل إذا وضعت العبارات الآتية أمامه مثل:

- العلاقة بين الرجل والمرأة هي ،،

- الحب بالنسبة للرجل هو ...

- ..... الرجولة هي .....

هـ- **إختبار المعلومات:** وفيها تصمم أسئلة للمراهق تبدو في ظاهرها أنها تقيس معلومات الفرد ولكنها في نفس الوقت تكشف عن إتجاهاته.

و- **إختبارات الإستدلال:** وفيها يوجد أسئلة مجردة يتعلق بعضها حول بعض الموضوعات التي يراد الكشف عنها عن طريق الإستدلال المنطقي عن إتجاهات المراهق نحوها.

ز-**إختيار الحكم:** وفيها يطلب منه أن يحكم علي أوضاع أو مواقف معينة أو رأيه في الآخرين وذلك من أجل الكشف عن إتجاهات المراهق نحو المشاكل والمواقف التي يواجهها.

٥- كل هذه الإختبارات تحتاج الي باحثين مدربين ومتخصصين في تفسير البيانات. ويجب أن يقوم الباحث بإعداد مفتاح للإجابات حتي يدرك المعني أو الهدف الذي من أجله صمم المثير أو السؤال وتوقعات الإجابة ودلالة كل منها بالنسبة للباحث. وهنا يستعين الباحث باخصائيين نفسيين ومحللين نفسيين حتي يتأكد من ثبات وصدق إختباراته.

ب- في الميدان

١- يجب أن تستعين بأحد الأخصائيين (في المدرسة) أو المشرفين (بالنسبة للنوادي) لأجراء البحث وتمهيد دخولك الي جماعة من الشباب في سن المراهقة (يجب تحديد الفترة التي تعتقد أنها سن المراهقة وهي غالبا من ١٧-٢٢).

٢- يجب أن تعطي فكرة عامة عن البحث وأحذر أن تعطي الفكرة الأصلية للبحث لأن ذلك يؤثر في إستجابات المراهقين أو سخريتهم من البحث.

٣- يجب أن تفصل الحالات الشاذة أو المثيرة للإستبصار وتحاول دراستها

دراسة مفصلة أو يمكنك الإستعانة بطريقة دراسة الحالة.

٤- قارن بين النتائج الي توصلت اليها بالنسبة لكل من الجنسين.

٣- عرض النتائج:

يجب أن يشتمل التقرير النهائى (١٠ صفحات) علي النقاط الآتية:

١- عبارة موجزة عن المشكلة الخاصة التي تدرسها بالنسبة لإتجاهات المراهقين والتي تريد بحثها.

٢- شرح تفصيلي عن الإختبارات التي صممت أو استعنت بها في إجراء البحث.

٣- تحديد الطرق والأدوات التي أستعين بها في تدعيم الإستجابات.

٤- مناقشة النتائج التي توصلت اليها مصاغة في الفاظ سيكوسوسيولوجية بالإضافة الي إقتراح أي فروض يمكن أن تكون موضوع دراسة تجريبية في المستقبل.

٥- يجب أن تبين الصعوبات التي واجهتك في جمع البيانات وكيف أمكنك التغلب عليها.

٦- يجب أن يرفق مفتاح للدلالات الخاصة بالإستجابات وكيفية الصدق والثبات لها.

ثانيا: طريقة تحليل المضمون Content analysis

ظهرت طريقة تحليل المضمون في العشرينات الأخيرة من القرن الحالي كرد فعل للأزدياد السريع في حجم المادة التي تقدمها وسائل الإتصال الجمعي أو الجرائد والمجلات والأفلام السينمائية وبرامج الإذاعة والتلفزيون، والتي تهدف إما الي تعليم الجمهور أو تثقيفهم أو إمتاعهم أو تسليتهم أو إحاطتهم بما يجري حولهم في العالم من احداث. بحيث تصب طريقة تحليل المضمون

تحليلاتها علي مادة هذه الوسائل التي يجدها الباحث جاهزة تحت يده إعتقادا منه بأنها تعكس جانبا كبيرا من المناخ الإجتماعي الذي ظهرت في نطاقه، وتصلح للأجابة علي كثير من التساؤلات المتعلقة بالعناصر المتباينة لثقافة المجتمع، والمقارنة بين ثقافة هذا المجتمع والمجتمعات الأخري من حيث أوجه الشبه والإختلاف، وتتبع التغير الثقافي من حيث عوامله ومظاهره ونتائجه وهكذا.

ونحاول فيما يلي القاء الضوء علي المقصود بتحليل المضمون، ووسائل تحليل المضمون، وخصائصه أو مميزاته، ثم إستخداماته، وعيوبه.

تعريف طريقة تحليل المضمون:

يقصد بطريقة تحليل المضمون عملية وصف محتوي وسائل الإتصال في صورة منظمة، أو بعبارة أخرى تمثل هذه الطريقة أسلوباً فى البحث يهدف الى الوصف الموضوعى المنظم والكمى للمحتوى الظاهر للاتصالات الجمعية وينطوى هذا التعريف على اشارة صريحة لمكونات طريقة تحليل المضمون، والتى تتمثل فى الوصف الموضوعى المنظم والكمى للمحتوى الظاهر للاتصالات، بحيث لو أجرى هذه الوصف بمعرفة أكثر من محلل لتم التوصل الى نفس النتائج، وأن ينتظم هذا الوصف على نحو يسمح باختبار فرض علمى أو يسمح بالتعميم وأن يأخذ هذا الوصف طابعا كميا من خلال رصد تكرار عناصر مادة الاتصال وخاصة المحتوى الظاهر لها دون التطرق الى المقاصد الباطنية والمضمون الكامن لها.

وسائل طريقة تحليل المضمون:

تستعين طريقة تحليل المضمون بعدد من الوسائل أو الخطوات يمكن أن نحصرها فيمايلى:

- انتقاء عينة من مصادر مادة الاتصال (الجرايد - المجلات - الأفلام السينمائية ... الخ).

- انتقاء فترة زمنية محددة (فترة يغطيها أو يستغرقها التحليل).

- انتقاء وحدات التحليل (جوانب مادة مصدر الاتصال موضوع التحليل).

ويقصد بانتقاء عينة من مصادر مادة الاتصال، هو تحديد مصادر مادة الاتصال وهل سيقتصر أمر التحليل على مادة تجئ من مصدر واحد أو مصادر مختلفة وأى نوع من أنواع المصادر المنتقاة ستأخذ المادة، هل من الجرائد والمجلات والأفلام التى تدور حول موضوع معين أو موضوعات مختلفة وهكذا... .

ويقصد أيضا بانتفاء فترة زمنية محددة، تحديد الفترة التى صدرت خلالها مصادر مادة التحليل، هل هى فترة طويلة تستغرق سنوات أم فترة قصيرة تستغرق شهور أم مجرد فترة واحدة أو فترات متعددة وهكذا ....

كما يقصد بانتفاء وحدات التحليل ، قد يكون مادة مصادر الاتصال تتنوع بين الكلمة والرموز المصطلح، والموضوع والشخصية والمساحة والزمن. وكذلك عليه أن يحدد وحدة التحليل فى واحد منها أو أكثر، وهل التحليل سيدور حول كلمات تظهر فى مصادر الاتصال، أم على شخصيات أم مساحات أعمدة أو سطور، أم على فترات زمنية دقائق مخصصة لبرنامج اذاعى أو تليفونى أم غيرها، وهكذا ... .

استخدامات طريقة تحليل المضمون:

تتعدد استخدامات طريقة تحليل المضمون، وتتنوع بين مجرد الاستفادة منها فى وصف الاتجاهات الغالبة على مادة الاتصال وتطورها والمقارنة بين مستوياتها واقبال الجمهور عليها، وبين التعرف على الأهداف التى تكمن وراء مادة الاتصال وبين الوقوف على الاتجاهات الاجتماعية والقيم والسمات الثقافية التى تعبر عنها مادة الاتصال ومحاور الاهتمام السائدة والتعرف على صور السلوك وغيرها.

عيوب طريقة تحليل المضمون:

تظهر عيوب طريقة تحليل المضمون اذا نظرنا إلي حجم المشكلات التي يثيرها ذلك لأنه يصعب مع هذه الطريقة أن يعرف الباحث إلى أى حد يستمر فى التحليل الكمي لمادة الاتصال، ومتي يستعين بالتحليل الكمي وإضافاته القيمة؟

كما يصعب على هذه الطريقة تحقيق شرط الموضوعية لما يتطلبه ذلك من توفير الثبات بمعنى الاتساق بين المحللين المختلفين والوصول إلي نفس النتائج باستخدام نفس فئات التحليل، والوصول إلي نفس النتائج إذا طبق التحليل على وحدات زمنية متباعدة، ويصعب كذلك أن يكون اختيار عينات وحدات التحليل الكلمات والموضوعات أو الشخصيات أو غيرها على نحو يحقق شروط تمثيل العينه للمجتمع الأصلى وشمولها وإعطاء كل وحدة أو مفردة فرصة للظهور في العينة وهكذا مما يؤثر على عمليات تنظيم مادة تحليل المضمون.

هذا كله فضلا عن اخطاء التفسير والاستنتاج وتأثره بعوامل ذاتية تتصل بالباحث أو بغيره.

تمرين مقترح لتحليل المضمون*:

عليك أن تقوم بتحليل مضمون بعض مظاهر السلوك الجمعى على النحو الذي وردت به فى وسائل الاعلام. وأما عن المادة التى سوف تقوم بتحليل مضمونها فيمكنك جمعها بواسطة اختيار موضوع من الموضوعات التالية، والقيام بعملية تحليل مقارن:

١- القضايا الكبري أو المسائل الأساسية التى ينطوى عليها نوعين مختلفين من المجلات الشعبية المتداولة ولنأخذ على سبيل المثال مجلتى: الاذاعة والتليفزيون والمصور.

٢- نماذج الاخبار التى تستعرضها جريدتان يوميتان: كالأهرام والأخبار (مع الأهتمام بالمقارنة بين موضوعات الخبر).

٣- الموضوع الأساسي لأحد الأفلام الأجنبية (فليم امريكى أو فرنسي أو ايطالى وأحد أفلام المصرية.

٤- الصور الكاريكاتورية فى مجلتين سياسيتين صورتا فى نفس الأسبوع.

٥- ثلاث نشرات اخبارية تلفزيونية مدة كل منها ثلاثون دقيقة: أذيع أثنان منها أثناء الأيام العادية بينما أذيعت الثالثة يوم العطلة الاسبوعية الرسمية.

٦- التقاليع والتوضات التى تستعرضها الاعلانات التلفزيرنية والأذاعية والسينمائية موديلات الأزياء بالنسبة للذكور والأناث، السلع الكمالية وأدوات التجميل والتزين، الأغذية المحفوظة وما الى ذلك.

وهذه هى مجموعة الخطوات التى يمكنك اتباعها لتحليل المضمون:

أ- قبل البدء بالتحليل:

١- أقم باختيار أحد الموضوعات الواردة فى التمرين المقترح.

٢- صياغة المشكلة (أو الفرض) التى تتيح فرصة أجراء المقارنة بين جماعتين أو بين نموذجين من الأنشطة، كالمقارنة مثلا بين الفترة الزمنية المخصصة للبرامج التعليمية، والفترة الزمنية المخصصة للبرامج الرياضية فى التليفزيون.

٣- حدد مضمون المادة الذى تريد وصفه ، والفئات التى سوف تستخدمها، هل تريد أن تقوم بدراسة: موضات، حركات شغب رتمرد ...

٤- حدد وحدة التحليل عندك: ما الذى سوف تحلله هل هو كل اعلانات الجريدة التى تتعلق بالازياء أم الاعلانات الملونة فقط؟ كل الأخبار المتعلقة بالسلوك الجمعى، أم تلك التى تختص بمعارضة الحروب، ومظاهرات

الطلاب...

٥- قم بتحضير بطاقة ترميز، لتدول فيها البيانات التى تخطط لجمعها، ويمكنك أن تتخذ من الشكل التالى نموذجاً لهذه البطاقة فى حالة تسجيل السلوك الجمعى الذى أشارت اليه للنشرات الأخبارية التلفزيونية:

أمثلة للسلوك الجمعى

(فى النشرات الأخبارية بالتلفزيون)

	معارضة الحروب	المظاهرات وحركات التمرد	حركات نسائية
٣٠ ثانية			
٦٠ ثانية			
٩٠ ثانية			
١٢٠ ثانية			

ب- فى عملية التلحيل:

١- فى كل حالة من الحالات تأكد أنك قمت بتسجيل كل أمثلة السلوك الجمعى (أو السلوك الايجابى فى التليفزيون والأفلام) التي تنطبق علي دراستك. أما إذا كنت غير متأكد من مفردة معينة من مفردات السلوك الجمعي، فدونها وقرر في نهاية الأمر ما إذا كنت محتاجا الي وضع فئة جديدة لهذه المفردة، أم أنه ينبغي حذفها أو إلغاؤها، وفي كل حالة من حالات التحليل، وخاصة إذا كنت تقوم بتحليل وثائق مكتوبة لابد أن تحتفظ بسجل صغير يصور طريقة تحديد وترميز كل مفردة من مفرداتك (فإذا) كنت تقوم بترميز سجلات، أو صحف، أو إعلانات، يمكنك أن تسجل الرمز علي الوثيقة ذاتها، وذلك بجانب كل مفردة قمت بإختيارها

ثم إدرجها في البطاقة المخصصة لذلك وهذا يسمح لك بأن تراجع وقتك).

٢- لكي تقوم بترميز فيلم، وتضمن درجة عالية من الدقة، ربما يكون من الضروري أن تشاهده مرتين أو ثلاث مرات، وبطبيعة الحال لا تسمح النشرات الإخبارية بذلك مالم تشاهد مقدمتها وملخصها. وربما يكون من الأيسر (والأدق) أن تقوم في هذه الحالة بتحليل الوقت، وذلك بواسطة حصر عدد الثواني أو الدقائق التي إستغرقها عرض موضوع أو مفردة معينة، وطالما أن الإعلانات التلفزيونية عدة مرات. فإنها تكون يسيرة نسبيا عند ترميز مضمونها ترميزا دقيقا.

عرض النتائج:

أعرض نتائتجة علي نحو منظم وواضح، بحيث تشتمل علي العناصر الآتية:

١- قضية مختصرة تصور مشكلتك، ووسيلة الإتصال التي وقع عليها الإختيار، ومادة الموضوع التي تفحصها، والمقارنات التي تعقدها.

٢- عرض لنتائجك علي شكل جدول، وينبغي أن تشتمل جميع الجداول علي رؤوس موضوعات محددة بدقة وعناوين واضحة ودالة. ولا يفوتك أن تعوض النسب المئوية لكل مفردة.

٣- أهمية النتائج التي يعرضها كل جدول من جداولك.

٤- إقتراحات بشأن إجراء بحوث أخري في هذا الميدان.

٥- قائمة ببعض المشكلات التي واجهتك في حل التمرين، وطريقة تغلبك عليها وكيف أن إستخلاصاتك ونتائجك يمكن أن تكون ذات فاعلية.

ثالثا: طريقة تحليل البيانات المتوفرة*.

Secondray data analysis

السجلات الإحصائية والوثائق الشخصية.

Statiscal Data and Personal documentations

كان حرص الباحثين علي الإقتصاد في الوقت والجهد والإمكانيات في عملية البحث من أهم الدوافع التي جعلتهم يفكرون في إستخدام بيانات في متناول اليد جاهزة ومعدة لأغراض غير أغراض البحث العلمي وأخذت صوراً متعددة من أهمها السجلات الإحصائية والوثائق الشخصية، بحيث كان تحليل البيانات التي توفرها هذه الأساليب من أهم طرق البحث الإجتماعي التي لها أهميتها وإستخداماتها وخصائصها ووسائلها وعيوبها.

تعريف طريقة تحليل البيانات الجاهزة:

هي تلك الطريقة في البحث التي تستعين بالبيانات التي توفرها السجلات الإحصائية والوثائق الشخصية، بحيث تستعين السجلات الإحصائية التي تصدر عن تعدادات السكان والمؤسسات الصحية والإقتصادية والحكومية والصناعية والتعليمية وغيرها والتي تنطوي علي بيانات تتعلق بالسكان ونوعهم وأعمارهم وحجمهم ومهنهم والمستويات الصحية والمواليد والوفيات والأجور وساعات العمل والكفاية الإنتاجية ومعدلات الجريمة ومعدلات التعليم وهكذا كما تستعين بالوثائق الشخصية التي تصدر في صور سير ذاتية وخطابات ويوميات وغيرها والتي تنطوي ايضا علي خبرات شخصية وأحداث تاريخية وغيرها.

خصائص ومميزات طريقة تحليل البيانات الجاهزة:

تعكس طبيعة البيانات التي تعتمد عليها هذه الطريقة بعض الخصائص

والمميزات الهامة، منها أن بيانات السجلات الإحصائية مثلا قد تم جمعها علي فترات متباينة الأمر الذي يسهم بدوره في جعل هذه البيانات تفيد في الوقوف علي إتجاهات التطور في جوانب الحياة الإجتماعية التي تعبر عنها هذه البيانات.

كما أن هذه البيانات قد جمعت في المجري الطبيعي لوقوع الأحداث مما يعكس موضوعيتها، بالمقارنة بالبيانات التي يقوم بتجميعها باحثون قد يؤثر وجودهم في تعاون أفراد المجتمع وفي تحيزهم.

كما تتميز هذه البيانات بأنها تمنح الباحث فرصة التعامل مع مادة سبق جمعها تعبر عن وحدات كبري في المجتمع هي القرية أو المدينة، أو الدولة ككل، وتعتمد علي المجموع الكلي للسكان من خلال الحصر الشامل أو التعداد أكثر من إعتمادها علي العينات مما يضفي عليها قيمة ودلالة في التفسير والتعميم.

إستخدامات طريقة تحليل البيانات الجاهزة:

تتعدد إستخدامات طريقة تحليل البيانات الجاهزة وتتنوع بين الإستفادة منها في التحقق من بعض الفروض العلمية وهذا ماحاوله دور كايم عندما حاول التحقق من الفرض القائل بالعلاقة بين الإنتحار والتكامل الإجتماعي، عن طريق تحليل السجلات الإحصائية عن الإنتماء بين الجماعات الدينية والكاثوليك والبروتستانت وبين العزاب والمتزوجين وغيرهم.

وقد تستخدم أيضا السجلات الإحصائية في إستكمال بعض مراحل بحث يجري حول ظاهرة معينة، ولتكن مثلا ظاهرة الجريمة بحيث تستخدم السجلات الإحصائية في مرحلة التعرف علي حجم الجريمة وإتجاهاتها هكذا.

وتستخدم السجلات الإحصائية كذلك إختيار حالات البحث تتميز بخصائص

محددة يمكن إعتبارها من بين عينة البحث الأكثر تعمقا، ذلك أن هذه السجلات تفيد في التعرف علي الخصائص المتباينة لجمهور السكان، الأمر الذي يسهل معه إختيار حالات ضمن هذه الفئات المختلفة لها بعض الخصائص المفصلة في البحث.

كما تستخدم الوثائق الشخصية في الوقوف علي الخبرات المتنوعة في حياة الأفراد وتكون صورة واضحة عن معالم الشخصية وخاصة الشخصيات البارزة، وفي الأغراض الإستكشافية والوصفية وزيادة الإستبصار بموضوعات شخصية معنية.

عيوب طريقة تحليل البيانات الجاهزة:

من أهم عيوب هذه الطريقة أن التسجيلات الإحصائية قد تستخدم مفاهيم لا تتفق مع المفاهيم المستخدمة في البحث.

وأن كثيرا من بيانات هذه السجلات مشكوك فيها وخاصة ما تعلق بالدخل وميل الأفراد في هذا الصدد الي تقديم بيانات غير دقيقة شهريا من الضرائب مثلا.

كما يعاب علي الوثائق الشخصية، أنها مفرقة في الكذب وعدم إمكانه إجراء معالجات إحصائية لبيانات الوثائق، وبالتالي يصعب معها إجراء التعميم.

رابعا: دراسة الحالة Case Study

تعتبر دراسة الحالة من أقدم وأهم الطرق التي إستخدمت في البحث الإجتماعي لوصف وتفسير الخبرات الشخصية والسلوك الإجتماعي. إذ ترجع بداية إستخدام هذه الطريقة التي القرن التاسع عشر أو قبله بنحو من السنوات

قليل. حيث كان الإنجليزي اوري Ure أول من إستخدم هذه الطريقة في تناول الآثار الإجتماعية والإقتصادية المترتبة علي إستخدام الالات الميكانيكية ثم جاء فردريك لوبلاى Le Play ليضفي علي إستخدام هذه الطريقة طابعا منهجيا منظما وذلك عندما إستعان بها في دراساته عن اقتصاديات الأسرة وغيرها من العناصر الهامة في البناء الإجتماعي ثم وسع هربرت ينسر H. spencer من نطاق إستخدام هذه الطريقة في البحث تشتمل جمع أكبر قدر من الوثائق الاتنوجرافية عن الإنسان البدائي. ثم دفع توماس وزنانيكي في دراستهم الفلاح البولندي في أوربا وأمريكا بهذه الطريقة الي الأمام تقدمت دراساتهم مثالا حيا علي إستخدام هذه الطريقة في البحث الإجتماعي وإمكانياتها ومميزاتها وعيوبها.

تعريف دراسة الحالة:

يقصد بالحالة التي تخضع للدراسة فرد واحد أو موقفا إجتماعيا أو جماعة إجتماعية، أو أسرة أو مجتمعا محليا، يكون المقصود بدراسة الحالة ذلك الأسلوب في تنظيم الحقائق والمعلومات التي يمكن الإستفادة منها في رسم صورة كلية لواحد من هذه الوحدات المثلة لأنواع الحالات وذلك في علاقتها وأجزائها بعضها بالبعض الآخر وفي وضعها في المحيط الإجتماعي والثقافي الذي توجد فيه.

وتحدد دراسة الحالة في قول آخر بأنها تركز علي الموقف الكلي أو مجموع العوامل التي تساعد علي وجود موقف معين تعيشه هذه الوحده أو السلوك الذي إعتادته داخل هذا الموقف. ولما كانت دراسة الحالة تمثل أسلوب في تنظيم المعلومات من أجل توفير الصورة الكلية عن الحالة موضوع ادراسة/ كان هذا معناه أن دراسة الحالة ليست بالطريقة البسيطة في لابحث وتكونها طريقة مركبة قد تعتمد علي أكثر من أداة تعينها علي تكوين هذه الصورة وعلي أكثر من إجراء في تنظيم المعلومات بصددها فليس من المستغرب إذن أن يستعين القائم بدراسة الحالة بأدوات مثلا الملاحظة والمقابلة والإستبيان والتحليل

الإحصائي وغيرها.

وسائل التحليل في دراسة الحالة:

من وسائل التحليل التي ذاع إستعمالها في دراسة الحالة مايعرف بتاريخ الحالة من ناحية وما يطلق عليه أسم التاريخ الشخصي للحياة من ناحية أخري ولما كان هناك فارقا أساسيا بين كل وسيلة من هذه الوسائل في دراسة وتحليل الحالات كان لابد من إلقاء الضوء عليها منعا للبس والإختلاط.

تاريخ الحالة

يقصد بتاريخ الحالة المراحل التطورية التي مرت بها والتي تتضمن مراحل النمو والتطور الجسمية والذهنية والإنفعالية والسلوكية. ولذلك يقال أن تاريخ الحالة يقصد به قصة حياة الحالة أو صورة حياة الحالة في مجموعها أو في كل فتراتها.

ولما كانت هذه المراحل من التعدد والإختلاف كان من الصعب العثور علي وثائق مكتوبة توضح تطور الحالة في كل مرحلة، وكان من الضروري علي الباحث الذي يجري دراسة حالة من خلال هذا الأسلوب يقدم صورة كلية عن هذه الحالة كان من المتوقع أن يعتمد الباحث في هذا الصدد علي عدد متباين من المصادر التي تفيده في الحصول علي بيانات كل مرحلة سواء أكانت هذه المصادر هي الفرد نفسه أو الجماعة أو غيرها من أنواع الحالات، أو من أسرة الفرد أو والديه أو أقاربه أو معلموه في المراحل الدراسية المختلفة أو أصدقائه أو معارفه أو زملائه في العمل أو غيرها وأن يستفيد من الأدوات المعروفة في جمع البيانات من كل مصدر، سواء أكانت هذه الأدوات وثائق شخصية أو سير ذاتية أو يوميات أو خطابات أو إعترافات أومقابلات شخصية أو ملاحظات أو إستخبارات أو غيرها أو حتي سجلات أحصائية أو رسمية.

ويقدم بعض المهتمين بدراسة الحالة إطارا يمكن علي ضوئه تنظيم المعلومات التي جمعت عن الحالة – خاصة إذا كانت الحالة فردا ينطوي علي الجوانب الهامة التالية:

النمو الفيزيقي:

يجمع كل المعلومات المتوفرة عن الحالة وتشير الي تطور المشي والكلام واللعب وغيرها من مظاهر النمو البدني في مرحلة الطفولة.

النمو السلوكي

ويجمع كل المعلومات المتوفرة عن الحالة وتشير الي عادات النوم والأكل وضبط التبول والتبرز، وتكوين الأصدقاء والقدرة علي التعامل مع الأخرين كبار وصغار والتغلب علي الصعوبات.

النمو الدراسي:

ويضم كل البيانات المتوفرة علي الحالة وتتعلق بتكيفه مع الظروف الدراسية منذ اللحظة الأولي، وتقبل سلطة مدرسية، والنظام المدرسي وتفوقه أو تخلفه وعلاقته بزملائه ونمو القدرات الخاصة مثل التفوق الرياضي أو الفن أو غيرها، وظهور الإهتمامات والأهداف.

النمو الإنفعالي والشخصي:

وتشمل علي كل البيانات التي توفرت عن الحالة ولها صلة بإستجاباته الإنفعالية من إحباط أو غضب أو إنحراف المزاج أو التذبذب في الإستجابة، ونمو الشخصية من حيث إتجاهها نحو التسلط أو التبعية أو غيرها

مشكلة الحالة:

وتشتمل علي كل البيانات التي توفرت عن المشكلة التي أجريت دراسة الحالة من أجلها، وتتعلق بأول مرة حدثت فيها المشكلة وأسست الحالة بها، وتطورها والمصاعب التي نجمت عنها بالنسبة للحالة والمحيطين بها وهكذا.

التاريخ الشخصي للحياة Life history

يقصد بالتاريخ الشخصي للحياة تصور لمراحل التطورية الثقافية التي مر بها الشخص والتي تنطوي علي عمليات نموه الجسمي والذهني والإنفعالي والسلوكي وتقديره للإهتمامات والخبرات وتفسيره لهذا النمو والإهتمامات يقدمه الشخص نفسه ويراه مناسبا للمراحل الثقافية لنموه الإنفعالي والسلوكي. أو هو بعبارة أخري دراسة حالة يجريها الشخص لنفسه وهنا يكون المصدر الأساسي للبيانات منصبا علي الفرد نفسه موضوع الدراسة ويحدد بالتالي الأدوات المناسبة لحصول علي البيانات التي تفيد في هذا الغرض.

ومن هنا كان البعض يري أن دراسة التاريخ الشخصي للحياة ضرورة من صور تاريخ احالة وأن كانوا لا يقبلون الإختلافات الأساسية بين الأسلوبين في دراسة الحالة، والتي تتمثل في إعتبار تاريخ الحالة تهتم بالفرد ويهتم التاريخ الشخصي للحياة بالشخص نفسه، وأنه يمكن أن يطبق أسلوب تاريخ الحالة في دراسة أنواع مختلفة من الحالات غير الفرد، مثل الجماعة، والنظام والمجتمع المحلي أما دراسة التاريخ الشخصي للحياة، لا تطبق إلا حيث تكون الحالة فردا أو أفراد، وأنه في تاريخ الحالة لا يكتفي الباحث الحصول علي المعلومات من الحالة نفسها أو الفرد وربما يحصل عليها من مختلف المصادر الأخري للتثبيت من صحة البيانات ، في حين أنه في التاريخ الشخصي للحياة لا يكتفي الباحث بالمعلومات التي تقدمها الحالة شفاهة أثناء عملية المقابلة الشخصية أو الإستبار أو كتابة (من خلال وتحليل الوثائق الشخصية والمذكرات واليوميات..الخ) كما أنه في تاريخ الحالة لا يهتم الباحث بالتفسيرات التي تقدمها الحالة للمراحل المتعاقبة في نموها علي عكس مايحدث من إهتمام الباحث في التاريخ الشخصي للحياة بأن تحكي الحالة تاريخ حياتها ومن وجهة نظره بأن تعطي ماتشاء من تفسيرات لما مر بها من مواقف وإحداث.

ولم يغفل المهتمين بدراسة الحالة الإشارة إلي الإطار الذي يمكن علي ضوئه تنظيم المعلومات من أجل الوصول الي الصورة الكلية للحالة التي يحاول تتبع

تاريخها الشخصي. وهو إطار يضم مجموعة من المعايير التي تولي إهتمام بالغا بسلسلة الخبرات المترابطة والمتناسقة والمستمرة والتي توسخت عند الحالة في سياق حياتها الإجتماعية والثقافية والتي تحرك وتدفع السلوك الشخصي والإجتماعي، منذ الطفولة حتي البلوغ وسواء إعتمد الباحث في دراسة الحالة علي أسلوب تاريخ الحياة أو تاريخ الشخص للحياة فمن الأهمية بمكان أن يهتم بتسجيل البيانات التي يحصل عليها وتدوين الملاحظات أول بأول دون أن يترك ملاحظة منها، أو بعبارة أخري يقوم بحفظ ههذ المعلومات بوسيلة تعينه علي لم شملها مثل الملفات أو السجلات، ثم يحاول بعد ذلك تجميعها في بنود أو تحت فئات مختلفة حتي يسهل بعد ذلك تحليل هذه البيانات وربطها ببعضها بالبعض الآخر، وإستخلاص النتائج التي تلقي الضوء علي الموقف الكلي الذي تعيشه هذه الحالة.

إستخدامات دراسة الحالة:

تتعدد وتتنوع إستخدامات دراسة الحالة بتعدد وإختلاف الأهداف التي يسعي الباحث من وراء إستخدامه لهذه الطريقة. فلقد سبق أن أشرنا أن الباحث الذي يجري دراسة إستطلاعية يحتاج الي إجراء تحليلات لبعض الحالات المثيرة للإستبصار هنا قد يجد من المناسب إستخدام طريقة دراسة الحالة لإجراء مثل هذه التحليلات سعيا وراء هدف هو زيادة الإستبصار بموضوع بحثه، أو الكشف عن مختلف جوانب هذا الموضوع أو حتي محاولة بلورة بعض الفروض المتعلقة بمثل هذا الموضوع.

كما أشرنا أن الباحث الذي يجري بحثا وصفيا قد يعتمد علي طريقة دراسة الحالة في تقديم وصف الجماعة أو مجتمع محلي قرية أو مدينة أو غيرها، بحيث يمكن له من خلال هذه الطريقة تحقيق أهداف بحثه فى تقديم صورة كلية عن هذه الجماعة أو المجتمع.

وأشرنا كذلك أن الباحث الذي يجري بحثا تقويما قد يلجأ الي طريقة دراسة

الحالة في التعرف علي المجتمع أو الجماعة التي يراد احداث تغيرات في نطاقها عن طريق برامج موضوع التقويم، بحيث تمكنه دراسة حالة الجماعة أو المجتمع في اللحظة الأولي وقبل إدخال برنامج التغير الرعاية أو التنمية بهدف التعرف علي ظروف هذه الجماعة ومايصل اليه حالها، ثم إجراء حالة لاحقة لإدخال البرنامج بعد أن يحدث له آثاره حتي يمكن تقدير مدي تحقيق البرنامج لأهدافه في ضوء عملية المقارنة بين دراسة الحالة في الفترة السابقة علي دخول البرنامج، ودراسة الحالة بعدد دخول البرنامج علي هذه الجماعة أو المجتمع.

كما تستخدم دراسة الحالة في مجال خدمة الفرد، بحيث يستطيع المهني الذي يقوم بعملية تشخيص أسباب المشكلات التي تعاني منها حالات الأفراد الذين يقوم برعايتهم ،بهدف وضع خطة العلاج للحالات محل الفحص قبل الإقبال علي تنفيذ أي برنامج للعلاج أو المساعدة.

خصائص أو مميزات دراسة الحالة:

هناك عدد من الخصائص أو المميزات التي تتسم بها دراسة الحالة كطريقة في البحث الإجتماعي من أهمها:

إن دراسة الحالة تتصف بالتعمق أكثر مما تترصف نحو الإتساخ، لأن هذه الدراسة تنصب علي معظمها حول حالة واحدة، وتناول الحالة من جميع جوانبها وتتعمق فهم الخصائص والسمات المميزة لكل جانب من هذه الجوانب عن طريق جمع المعلومات المتباينة حول هذه الجوانب من مختلف المصادر ثم نحاول ترتيبها وتنسيقها وتنظيمها بما يساعد في تقديم صورة تكاد تكون متكاملة عن هذه الحالة موضوع البحث.

إن دراسة الحالة تتصف بالمرونة أكثر مما تتسم بالجمود، لأن هذه الطريقة تسمح للباحث بأن يطور ويعدل خطة بحثه وحتي فروضه وتصوراته نتيجة لما توفره من زيادة التبصر والتعمق لموضوع البحث، ولا تمنعه من أن ينتقل من أداة في جمع البيانات إلي أخري بين الملاحظة بالمشاركة والملاحظة المقننة أو بين المقابلة الشخصية والإستبيان أو بين الوثائق والسجلات أو غيرها، مايجده منها

أنه لم يمكنه من الوصول الي الفهم الكامل للحالة يتركه الي غيره من أدوات تعينه وتحدد البيانات التي يريدها لتحقيق هذا الهدف.

إن دراسة الحالة قد تتصف بالقدرة علي الوصول الي تعميمات طالما كانت الحالة المقيدة موضوع التحليل قد تحصل من السمات مايجعلها ممثلة لعدد كبير من الحالات أو قد تفيد دراسة الحالة بناء علي ذلك بالتنبؤ في نطاق الحالات المتماثلة.

عيوب دراسة الحالة:

ومع تقدير أهمية وجوهرية دراسة الحالة كطريقة في البحث، إستطاع بعض الكتاب في تراث البحث الإجتماعي أن يشيرا الي بعض الأخطاء أو الثغرات التى تنطوى عليها دراسة الحالة، ينبغى أ نحيط بها حتى نعمل على تجنبها ونحن نستخدم هذه الطريقة فى البحث .

وباستطاعنا أن نحصر هذه الأخطاء فيمايلى:

١- يتعذر مع دراسة الحالة وما تنتهى اليه من نتائج الوصول الى تعميمات، ذلك لانه لايصح تعميم النتائج من دراسة عدد قليل من الحالات أو على أساس الخبره الشخصية بحالات محدودة لا تمثل الواقع تمثيلاً صادقا أو بناء على دراسة حالات شاذه تحتاج الى مساعدة.

٢- قد تقع دراسة الحالة فى أخطاء التحيز وذلك لان اعتماد دراسة الحالة على السجلات والوثائق فى تصوير مراحل تطور الحالة، قد يطبع هذه الدراسة بالطابع الذاتى المميز لهذه السجلات والوثائق ويجعل الدراسة بعيدة عن الدقه والوضوعية كما أن اعتماد دراسة الحالة على ما يقرره المبحوث موضوع التحليل فى كل حالة، يعرضها لاخطاء أخرى فى التحيز ناجمة عن ميل الحالة الى تقرير ما يريدة الباحث أو ما تتوهم أن الباحث يريده،

أما عن ميل الحالة الى تبرير سلوكها أكثر من ميلها الى الواقعية والى المبالغة فى تضخيم الاحداث أو الإغراق فى الخيال عند سرد الأحداث ... هذا فضلاً عن تحيز آخر تقع فيه دراسة الحالة ناتج عن الباحث نفسه الذى يجرب هذه الدراسة وعن ميله الى أن يرى ما يريد أن يراه هو، والى تفسير الحالة من وجهه نظره ووقف لمشاعرة وانفعالاته ومعتقداتة .. الخ.

٣- كما يؤخذ على دراسة الحالة حاجتها الى باحثين مدربين تدريبا فنيا عاليا بحيث يتعذر استخدامها الا اذا توفرت هذه الخبره والتدريب، وهى عملية تحتاج الى امكانيات للصرف على هذه الخبره وعلى الجهد لتحصيلها ووقت ضرورى للتدريب عليها. هذا فضلا عن تكاليف اجراء وتطبيق دراسة الحالة نفسها والفترة الطويله التى تستغرقها عملية استيفاء بياناتها، والجهد اللازم لكل هذه العمليات.

التمارين والاجراءات العملية لدراسة الحالة* Case - study

١- التمرين المقترح:

التمرين المقترح الخاص بدراسة الحالة A case history يتمثل فى القيام بعمل تاريخ حالة على بعض جوانب علم اجتماع الأسره. ويمكنك أن تعمل أما كباحث بمفردك أو فى فرق، يتكون كل فريق فرع من شخصين الى ثلاثة أشخاص.

واذا اخترت أن تعمل بمفردك يمكنك آن تقوم بعمل تاريخ حالة علي واحد من أسره معينة. أما لو عملت فى فريق فأن جهدك يجب أن يكرس للدراسة المقارنه على عضوين من أسرتين متشابهتين، مثل دراسة تنشئة الأناث فى أسر مختلفة أو تاريخ الحالة لكل أعضاء أسرة أسرة واحدة ويجب على كل عضو من أفراد الفريق الباحث أن يقوم بدراسة شخص أو حالة مختلفة، وفى نهاية

* أعد هذا الجزء د. محمد أحمد بيومى.

الأمر فان الفريق يجب أن تعرض نتائجهم من أجل اعدادها للتحليل.

٢- الاجراءات العملية للقيام بتمارين دراسة الحالة:

أ- قبل الذهاب الى الميدان:

١- صمم على مشكلة سوسيولوجية ترغب فى بحثها وتتبعها ونوع عضو الأسرة أو الأسرة كجماعة التى ترى أنها يمكن أن تزودك ببيانات مستفيضة مثل:

أ- كيف تختلف اتجاهات الوالدين وتفاعلاتهم في الأسر الكبيرة عنها في الأسر الصغيرة خلال مجرى التاريخ؟

ب- كيف يكون الوضع عندما تكون هناك محاولة لتنشئة الأطفال عندما يكون هناك نقص شديد فى الوضع المادى، أو عندما يكون الحصول على وظائف أمر صعب المنال. ويمكنك عمل مقابلة متعمقة لو صادفت أم تجاهد ضد هذه المتاعب.

جـ- حظى موضوع التربية الجنسية باهتمام علماء النفس. كيف يصف الأخوة والأخوات علاقاتهم النحوية؟ وكيف يعامل كل منهم الآخر؟ وهل ينمو ما تدريجيا أم منفصلين مع السنين؟

د- ماهى الأنواع المختلفة لمشاعر الحب والجنس التى يحملها كل من الزوجين تجاه الآخر خلال الزمن؟

هـ ما أنواع التغيرات التى قد تنجم فى التفاعلات الاسرية عند ما يغيب أحد أفراد الأسره نتيجة للموت أو الطلاق؟

٢- مع مراعاه الوقت المحدد للتمرين فأنه يمكنك استخدام الخطابات والمذكرات والوثائق. كذلك فأن استخدام تحليل المضمون كطريقة يساعد الباحث فى تفهم مشكلة البحث كذلك يمكن استخدام المقابلة المتعمقة.

ب- فى الميدان:

١- مرة أخرى يجب عليك أن تواجه مشكلة التعرف والنفاذ الى الموضوع أو الأسرة التى أخترتها. والى الحد الذى ترغب فى عدم التأثير فى أجابتهم فأنه من المستحسن الا تكون محددا عن مزج موضوع البحث، ولكن بين فقط انك مهتم بدراسة أنماط المعيشة للأسرة عامة.

٢- كالمعتاد اشترط أن تحصل على اجابات وملاحظات المفحوص شبه حرفيه كلما أمكن ذلك، كذلك يمكنك أن تسجل كل الملاحظات التى يمكنك أخذها.

ومن الأهمية بمكان أن تضع خطة لتتبع التغير خلال الزمن وتحديد الأحداث الهامة ونقط التحول فى حياة الأسرة أو الفرد، فلو كنت تدرس العلاقة الأسرية وتطورها خلال الزمن فأنك يجب أن تتابع بعض العبارات التى يدلى بها المبحوث مثل "وبعد ذلك لم أسال بعد ذلك عن ..." أو "هذا أثر فى تأثيراً بالغاً ولذلك قررت" .... وهكذا.

٣- عرض النتائج:

أقر مرات ومرات المادة التى جمعتها وحاول أن تجد من هذه البيانات قصة منطقية عن تاريخ الأسرة أو عضو الأسرة التى تهتم بها.

بعد ذلك يمكنك كتابة أو الشروع فى كتابة تقريرك مع اعادة نظام تقديم

البيانات كذلك يجب أن تقوم بتحليل يسهل للقارئ العادي فهمة.

ويجب أن يشتمل تقريرك على هذه النقاط:

١-ملخص عن المشكلة التى تبحثها بواسطة طريقة دراسة الحالة.

٢- ملخص عن نمط الفرد أو وضع الأسرة التى أخذتها موضوع لدراستك.

٣- قائمة بالاسئلة التى قمت بتوجيهها.

٤- النتائج والأدلة عليها (وصف للناس أو الأفراد الذين لهم أهمية) بالاضافة الى قيمة مساهمتك لعلم الاجتماع الأسرى ومدى تعميم نتائج دراستك، وماهى الفروض التى تقدمها للابحاث المستقبلية؟

٥- مناقشة للمشاكل التى واجهتك أثناى اجراء دراسة الحالة، وأى اقتراحات تقدمها للتغلب على الصعوبات المماثلة فى المستقبل.

٦- ويجب على الباحث الواحد أن يكتب التقرير فى ثلاثة صفحات على أن يشتمل كل الملاحظات والهوامش.

خامسا: المسح الاجتماعى*

Social Survey

يمكن القول أن بداية استخدام المسح الاجتماعى كطريقة فى البحث ترد الى القرن الثامن عشر عندما قام الانجليزى جون هيوارد Heward بدراسة للسجون جمع فيها بيانات عن السجون والمسجونيين، من حيث عدد نزلائها، وتواريخ دخولهم السجون ، والأمراض المنتشرة بينهم وانواعها وأسبابها ، وعدد العاملين بالسجن ودخولهم وانتهى الى عدد من النتائج أسهمت في أدخال بعض أجراءات الأصلاح ... ثم فى استخدام المسح الاجتماعى كطريقة فى البحث الاجتماعى وتزايد الاعتماد عليه، حيث نجد الفرنسى فريدريك لوبلى Le Ploy يجرى مسحا للعمال الأوربين استغرق أكثر من عشرين عاما أعتمد فيه على دراسة حالات أسرهم وميزانيتها انتهى منه الى مجموعة من النتائج أمكن له بناء عليه اقتراح مجموعة من الأقتراحات لعلاج الأوضاع السيئة للعمال الفرنسيين. ثم استخدم الانجليزى تشارلس يواث Booth طريقة المسح الاجتماعى فى القاء الضوء على حقيقة البؤس والحرمان الذى تعانية الطبقات المحرومة فى المجتمع فى المجتمع الانجليزى، وجمع من أجل ذلك مجموعة من البيانات شملت دخلهم وساعات عملهم وظروف سكنهم ومستويات معيشتهم ... الخ. وهذا يهدف بيان طبيعة الحياة التى يعيشها هؤلاء الفقراء والمحرومين حتى يمكن آثارة الجهود من أجل اصلاحها ... ولقد اتسع نطاق استخدام المسح الاجتماعى بعد ذلك وتعددت موضوعات اهتمامة ، وتبلورت أدواتة وتباينت أهدافة واستخداماتة وبناء على ذلك نحاول فيمايلى توضيح المقصود بالمسح الاجتماعى وبيان أنواع المسح الاجتماعى والبيانات التى نحاول المسح الاجتماعى توفيرها وخطواتة. ثم أهم استخدامات ومميزاتة وعيوبة.

---

* أعد هذا الجزء دكتور على عبد الرازق جلبى

المقصود بالمسح الاجتماعى:

تعددت محاولات توضيح المقصود بالمسح الاجتماعى بين اعتقاد البعض بأن المسح الاجتماعى عبارة عن دراسة للظروف الاجتماعية لمجتمع معين قرية أو مدينة أو دولة من خلال الحصول على بيانات ومعلومات كافية لوضع وتنفيذ برنامج لاصلاح هذه الظروف.

وبين نظر البعض الآخر الي المسح الاجتماعى على أنه محاولة منظمة لتقدير وتصوير الوضع الراهن لنظام اجتماعي أو جماعة أو مجتمع محلى في الوقت الحاضر بهدف التوصل الى بيانات مصنعة ومرتبة يمكن تفسيرها للاستفادة منه فى المستقبل وخاصة فى الأغراض العملية. وفى تعريف ثالث يحدد المقصود من المسح الاجتماعى فى أنه عملية جمع للبيانات منظمة من جمهور مجتمع معين أو عينة منه، وذلك عن طريق استخدام أدوات المقابلة أو غيرها. والشئ الملاحظ على هذه المحاولات المتعددة لتوضيح المقصود بالمسح الاجتماعى انها تكاد تتفق فيما بينها على أن المسح الاجتماعى عبارة عن عملية تصوير دقيقة ومنظمة للوضع الراهن لجمهور من الناس أو وحدة اجتماعية والاستفادة من هذه التصوير فى وضع برامج تنمية هذا الوضع أو تطويرة فى المستقبل بحيث يفهم من عملية التصوير الدقيقة والمنظمة أنها عملية جمع البيانات من مصادر مختلفة وبأدوات متباينة لاختلاف أنواع هذه البيانات، واتباع الدقه فى هذا الصدد، ثم ترتيب وتنظيم هذه المعلومات المتعلقة بالوضع الراهن أو الوقت الحاضر الذى يكون عليه الظروف الاجتماعية لجمهور الناس أو عينة منهم أو الوحدة الاجتماعية - جماعة وأسرة منظمة، قرية، مدينة، أمة، دولة، . . . . . الخ.

وذلك كله بهدف الاستفادة من هذا التصوير الدقيق في ترشيد أسلوب العمل واتخاذ القرارات التى تفيد في أصلاح وتنمية أو تطوير هذا الوضع الراهن. وبناء على هذه المضامين المختلفة لمعنى المسح الاجنماعى قد نتوقع اختلاف المسح وتنوعها وذلك وتنوعها وذلك باختلاف مجالاها وهدفها وزمنا.

أنواع المسح الاجتماعي:

قامت عدة محاولات لتصنيف المسح الاجتماعي الى أنواع أما حسب مجال البحث أو حسب جمهور المسح أو حسب زمن المسح أو حسب الهدف من المسح وذلك على النحو التالي:

١ - تصنيف أنواع المسح وفقا لمجالها الى مسوح عامة وأخرى متخصصة:

المسوح العامة: وهي التي تسير في اتجاه افقي ويعالج جوانب المجتمع بأكملة والحياة الاجتماعية، كأن يقوم بمسح الجوانب السكانية والتعليمية والصحية والزراعية والاسكانية والترفيهية وغيرها في مجتمع معين أيا كان حجم هذا المجتمع أو طبيعتة ونوعية الحياة الاجتماعية فيه ريفية كانت زم حضارية أم صحراوية وهكذا ...

المسوح المتخصصة أو المحددة: وهي التي تسير في اتجاه رأسي وتعالج جوانب خاصة أو محددة من المجتمع والحياة الاجتماعية داخلة، كأن تقوم بمسح للتعليم أو الصحة أو الزراعة أو الصناعة أو التجارة أو الحرف أو غيرها من جوانب حياة الناس في هذا المجتمع مهما كان حجمة أو طبيعتة.

٢- تصنيف أنواع المسوح وفقا لحجم جمهور المسح أو المجال البشرى له الى مسوح شاملة وأخرى بالعينة.

المسوح الشاملة: وهي التي تدرس جميع أفراد المجتمع أو تشمل جميع مفردات المجتمع موضوع امسح وذلك عن طريق الحصر الشامل الذي لا يترك مفردة منه دون أن يأخذها في إعتباره. والواقع أنه إذا كانت الخبرة بالبحث الإجتماعي تؤكد لنا أنه نادرا مايجري الباحثون هذا النوع من البحوث نظرا لما تتطلبه هذا النوع من المسوح الي وقت طويل وإمكانيات وتكاليف باهظة وباحثون كثيرون يندر أن تتوافر كلها بسهولة إلا أنه لا يمكن الإستغناء عن هذا النوع من المسوح خاصة وإذا كنا بصدد تصوير الوضع القائم لمجتمع صغير نسبيا مثل مجتمع القرية أو ما إليها.

المسوح بالعينة: وهي تلك المسوح التي تهتم بدراسة جزء من أفراد المجتمع أو تنصب علي عدد محدد من الحالات أو المفردات وذلك في حدود الوقت والإمكانيات المتوفرة لدي من يقوم علي أمر مثل هذا النوع من المسوح، وتؤكد الشواهد التي ينطوي عليها تراث البحوث الإجتماعية أن هذا النوع من المسوح هو أكثر أنواع إستخداما وشيوعا في البحث الإجتماعي لما له ن مزايا متعددة، يشير بعضها الي دقة البيانات وصدق تمثيلها للمجتمع الأصلي الذي أختيرت منه عينه البحث، وثبات تلك البيانات التي يوفرها عن جمهور المسح أو الظواهر والموضوعات التي يهتم بدراستها بينهم، خاصة إذا كان اختيار عينة قد تم علي أسس سليمة، ويشير بعض هذه المزايا الآخر الي أهمية هذا النوع من المسوح في توفير اجهود والإمكانيات والوقت طالما كانت نتائجه تماثل إلي حد كبير نتائج المسوح الشاملة التي تجري علي جميع أفراد المجتمع موضوع المسح.

٣- تصنيف أنواع المسح وفقا للفترة الزمنية التي يجري فيها الي مسوح دورية أو قلية أو بعدية.

المسوح الدورية: وهي تلك المسوح اتي تجري علي فترات زمنية محددة ومتباينة حيث يستافد منها في وضع الخطط الإجمتاعية القومية علي مدي هذه الفترات الزمنية المحددة ولتكن خمس أو عشر سنوات وهكذا.

المسوح القبلية: وهي تلك المسوح التي تجري علي المجتمع قبل إدخال برامج ومشروعات النتمية الإجتماعية حتي يمكن وضع هذه البرامج والمشروعات بما يتفق مع ظروف هذه المجتمعات.

المسوح البعدية: وهي تلك المسوح التي تجري علي المجتمع بعد الإنتهاء من إدخال برامج ومشروعات التنمية الإجتماعية وتنفيذها ومرور فترة لإ]داث أثرها، في الإفادة من هذه المسوح ونتائجها في تقويم مدي نجاح أو فشل هذه البرامج.

٤- تصنيف أنواع المسوح وفقا للهدف من إجرائها الي مسوح وضغية

وأخري تفسيرية:

المسوح الوضعية: وتتمثل في تلك المسوح التي تهتم فقط بعملية وصف الوضع الراهن أو تصويره لوحده إجتماعية محددة في الظروف الحالية من خلال جمع البيانات وترتيبها وتنسيقها وتنظيمها بما يفيد في أهداف الوصف هذه.

المسوح التفسيرية: وتتمثل في أنواع المسوح التي تتجاوز عملية الوص الي التفسير ولا تكتفي بمجرد تقدير الوضع الراهن، وإنما نحاول أن نبحث عن تفسيره أو الكشف عن بيعة العلاقة بين جوانب الوحدة الإجتماعية التي تهتم بمسحها أو من ظواهرها بما يساعد في إلقاء علي بعض القضايا الإفتراضية التي نتناول العلاقة بين المتغيرات كما ينطوي عليها بعض النظريات المرتبطة بالموضوعات التي يجري عليها النوع من المسوح.

خطوات المسح الإجتماعي:

ومهما كان نوع المسح الذي يستعين به الباحث كطريقة لإجراء بحثه، فإنه مطالب في كل الأحوال بأن يسير في عدد من الخطوات المنهجية تعينه علي تحقيق أهدافه من الإعتماد علي المسح الإجتماعي، هي خطوات الختطيط للمسح، وتنفيذ المسح ثم إخراج نتائجه أو عرضها بأية صورة من الصور.

التخطيط للمسح:

وتبدو أهمية عملية التخطيط للمسح وقبل الشروع في تنفيذه إذا علمنا أن جانبا كبيرا من المسح قد يتوقف علي التخطيط وأن تنفيذه علي الوجه المناسب قد يتعثر بدون هذا التخطيط، حيث أن التخطيط للمسح يقتضي من الباحث تحديد الغرض من المسح أو أهدافه المتباينة العام منها والخاص أو الرئيسي والثانوي، والتعريف بالعناصر المختلفة لهذه الأهداف، كما يتطلب منه تحديد المفاهيم المستخدمة والأدوات اللازمة لجمع البيانات، والمجالات البشرية والمجتمع كله عينة منه، والمكاني (أو النطاق الجغرافي للمسح) وتحديد طريقة تناول البيانات من حيث تعريفها وإستخلاص النتائج منها وهكذا..

تنفيذ المسح:

أو القيام بالعمل الميداني للمسح من حيث إختيار الباحثين وتدريبهم عي أدوات المسح بعد تصميمها وإستيعاب تعليماتها، وإعداد المجتمع للمسح وإنهاء الإتصالات بهم، وتوزيع إختصاصات العمل الميداني من حيث الإشراف وجمع البيانات ومراجعتها والتغلب علي الصعوبات، وتفريغ البيانات التي تم جمعها بعد التأكد من سلامتها وتوفيرها، تمهيدا لتفريغها وتصنيفها أو تقسيمها وجدولتها أجراء التحليلات الإحصائية عليها وإستخلاص النتائج..وهكذا.

إخراج المسح

أو وضع كل العمليات التخطيطية والتنفيذية لمسح في صورة تقرير يجمع شتات البيانات والنتائج ويلقي الضوء علي أهداف المسح ويصبح هذا التقرير في أسلوب يساعد الآخرين علي التعرف علي الجهود المبذولة في هذا المسح وعلي المعاني الحقيقية للنتائج والحقائق التي تم التوصل اليها في المسح أو بعبارة أدق وضع المسح في صورة تقرير مكتوب يخرج ما إنطوي عليه العمل في البحث وبذله بصدده من جهد.

مستلزمات المسح الإجتماعي:

وسواء قد أستقر الأمر علي الإستعانة بنوع أو آخر من أنواع المسح الإجتماعي وإدراك البحث نحو كل خطوة من خطواته، فالأمر يحتاج منه أن يعير بعض الأمور المرتبطة بالمسح الإجتماعي قدراً كبيرا من إهتمامه، ونعني بهذه الأمور ماتعلق بالمستلزمات أو المسائل التي ينبغي عليه أن يوفرها لمحس الإجتماعي ومن أهم هذه الأمور ضرورة توفير إطار للبيانات، وأدوات لجمع هذه البيانات.

إطار بيانات المسح:

يجمع الباحثون في تراث البحث الإجتماعي، علي أنه برغم تعدد الموضوعات والإهتمام والأهداف التي تسعي المسوح الإجتماعية الي تحقيقها، إلا أنه يمكن الوصول الي إطار يضم قوائم الموضوعات التي يحتاج المسح الإجتماعي الي جمع بيانات حولها، وينطوي علي البنود التالية:

أ- **بيانات شخصية أو ديموجرافية،** وتشمل كل ماتعلق بالسن والنوع، والمهنة والتعليم والديانة، واجلنسية والدخل والديون، والزواج والخصوبة، أو الأبناء والإسكان وموقع السكن، والهجرة،،الخ.

ب- **بيانات بيئية،** وتدور حول البيئة التي يعيش فيها أفراد أو جمهور المسح ابتداء من الحي حتي المجتمع وظروفه العمرانية والثقافية والصحية..الخ.

ج- **بيانات سلوكية،** وتدور حول صور سلوك وأفعال وتصرفات جمهور المسح، في مواقف متعددة، الأسرة، الإقتصاد، حول السلوك الإقتصادي لجمهور المسح، قد يتعلق بالحصول علي الدخل، والتوزيع والإستهلاك والإدخار الخ أو يهتم بتوفير بيانات حول السلوك السياسي لجمهور المسح،، وقد يتعلق بالتصويب والإنتخاب والمشاركة في المجالس المنتخبة..الخ.

د- **بيانات دافعية وتوقعية وميول:** وتدور حول دوافع السلوك في المواقف المتباينة، وتوقعات جمهور المسح، وكذلك ميولهم وإتجاهاتهم حول مسائل كثيرة، مثل تنظيم الأسرة أو الأدخار أو غيرها..الخ.

أدوات المسح:

يحتاج المسح للوصول الي هذه المجموعات من البيانات الي أدوات معينة في هذا الصدد، وتختلف بإختلاف كل نوع من هذه البيانات، بين المقابلة والملاحظة والإستخبار، والوثائق، والسجلات الإحصائية، ويتوقف اختيار القائم بالمسح لواحد من هذه الأدوات أو أكثر، علي موضوع المسح أهدافه، ومداه

ونوع البيانات التي يحتجاها والإمكانيات المتوفرة وطبيعة جمهور البحث الذي يدرسهم وحتي عندما يستقر علي إستخدام أداة أخري من أدوات البحث الأمر يحتاج منه أن يقوم بتصميم هذه الأدوات طالما أنه لايجد مثل هذه الأدوات جاهزة ومعدة من قبل، كما عليه إلا يستخدم هذه الأدوات المصممة ويطبقها علي جمهور المسح لجمع البيانات إلا بعد أن يتأكد من توفر شروط الدقة والثبات والصدق في هذه الأدوات طالما كان الهدف من إستخدامها تقديم صورة دقيقة ومنظمة للوضع الراهن للوحدة الإجتماعية موضوع المسح.

أهمية ومميزات وإستخدامات المسح الإجتماعي:

يعلق علي المسح الإجتماعي أهمية كطريقة للبحث نتيجة لتفضيل إستخدامه في بعض الأغراض ولما يتميز به من مميزات:

إذ تتمثل أهمية المسح الإجتماعي في إعتباره أحد الطرق التي يفضل إستخدامه في البحوث الوضعية، تلك التي تهدف الي تقديم صورة كلية عن الموقف الإجتماعي أو الوحدة الإجتماعية موضوع الوصف بهدف إلقاء الضوء علي العناصر المتباينة التي تكون هذه الصورة، ومايترتب علي ذلك من بيان طبيعة العلاقة بين هذه العناصر، وبالتالي تحديد أي العناصر ترتبط ببعضها أكثر من غيرها أو مايهم بدوره في تمهيد الطريق نحو بلورة القروض العلمية التي تقوم علي العلاقة بين المعتقدات، ولا يمكن لنا أءن ننكر قيمة المسح في توقير البيانات الدقيقة والمنظمة التي تساعد علي تصوير الوضع الراهن للوحدة الإجتماعية موضع الوصف.

كما تتمثل أهمية المسح الإجتماعي في النظر اليه علي أنه وسيلة هامة في التعرف علي الخبرات القائمة وجمع الإستشارات اللازمة منهم طريقة منظمة تفيد كما أسبق أن أشرنا عند توضيحنا للبحث الإستطلاعي، في القاء الضوء علي موضوع البحث وبلورته وزيادة التبصر بجوانبه وعناصره المتباينة. كم يمثل المسح الإجتماعي وسيلة مناسبة في التعرف علي الإمكانيات القائمة في

المجتمع موضوع المسح والموارد المتاحة، وفي نفس الوقت كوسيلة مفضلة للوقوف علي المشكلات المختلفة التي تؤثر في هذا المجتمع وتحديد فئات الأفراد الذي يستطعون الإسهام في حلها، وذلك كله من أجل إقتراح الحلول الموضوعية والملائمة لعلاج هذه المشكلات.

يكتسب المسح الإجتماعي أهمية كبيرة نتيجة لما يسهم به في نطاق عمليات التخطيط الإجتماعي التي تستهدف تنمية الحياة الإجتماعية والإقتصادية وتوفير الرفاهية الإجتماعية لفئات المجتمع المخلتفة في فترة زمنية محددة. وذلك من خلال ما يمكن أن يقدمه المسح للتخطيط من بيانات تفيده في التعرف علي أهداف الجماعات ورغباتها وإحتياجاتها وميولهم وإتجاهاتها ومواردهم وإمكانياتهم، وذلك حتي يمكن أن تشمل الخطة البرامج والمشروعات التي تتفق وتتناسب علي كل هذه الأمور ويسهمبدوره في إنجاح عملية التخطيط. إذ يمكن مثلا الإستفادة من المسح كطريقة في دراسة إهتمامات جمهور المستمسين والمشاهدين لبرامج الإذاعة والتلفزيون، وعاداتهم وأذواقهم وأتس الأوقات التي بفضلون فيها الإستماع أو مشاهدة هذه البرامج، الأمر الذي يساعد بعد ذلك في إعادة تخطيط هذه البراج بما يتفق مع ظروف المستمعين والمشاهدين ويجعل لهذه البرامج فعاليتها ومن ثم تستطيع أن تحقق أهدافها.

كما يكتسب المسح الإجتماعي أهمية أخري من جراء إستخدامه كوسيلة للتنبؤ في مجالات إجتماعية وسياسية وإقتصادية، وذلك لأنه يمكن الإعتماد علي المسح الإجتماعي بالعينة مثلا لقياس إتجاهات الرأي العام نحو موضوع مثل تنظيم الأسرة في المجال الإجتماعي ومن خلال البيانات المنظمة والدقيقة التي يصل اليها يمكن التنبؤ بمدي إقبال أو إحجام الناس في المستقبل علي مثل هذا البرنامج كما يمكن التنبؤ بمدي إقبال أو أحجام الناس في المستقبل علي مثل هذا البرنامج كما يمكن الإعتماد علي المسح الإجتماعي بالعينة مثلا لقياس إتجاهات الرأي العام نحو المرشحين لرئاسة الجمهورية كما هو احلال مثلا

في الولايات المتحدة الأمريكية، حتي يمكن الإعتماد علي البيانات المنظمة التي يصل اليها في التنبؤ بفوز أحد المرشحين في المستقبل، كما يمكن الإعتماد المسح الإجتماعي بالعينة أيضا لقياس إتجاهات الرأي العام نحو إنتاج وإستهلاك سلعة معينة ومدي رواجها، حتي يمكن الإستفادة من البيانات المتوفرة في هذا الصدد في التنبؤ بأقبال الجمهور علي هذه السلعة ومعدلات إستهلاكها أو غيرها وهكذا.

عيوب المسح الإجتماعي:

علي الرغم من أهمية وتميز وتعدد إستخدامات المسح الإجتماعي كطريقة في البحث إلا أن هناك عدد من الأخطاء والثغرات أو العيوب التي لوحظت علي المسح من خلال الإستعانة به في البحث الإجتماعي يلزم تنبيه الأذهان اليها حتي يمكن تفاديها أو أخذها في الإعتبار ونحن قد فضلنا في إجراء بحثنا، من هذه الأخطاء.

أن المسح الإجتماعي قد يقع في الخطأ عند تصوير الوضع الراهن أو حتي عند تفسيره، خاصة وإذا كان المسح يجري بالعينة، ذلك لأن إختيار عينة البحث قد لا يتم علي أساس منهجي سليم أو يقوم علي أساس خاطيء بحيث قد تكون العينة المختارة من الصغر أو الكبر بما لا يتفق مع تمثل جمهور المسح تمثيلا صادقا مما قد يترتب عليه بعد ذلك خطأ في البيانات والتالي خطأ في التصوير والوصف وخطأ في التفسير.

أن المسح الإجتماعي قد يقع في خطأ من نوع آخر، وهو خطأ الحيز سواء أكان هذا التحيز من جانب الباحث الذي يجري المسح أو من جانب المبحوث الذي يجري عليه المسح، ويقدر دقة الباحث وموضوعيته في جمع البيانات يقدر عدم تحيزه، ويقدر تعاون المبحوثين وصدقهم في الإدلاء بالبيانات، وعدم تبرمهم ومللهم بقدر بعدهم عن التحيز.

أن المسح الإجتماعي وهو يهتم بتصوير الوضع الراهن، ويركز علي الحاضر

لا يصلح نتيجة لذلك في دراسة الماضي وتتبع مراحل التطور التاريخي لمجتمع من المجتمعات أو لجماعة من الجماعات أو حتي لنظام إجتماعي أو ظاهرة.

أن المسح الإجتماعي وهو يهتم بتصوير الوضع الراهن يحتاج من الجهد والوقت والنفقات مايعجز الأفراد غير مجتمعين عن القيام به ويقف أمر الإستفادة منه في البحث علي قيام هيئات منظمات ومراكز البحث بتوفير مايحتاج اليه المسح من إمكانيات مادية وبشرية ويخصص الميزانيات الزمنية التي يستغرقها أجراؤه.

التمرين المقترح للطالب:

عرفنا أن المسح الإجتماعي طريقة شاع إستخدامها في مجال البحوث الإجتماعية خاصة تلك التي تهتم بتوضيح الجانب العددي (الكمي) والتوزيعي للمتغيرات والظوراهر الإجتماعية، ولذلك كانت أكثر إستخداما في مجالات التعدادات السكانية التي تعني بجمع الحقائق الإجتماعية والديموجرافية المرتبطة بالتوزيع العددي لمتغيرات مثل السن والنوع والسلاله والمهنة والمسكن والخصوبة،.الخ. كما أنها تستخدم بكثرة في مجالات إستطلاع آراء الأفراد وإتجاهاتهم حول مختلف المسائل الإجتماعية والسياسية والإقتصادية..الخ.

ويعتبر مجال الطبقة الإجتماعية والتدرج الطبقي من الموضوعات التي يمكن أن تطبق في دراستها طريقة المسح الإجتماعي.

أن تصنيف الأفراد أو ترتيبهم طبقيا عن طريق أقرانهم حقيقة واقعة في الحياة الإجتماعية وقد يبدو هذا التدرج الطبقي واضحا في التفاعل مع الصير وفي تفاوت فرص الحياة وأنماطها، فكثرا مايتدخل الآباء في إختيار "شرب المياه" بالنسبة لأبنائهم علي أساس نظرة طبقية واضحة، بل أن التفاوت والتباين الطبقي بين الأفراد يؤثر علي مجريات الحياة اليومية لهم، فكثيرا مايتفاعل الأفراد ما بعضهم البعض علي أساس إنقسامهم الي طبقات عليا ووسطي ودنيا، وعلي أساس أن لكل طبقة مميزاتها الخاصة التي تنعكس علي شخصية

من ينمتي اليها وعلي أنماط سولكه وطريقة تفكيره ونظرته الي الحياة وتطلعاته..اخل والحقيقة أن وصف الحياة الإجتماعية في حدود الطبقات الإجتماعية المختلفة يتيح فرصة أوسع للتعرف علي دوافع السلوك الإجتماعي وامشكلات الإجتماعية التي تواجه أفراد فئة معينة من الأفراد.

وإنطلاقا من هذا كله، فإن التمرين الذي تقترحه لك (للطالب) في هذا الصدد هو:

أن تحصل علي مجموعة من البيانات الوصفية التي تدور حول حياة بعض الأشخاص ممن ينتمون لطبقات إجتماعية مختلفة، أو التي تدور حول مواقف وإتجاهات أفراد ينتمون لطبقة معينة نحو آخرين ينتمون لطبقات أخري مسايرة، وليكن بحثك محددا في مجال معين مثل المقارنة بين أنماط الترقية أو نماذج التنشئة الإجتماعية.

واليك أهم الخطوات التي تسترشد بها لإجراء هذا التمرين المقترح:

أولا: عليك قبل نزولك الي الميدان أن تقوم:

١- بتحديد أي مظهر من مظاهر الطبقة الإجتماعية ستركز عليه دراستك.

٢- تحديد نوعية الأفراد الذين ستهتم بدراستهم، وخصائص العينة التي ستجري عليها دراستك، وهنا يجب عليك أن تعرف أن تحدد:

- الحالات التي تمثل مختلف الطبقات الإجتماعية - العليا والوسطي والدنيا.

- المعايير أو المحكات التي ستستخدمها لتحديد الوضع الطبقي للأفراد - هل هي المهنة، أم الدخل أم التعليم أم أسلوب الحياة.

٣- إعداد استمارة استبيان أو دليل مقابلة متكونة من عشرة أسئلة علي الأقل. و،يفضل أن تكون الأسئلة ذات نهايات مغلقة، واليك علي سبيل المثال نموذجا لهذا النوع من الأسئلة.

- يري بعض الناس كذا وكذا مارأيك أنت؟

أوافق بشدة	( )	أوافق	( )
لا أعرف	( )	لا أوافق	( )
لا أوافق بالمرة	( )		( )

- كيف تقضي وقت فراغك؟

بالمنزل	( )	زيارة الأقارب والاصدقاء	( )
بالمسجد	( )	بالمقهي	( )
بالنادي	( )	وهكذا	( )

ولتتذكر أن الأسئلة مغلقة النهايات تفيد في الحالات التي نعرف فيها كل إحتمالات الإجابة علي سؤالك، فإذا لم تكن كذلك، عليك بإستخدام الأسئلة ذات النهايات المتنوعة مثل:

- ما رأيك في قول البعض كذا وكذا؟

- كيف تقضي وقت فراغك؟ ..

وتترك للفرد حرية في الإجابة دون تحديد لمتغيرات أو اجابات لعدم المامك بها مقدما.

ولتتذكر أيضا ضرورة أن تكون الأسئلة صادقة بمعني أن تقيش بالضبط ما تريد أن تعرفه أنت بالنسبة لموضوع بحثك. وفي تمرينك هذا يجب عليك أن تتأكد من مدي ملاءمة الأسئلة مع المحك أو المعيار الذي اخترته لقياس الموضع الطبقي للأفراد.

٣- ترتيب الأسئلة ترتيبا منطقيا، فتبدأ بما هو عام وبسيط لتنتهي متدرجا إلي ماهو خاص ومعقد حتي لا تشتت فكر المبحوث وإهتمامه.

٥- مراجعة الأسئلة وإعادة النظر فيها مرة أخري، خاصة في الحالات التي

يمتنع فيها المبحوث عن الإجابة عليها أو التي تجعله يشعر بالحرج أو الخوف، وهنا عليك أن تعيد النظر ي صياغة السؤال ومدي جدواه وضرورته لبحثك. فإذا كان سوآلا ضروريا عليك بتعديل صيغته أو منطوقة أو ترتيبه بين الأسئلة. مع مراعاة أنه من الضوري أن تتفق صياغة السؤال مع خلفية المبحوث وإطاره المرجعي الذي يتأثر كما تعرف بسنه ونوعه ودخله ومهنته ومستوي تعليمة ونمط حياته ومنطقه سكنه.

ثانيا- عند نزولك الي الميدان، وبعد أن تنتهي من صياغة أسئلة الإستبيان أو دليل المقابلة علي النحو الذي أوضحناه لك في الفترة السابقة عليك بعد ذلك أن:

١- تحدد الأشخاص الذين سوف تجري معهم مقابلتك، مع مراعاة أن تختار الوقت الملازم لإجراء المقابلة معتهم.

٢- إذا كنت تعمل مع فريق بحث، أحرص علي أن يقوم كل منكم بجمع بيانات عن خمسة مقابلات يجريها مع من حددتهم من الأشخاص، ولكن لانك ستقوم بهذا التمرين بمفردك، فالمطلوب أن تجري خمسة مقابلات علي الأقل كتدريب لك علي إجراء طريقة المسح الإجتماعي الوصفي.

ثالثا- كيف تحلل نتائجك؟

عليك هنا أن:

١- تبدأ بإعداد جداول لتفريغ البيانات التي حصلت عليها خلال المقابلات الخمسة. فإذا كانت الأسئلة التي إستخدمتها مغلقة النهايات، عليك أن تجمع في كل جدول تعده لكل سؤال كل ماسبق أن وضعته من متغيرات أو إجابات محتملة علي شكل أعمدة أو "خانات" يخصص لكل إجابة عمود أو خانة علي أن تضيف اليها متغيرين آخرين:

أ- متغير يشير الي الحالات التي لم تحصل فيها علي إجابة عي سؤالك من بين الإجابات التي حددتها، وليأخذ هذا المتغير أسم "غير مبين".

ب- متغير يشير الي الحالات التي يجمع فيها المبحوث في أجابته علي السؤال بين أكثر من إجابة، وليأخذ هذا المتغير أسم "زيادة متغيرات".

أما إذا كانت الأسئلة مفتوحة النهايات، فعليك أن تحصر أولا مختلف الإجابات الواردة ثم صنفها في فئات متقاربة وصمم جدولك علي النحو السابق.

٢. سجل في كل فئة (خانة أو عمود) من فئات الجدول مجموعة الإجابات التي حصلت عليها واحدة بعد اخري ويمكنك هنا أن تستخدم الطريقة المعروفة "بالحزم"

٣- إستخرج النسبة المئوية للإجابات بالنسبة لكل فئة (عامود أو خانة) ويمكنك أن تستخرج النسبة المئورية علي النحو التالي:

$$\frac{\text{مجموع الإجابات في كل فئة (عامود أو خانة)}}{\text{عدد الحالات التي درستها (حجم العينة)}} \times ١٠٠$$

ولنذكر أنه من اضروري أن يكون مجموع الإجابات مساويا لعدد مفردات العينة التي درستها لتمثل في النهاية نسبة ١٠٠٪.

رابعا - كيف تعرض نتائج بحثك؟

عليك هنا:

١- تحدد مجال البحث الذي حاولت الحصول علي بيانات وصفيه عنه.

٢- تحدد نوعيات الأشخاص الذين أحريت معه إستبارك (مقابلاتتك) مع توضيح أسباب اختيارك لهم.

٣- أعرض نتائج بحثك في شكل جداول، وفي هذا الصدد ضع في إعتبارك:

أ- أن يكون لكل جدول رقم مسلسل وعنوان خاص يميزه.

ب- أن تكون فئاته (الأعمدة أو الخانات) وأضحة تميزه.

جـ- أن توضح فيها حجم عينة بحثك.

د- أن توضح فيها النسبة المئوية لكل فئة.

٤- ناقش بإختصار النتائج التي يكشف عنها كل جدول على حدة واربط نتائج الجداول كلها مع بعضها البعض لتصل الي تحليل أكثر عمقا.

٥- استخلص من مناقشتك هذه بعض الإقتراحات لبحوث أخري مستقبلية يمكن إجراءها في مجال بحثك.

٦- وضع أهم الصعاب التي صادفتها، وكيف أمكنك التغلب عليها مع طرح مقترحاتك بصدد مواجهتها مستقبلا.

الفصل السابع
أدوات جمع البيانات

تمهيد:

يختص الفصل الحالى بدراسة وتحليل أدوات جمع البيانات في البحث الاجتماعى وينصب هذا التحليل بوجه خاص على الملاحظة والمقابلة والاستبيان، باعتباره من أهم الأدوات فى جمع البيانات ومن أكثرها شيوعا واستخداما بين الباحثين.

وسوف يتناول التحليل الملاحظة من حيث أهميتها والتعريف بها والتمييز بين أنواعها ، وخاصة: الملاحظة البسيطة والملاحظة المنتظمة ولن يغفل التحليل فى نفس الوقت الإشارة إلي إستخدامات كل نوع منها ، ثم يجتهد فى توضيح الوسائل المناسبة فى تسجيل الملاحظة وبعدها يضع الملاحظة فى الميزان لكى يبين مالها وماعليها من مآخذ في البحث الاجتماعى، ويختتم تحليل الملاحظة بالإشارة إلي بعض التمارين والتطبيقات العملية على استخدام الملاحظة فى البحث الاجتماعي.

ثم يتناول التحليل المقابلة من حيث أهميتها والتعرف بها ، ثم يجرى تميزا وتوضيحا للاختلافات بين أنواعها المتباينة، واستخدامات كل نوع منها ، وبعد ذلك يحاول الدخول فى تفاصيل تصميم المقابلة والتدرج معه خطوة تلو الأخرى، ويوضح كيفية إجراء المقابله، ثم ينتهى التحليل بتقديم تقويم للمقابلة من خلال مقارنتها بالملاحظة، وأيضا من خلال بيان أوجه القصور والقوة.

وأخيرا بنصرف التحليل إلي الاستبيان، ليبين أهميته والتعرف به وأشكاله وخطوات تصميمه وإجراؤه، من حيث تحديد نوع البيانات المطلوبة، وشكل الأسئلة وصياغتها ، واختبارها ، وتقدير درجة ثباتها وصدقها ، وأخيرا يقدم بعض التمارين التطبيقية على استخدام كل من المقابلة والاستبيان فى البحث الاجتماعى.

وبناء على ذلك قسم الفصل الحالي إلى ثلاثة أقسام الأول يعالج الملاحظة، والثاني يعالج المقابلة، والثالث يختص بتحليل الاستبيان.

أولا: الملاحظــة

١- تعريف الملاحظة.

٢- أنواع الملاحظة.

٣- الملاحظة البسيط.

- الملاحظة بالمشاركة.
- الملاحظة بدون مشاركة.

٤- الملاحظة المنظمة.

٥- وسائل تسجيل الملاحظة.

٦- الملاحظة فى الميزان.

٧- تمارين وتطبيقات على الملاحظة.

أدوات جمع البيانات Observation

(١) الملاحظة*

أشرنا فى الفصل الأول إلي مفهوم "المنهج العلمى" وأوضحنا أن هناك اختلافا بين المنهج وطريقة البحث والأداة التى تستخدم فى جمع البيانات. وعرفنا الأداة تعريفا عاما بأنها ببساطة عبارة عن وسيلة يلجأ الباحث لاستخدامها للحصول على البيانات والمعلومات التى يتطلبها موضوع البحث، كما نوهنا عن تنوع أدوات البحث أو اختلافها باختلاف طبيعة المعلومات المطلوبة ومصادرها بل وباختلاف طبيعة المجتمع أو الموقف الاجتماعي موضوع البحث بالإضافة إلي خبرة الباحث وتدريبه على أدوات جمع البيانات. وخيرا ذكرنا أن من أهم الأدوات المستخدمة فى البحث الاجتماعى الملاحظة bservation والمقابلة nterview والاستبيان questionaire ويهمنا فى هذا الفصل أن نوضح معني الملاحظة وطبيعتها وأنواعها وخصائصها ثم أخيرا مزاياها وحدودها لعلنا نجد في هذا كله ما يكفي للتعرف على إحدي هذه الأدوات التي يشاع استخدامها فى مجال البحث الاجتماعي.

ويشير لفظ "الملاحظة" لغويا إلي المعاينة المباشرة للشئ أو مشاهدته على النحو الذي هو عليه. حيث يشير معجم مختار الصحاح إلي أن لحظ الشئ يعنى نظر إليه بمؤخر العين. وفى مجال البحث العلمى بوجه عام يختلف معنى المفهوم عن معناه اللغوى حيث تعرف الملاحظة بأنها المعاينة المباشرة للظاهرة. وفي مجال البحث الاجتماعى أيضا نجد أن الملاحظة تعنى المشاهدة أو المعاينة المباشرة للموقف الاجتماعي وأشكال السلوك وأنماط التفاعل ... الخ والملاحظة بمعنى الاقتصاد على معاينة أو مشاهدة موضوع البحث بقصد جمع بيانات ترتبط به. تختلف كما سنرى فيما بعد عن كل من المقابلة أو الاستبيان.

يتنوع أسلوب الملاحظة كأداة لجمع البيانات فى مجال البحث الاجتماعى. وذلك وفقا للدرجة التى يحاول فيها الباحث الاحتفاظ بالطابع "الطبيعي

(*) هذا الفصل من إعداد د. السيد عبدالعاطي السيد.

للموقف المراد بحثه من ناحية وأيضا وفقا لمدي تدخل الباحث فى ضبط هذا الموقف وتوجيهه فى مسارات معينة بإدخال بعض التعديلات عليه بهدف الكشف عما يترتب على هذه التعديلات من نتتائج ومن هنا جرت العادة بين معظم المشتغلين بمناهج البحث الاجتماعى أن يميزوا بين نوعين من الملاحظة أما النوع الأول فيشير إلي الاعتبار الأول الذي يرتبط بتلقائية أو "طبيعة الموقف" المراد بحثه وهذا مايعرف باسم الملاحظة البسيطة بينما يشير النوع الثاني إلي الإعتبار الذى يرتبط بتدخل الباحث فى موقف الملاحظة سواء من حيث الضبط والتوجيه أو من حيث التعديل والتجريب وهذا مايعرف باسم الملاحظة المنتظمة.

وسواء كانت الملاحظة بسيطة أو منتظمة فإنها تشكل معني مانسميه بالملاحظة المقصودة (أى الملاحظة التى تستخدم بهدف البحث العلمى) فى مقابل مايعرف باسم الملاحظة العابرة أو غير المقصودة والتى يكثر حدوثها فى الحياة اليومية بطريقة عارضة دون قصد من الفرد كملاحظة المارة أو شروف الشمس أو مرور العربات أو خروج التلاميذ من المدارس أو رؤية حادث تصادم... الخ وإن كنا هنا لاننكر بحال من الأحوال ما قد يكون لهذه الملاحظة العابرة من فائدة للبحث العلمى المقصود فكثيرا ما تشير مثل هذه الملاحظات العابرة فى ذهن بعض الأفراد (الباحثين) تساؤلات قد تفض بهم إلي بحوث أكثر تعمقا وتركيزا. ولعلنا نجد فى تاريخ العلم من الشواهد ماتؤكد أن كثيرا من الإكتشافات العلمية التى غيرت من وجه التاريخ لم تكن سوى نتيجة لبحوث متخصصة ومقصودة نبعث فى الاصل عن بعض الملاحظات العابرة ولنا هنا بعض التحفظات لنقول أن خبرة الباحث واهتمامه واطلاعاته تعتبر عوامل هامة فى تهيئة المناخ الملائم أو التربة الصالحة لتطوير الملاحظات العابرة إلي شكل علمى مقصود.

نعود مرة أخري تقسيمنا السابق لنركز على الملاحظة المقصودة التى تنقسم كما قلنا إلي ملاحظة بسيطة وملاحظة منتظمة.

١- الملاحظة البسيطة:

يقصد بالملاحظة البسيطة عملية المعاينة المباشرة للظاهرة موضوع البحث كما

تحدث تلقائيا فى ظروفها الطبيعية العادية دون تدخل من الباحث بهدف الضبط أو التجريب أو استخدام وسيلة من وسائل التنين.

وتعتبر الملاحظة البسيطة ملاحظة مقصودة لأن الباحث هنا رغم عدم تدخله يحدد مقدما ما الذي يريد ملاحظته فى الموقف. بعبارة أخرى تعتبر الملاحظة البسيطة.

ملاحظة مقصودة نظرا لأن الباحث أيا كانت طبيعة دراسته (كشفية كانت أو وصفية أو تجريبية) يستطيع على الأقل من خلال تحديده لموضوع أن يحدد ولوبدرجات متفاوتة أى الملاحظات التى يمكن أن تفيده فى معالجته لهذا الموضوع.

وتنقسم الملاحظة البسيطة بدورها إلي نوعين أساسيين هما:

الملاحظة بالمشاركة والملاحظة بلامشاركة.

١- الملاحظة بالمشاركة:

تمثل أداة لجمع البيانات من موقف اجتماعى يشارك فيه الباحث باعتباره واحدا (عضوا) من بين المشتركين فى هذا الموقف. وهنا نجد الباحث يقوم بمشاركة واعية فى نشاطات وحياة واهتمامات الجماعة (الموقف الاجتماعى) موضوع الملاحظة بهدف التوصل إلى بيانات تتعلق بأنماط السلوك التى يتضمنها الموقف الاجتماعى وفى هذا النوع من الملاحظة قد يفصح الباحث عن وجوده فيقدم نفسه كباحث لغيره من المشاركين فى الموقف الذى يلاحظه وقد لايفصح عن شخصيته رغم مشاركته في الموقف. وبهذا المعني تنقسم الملاحظة بالمشاركة إلي ما أسماه ادوارد ليندمان الصريحة والملاحظة بالمشاركة المستترة.

وللملاحظة بالمشاركة كما تقول مارجريت ستاس M. Stacey للإستخدام مختلفة ومتنوعة حيث يمكن للباحث أن يستخدم هذه الأداة لجمع البيانات عن ثقافته هوأو عن ثقافة فرعية تندرج تحت الثقافة العامة لمجتمع الباحث نفسه أو لجمع البيانات عن ثقافات أجنبية أو غير مألوفه للباحث.

وايضاح ذلك فيما يلى:

أ- الملاحظة بالمشاركة فى ثقافة الباحث:

وقد يجرى هذا النوع من الملاحظة فى تنظيم رسمى كمصنع مثلا أو فى منطقة جغرافية خاصة أو فى نظام اجتماعى معين. والمثال على ذلك تلك الدراسة التي أجراها توم ليبتون Tom Lypton للتنظيم الاجتماعى للمصنع باستخدام الملاحظة بالمشاركة ومثل الدراسة التى اجراها فرانكا برج بقرية Pentredwaith والتي استخدم فيها أسلوب الملاحظة بنفس الطريقة التى استخدمها علماء الانثروبولوجيا مثل مالينوفيكى Malinawski وفيرث R. Firth وتعتبر دراسة ليند Lynd لميدلتارون Misdletown أحد الدراسات الشهيرة التى استخدمت هذه التكتيك الخاص لجمع البيانات وأيضا دراسة مارجريت ستاس M. Stacey، لمجتمع بانبيورى Banbury فى بريطانيا التى استغرقت ثلاثة سنوات من سنة ١٩٤٨ - ١٩٥١. والتى لم تكن الملاحظة بالمشاركة مجرد أداة لجمع البيانات فحسب لكن كانت منهجا أساسيا استطاع الباحث من خلاله أن يتوصل لمجموعة من الحقائق كان من المتعذر الحصول عليها باستخدام وسائل أخري حيث أمكن للباحث من خلال الملاحظة بالمشاركة أن يربط أو يوجد بين أنماط السلوك الفردى وأنماط السلوك الجماعى والبناء الاقتصادي والسياسى معا فى كل مترابط.

وجدير بالذكر أن هذا الأسلوب من الملاحظة كان ولايزال موضع خلاف بين المشتغلين فى مناهج البحث في علم الاجتماع. ونستطيع أن نلخص هذا الخلاف فى قضية أساسية مؤداها أنه فى الوقت الذي يستطيع فيه الباحث (الذى يستعين بأسلوب الملاحظة بالمشاركة لدراسة أحد مظاهر الثقافة التى ينتمى إليها) أن يلم من خلال انتمائه لهذخ الثقافة ببعض الأبعاد التى تساعده فى تفسير الموقف الأمر الذي يتعذر على غيره من الباحثين إلا أنه فى الوقت نفسه كثيرا مايكون بسبب انتمائه لهذه الثقافة أكثر تحيزاً أو علي الأقل يغفل بعض الجوانب الهامة فى الموقف لأنها أصبحت أمورا مألوفة لديه.

ب- الملاحظة بالمشاركة فى ثقافة فرعية من ثقافة الباحث:

وتعتبر دراسة وليم فوت هوايت W. Wliyte والتى نشرها في كتابه مجتمع قارعة الطريق Street corner Society ١٩٥٥ مثالا كلاسيكيا لاستخدام هذا النوع من الملاحظة فى هذه الدراسة قام الباحث بدراسة عينة كبيرة من المهاجرين الايطاليين الفقراء إلي مدينة امريكية وكان يهدف من دراسته هذه أن يقيم علم اجتماع يستند على أساس ملاحظة الأحداقث الشخصية وأنماط السلوك المتبادل. ويستند نجاح مثل هذه الدراسات على حد تعبير الباحث تعتمد على التقبل الشخصى للباحث من قبل بعض الأفراد البارزين فى الجماعة أو المجتمع موضوع البحث والذين يقدمون بدورهم إلي أصدقائهم وأقاربهم. وفى هذه الحالة يقوم الباحث بشرح أهداف البحث لهؤلاء الأفراد البارزين موكلا إليهم مهمة شرح البحث وتوضيح أهدافه لباقى أعضاء الجماعة، وهذا يعنى أنه بدون تعاون هؤلاء الأفراد مع الباحث لن يستطيع الباحث أ يؤدي معمته بنجاح. هنا أيضا يتمثل الباحث دور عضو الجماعة حيث يشارك فى أنماط سلوكها وحيث يتقبل أعضاء الجماعة مثل هذه المشاركة ولكن عند حد معين نظراً لوعيهم بما هناك من اختلاف بين أنماط الثقافة الفرعية التى ينتمون إليها والتي ينتمى إليها الباحث، بعبارة أخرى فإن الباحث هنا يحتفظ بالاختلافات الثقافية القائمة كما يحتفظ بدوره كباحث اجتماعى وبدورهم كأعضاء لجماعة خاصة. غير أنه يجب أن نضع في الاعتبار أن هذا الدور المزدوج للباحث قد يغير متفاوتة من موقف البحث نفسه، وذلك لأننا إذا رجعنا إلي دراسة هوايت Whyte السابقة نجد أن وجود الباحث لايؤدى إلى مجرد زيادة أعضاء الجماعة عضوا جديدا على حد تعبيره بل نجد أن الجماعة ستغير أو تعدل بدرجات مختلفة من سلوكها الطبيعى طالما أنهم يعرفون أنهم موضع البحث ويدركون أيضا لماذا شاركهم الباحث فى ثقافتهم الخاصة.

جـ- الملاحظة بالمشاركة فى ثقافة أجنبية:

ولقد شاع استخدام هذا النوع من الملاحظة فى العديد من الدراسات

الانثروبولوجية التى استخدمت مايعرف باسم الدراسة الحقلية لعدد من المجتمعات البدائية التى تنمتى إلى ثقافات تختلف وبوضوح عن ثقافة الباحث. ولعل من الأمثلة الشهيرة على مثل هذه الدراسات دراسة مالينوفسكى لنظام التجارة فى جنوب غرب الباسفسك والتى نشرها فى كتابة Arganauts of westers pacifie سنة ١٩٢٢ والتى أوضح فيها الأسس المنهجية التى تستند عليها مثل هذا النوع من الدراسات والتى يمكن أن نلخصها على حد تعبيره فى ضرورة أن يضع الباحث نفسه فى المكان المناسب يعيش كما يقول فى مجتمع الدراسة بعيدا عن بنى وطنه (البيض فى المجتمعات الافريقية) ويعايش معايشة شبه كاملة لأن هذه الخطوة ستؤدي فى نهاية الأمر إلي درجة من ألفة الاهالى بالباحث بحيث لايصبح الباحث (عنصرا غريبا أو مشوشا في حياة الجماعة) وهنا يؤكد مالينوفسكى علي ضرورة تعلم الباحث لكل عادات وتقاليد وآداب السلوك الخاصة بمجتمع بحثه كما يقرر فى النهاية أن هذا الأسلوب لجمع البيانات (الملاحظة بالمشاركة) يعد أفضل بكثير من غيره من أدوات جمع البيانات كالاستبيان مثلا والذي يعتبر في نظره أداة تؤدي في النهاية إلي هيكل عظمي لا لحم فيه. أى بعبارة أخرى لايعترف مالينوفسكي بقيمة المعلومات التى تجمع من خلال الاستبيان لأنها لاتعبر فى نظره عن الواقع الحى لحياة مثل هذه المجتمعات وأن أسلوب الملاحظة بالمشاركة فى نظره هو أفضل الأساليب لأنه يمكن الباحث من التعرف على وجهة نظر الأهالي وطريقة حياتهم وأبعاد عالمهم وخصائصه. وبالمثل يشيد ريموند R. Firith فى دراسته للنظام الاقتصادى لسكان الملايو بأهمية أسلوب الملاحظة بالمشاركة الذى يمكن الباحث على حد تعبيره من دراسة بناء ووظيفة النظم الاقتصادية والاجتماعية لمثل هذه المجتمعات أى تمكنه من التعرف علي حياة المجتمع ككل وفى جميع مظاهرها وهو هنا يؤكد كما فعل مالينوفسكي على ضرورة تعلم الباحث للغة مجتمع البحث وفتهمه بل ومشاركته فى عاداته وتقاليد، وقيمه وطقوسه وشعائره وآداب السلوك السائدة فيه وعلى الرغم من أن فيرث قد أوضح ضرورة الاستعانة بالأخباريين المحليين إلا أنه أكد على ضرورة مراجعة ما يدلى به هؤلاء الأفراد من بيانات للتأكد من البيانات التى يدلى بها هؤلاء

الأخباريين. كما أنه أخيرا يشير إلي ضرورة إجراء هذا النوع من الملاحظات من خلال (روح الفريق) أى تعاون أكثر من باحث. وفى هذا الصدد كانت استعانته بزوجته تمثل (روح الفريق) التى أشار إليها وعاملا أساسيا فى نجاح دراسته لمجتمع اسلامى يحذر فيه على النساء مقابلة الغرباء ومن ثم لعبت زوجته دوراً هاما فى التعرف بل دراسة نساء مجتمع البحث.

(٢) الملاحظة بدون مشاركة:

رأينا فيما سبق أن الملاحظة بالمشاركة أداة لجمع البيانات فيها يشارك الباحث بقدر الإمكان فى حياة الجماعة أو في الموقف موضوع البحث. غير أن هذا النوع من الملاحظة قد تكون له بعض الأخطاء أو العيوب فى نظر البعض مما يفضلون استخدام الملاحظة بدون مشاركة ومن أهم هذه العيوب:

أ- أن الباحث الذى يستخدم الملاحظة بالمشاركة لايستطيع لإرتباطه الشديد - أو عضويته فى الجماعة - أن يصل إلي منظور كلي وشامل للموقف المراد بحثه لأن الباحث في مثل هذه الحالة تتوثق علاقته ببعض الأفراد دون البعض الآخر وبالتالي فإن ادراكه لبناء الجماعة سوف يكون متحيزا لانتمائه أو عضويته في جماعة فرعية خاصة.

ب- إن مايتوصل إليه الباحث من نتائج باستخدام الملاحظة بالمشاركة تفتقر إلي مايعرف منهجيا بثبات النتائج. والمعروف أن هذه الخاصية تتحقق من خلال توصل باحثون آخرون لنفس النتائج. وتفسير ذلك أن لموقف الملاحظة بالمشاركة أم لايتكرر بالنسبة لأكثر من باحث نظرا لأن خبرة الباحث كعضو فى جماعة هى أمر خاص به وحده، نظرا للعلاقة التى تنشأ بينه وبين أعضاء الجماعة وللتفاعل القائم بينه وبينهم مستندا على شخصيته الفريدة وهنا يحول هذا الموقف المنفرد للباحث من إمكانية وصول باحث آخر لنفس النتائج الأمر الذي يجعل نتائج الملاحظة بالمشاركة لايتوافر فيها خصائص النتائج العلمية.

جـ- إن الملاحظة بالمشاركة موقف يكثر فيه احتمالات الفشل قد يحدث ذلك

فى حالات كثيرة منها عدم المام الباحث بقيم وعادات وتقاليد الجماعة التى يدرسها بدرجة كافية الأمر الذي يجعله يقدم على تصرفات قد تسئ إلي جماعة البحث مما يعوق استمرار الباحث فى مهمته. ومنها أيضا مايواجهه الباحث من استياء أو سخط من قبل الجماعة عندما يدرك أعضائها أنهم موضع دراسة وأن الباحث قد اتخذ من انتمائه لها أو عضويته فيها وسيلة لجمع بيانات أو معلومات عنهم كانوا يفضلون الاحتفاظ بسريتها. وجدير بالذكر أن هذه الصعوبة الأخيرة تثير مسألة لايزال الجدل كبيرا حولها وهى ماتعرف باسم أخلاقيات البحث نرى أن بعض الباحثين يرون أن من الضروري والأخلاقي فى نفس الوقت أن تحاط جماعة البحث علما بمهمة الباحث وأهدا البحث. بينما يرى البعض الآخر أن الغاية تبرر الوسيلة وأن استخدام الباحث لأسلوب الملاحظة بالمشاركة لايعتبر عملا لا أخلاقيا طالما أنه لايترتب عليه ضرر أو إيذاء بالجماعة موضوع البحث.

وإزاء ماقدمناه من صعوبات تواجه أسلوب الملاحظة بالمشاركة يفضل كثير من الباحثين استخدام الملاحظة بدون مشاركة. وفي مثل هذه الحالة يتم اتصال الباحث بأحد الأفراد المسئولين أو البارزين فى الجماعة ليشرح له الهدف من دراسته لتتخذ بعد ذلك الإجراءات اللازمة لتسهيل مهمة الباحث وهنا يدخل الباحث الموقف لا باعتباره عضوا فيه بل كعالم أو باحث متخصص لايتدخل فى سلوك أو حياة أفراد الجماعة التى يبحثها بل يلاحظ الموقف عن بعد دون مشاركة منه. مستعينا فى ذلك ببعض الإجرادات أو الوسائل كالاملاحظة من خلف ستار أو حاجز زجاجي، الأمر الذي يؤدي فى نظر الكثيرين إلي تجنب تأثير الباحث فى تلقائية سلوك أو تفاعل المبحوثين والاقلال من التحيز الناتج عن تأثر الباحث أو انطباعاته الشخصية مما يحدث فى موقف الملاحظة بالمشاركة وبالتالي يستطيع الباحث التوصل إلي منظور كلي للموقف من ناحية وإلي مجموعة من النتائج التي تمتاز بدرجة عالية من الثبات من الناحية الأخري.

ويستخدم هذا النوع من الملاحظة لدراسة بعض الظواهر دون غيرها. فقد يتعذر على الباحث الذى يهتم بدراسة جماعة من الأطفال أن يستخدم أسلوب الملاحظة بالمشاركة إذ من المستحيل أن يرتد الباحث لطفولته لانجاز مهمته العلمية كما قد يصعب عليه أيضا أن يستخدم الاستبيان كأداة لجمع بيانات عن جماعة الأطفال ومن ثم تعتبر الملاحظة بلامشاركة من أفضل الوسائل التى تستخدم لجمع بيانات عن موقف سلوكي أو تفاعلي يتعذر على الباحث الاشتراك فيه ومن أمثلة ذلك دراسة أنماط التفاعل والسلوك التلقائي لجماعات من الأطفال أو جماعات مرضى العقول أو جماعات المنحرفين ..الخ.

وعلى أى حال فإنه أيا ما تكون درجة مشاركة الباحث فى موقف الملاحظة بالمشاركة أو بدون مشاركة"، أو نوعية الموقف الذي يلاحظه الباحث" ثقافته ، ثقافة فرعية أو ثقافة أجنبية" فإن الملاحظة البسيطة تستخدم كوسيلة استطلاعية لجمع البيانات ولذلك فهى أنسب ماتكون إلي الدراسات الكشفية أو الاستطلاعية منها إلي الدراسات الأخرى. وربما كان السبب فى تسميتها بالملاحظة البسيطة أن الباحث يجهل مقدما عناصر الملاحظة ذات الدلالة أو الأهمية بالنسبة لموضوع الدراسة تمييزا لها عن الملاحظة المنظمة أو الموجهة والتى كما سنرى فيما بعد يظهر فيها عنصر التحديد أو الاختيار أو التعمد للاحظة أبعاداً أو عناصر دون أخري واضحا.

ولا الملاحظة البسيطة أداة استطلاعية أو كشفية فإن مجالها يتعرض دائما المتغير بتغير تقدم الباحث فى مراحل بحثه ودرجة تفهمه لموضوع البحث. ومن أهم النتائج هذا التغير أن مجال الملاحظة يميل إلي التحديد شيئا فشيئا بتقدم مراحل البحث بمعنى أن الباحث فى المراحل الأولى - لافتراضنا جهله بجوانب الموقف للبحث يحاول أن يجمع في موقف الملاحظة كل مايتصور أن له علاقة ما بموضوع البحث ولكنه يبدأ بعد ذلك فى قصر مجال الملاحظة أو تحديد، شيئا فشيئا لقتصر فقط علي العناصر ذات الاسهام والدلالة المباشرة للموضوع. وبالطبع فإن هذه العملية التى تعرف باسم المرونة المنهجية للباحث تقتضى قدرا من اليقظه والتذوق التى تعين الباحث فى تقييمه لمختلف الجوانب المحيطة

بموقف الملاحظة واختياره لبعضها دون البعض بما يخدم معالجته لموضوع بحثه. لذلك يحرص المشتغلون بمناهج البحث الاجتماعى مثل جود Good وهات Hatt وسيللتيز Selltize على تحديد أبعاد موقف الملاحظة إلي عناصر أساسية هى:

١- المشتركون في الموقف:

وهو بعد بتحديد العنصر البشرى فى موقف الملاحظة وهنا يتحتم على الباحث معرفة كل ما يرتبط بهم من خصائص مميزة كالعدد والسن والجنس ودور كل منهم وعلاقاتهم بعضهم ببعض وشكل تنظيمهم وميكانيزمات تفاعلهم.

٢- مسرح الحوادث:

وهو بعد بالعنصر المكانى أو الأيكولوجي لموقف الملاحظة حيث يهتم الباحث بالخصائص المكانية للموقف الاجتماعى وأشكال السلوك المرتبطة بكل نموذج مكانى، فسلوك الأفراد في المقهى مثلا يختلف عن فى المسجد أو فى السوق أو فى المدرسة.

٣- الهدف من الموقف:

ويقصد به الكشف عن طبيعة تجمع الأفراد فى موقف الملاحظة هل هو تجمع عارض أم تجمع يحقق هدفا من الأهداف ثم ماهو طبيعة هذا الهدف ودرجة استجابة المشتركين لهذا الهدف.

٤- السلوك والتفاعل الاجتماعى:

وهو بعد يركز علي نشاط أو سلوك أو تصرفات الأفراد كما يرتبط بطبيعة هذا السلوك هل هو سلوك عفوي أو مخطط وما هى أهدافه ووجهاته وخصائصه وآثاره؟

٥- انتظام الموقف وتواتره:

وهو بشير إلي البعد الزمنى للموقف من حيث بدء حدوثه والفترة الزمنية

التي يستغرقها ودرجة تكراره أو تواتره ودرجة اتفاقه أو اختلافه عن مواقف أخري وأخيرا العوامل والظروف التي تؤدي إلى - أو تحول دون - حدوثه.

الملاحظة المنظمة

هي شكل من أشكال الملاحظة تستخدم كأداة لجمع البيانات ولكنها تتميز بما يرتبط بها أو تتضمنه من درجة الضبط العلمي ودقة التحديد، لذلك يشاع استخدامها في الدراسات ذات الطابع العلمي المتعمق سواد كانت دراسات وصفية متعمقة أو دراسات تشخيصه أو دراسات توضح أو تختبر العلاقة السببية بين المتغيرات، ولعل أهم ما يميزها أن الباحث يعف مقدما أى الجوانب أو الأبعاد ذات الأهمية المباشرة لموضوع بحثه فيوجه ملاحظاته ويستخدم الأدوات أو يخطط إجراءات تمكنه من إجراء بحثه وفقا للخطة التى رسمها أو وضعها سلفا.

ويتنوع أسلوب الملاحظة المنظمة بدوره حيث يمكن أن نميز بين:

١- ملاحظة منظمة فى مواقف طبيعية: وهى تعتبر أدق أشكال الملاحظة المنظمة حيث أن طبيعة الموقف تمكن الباحث من الحصول على قدر من المعلومات الدقيقة قد لايتوفر له في أى شكل آخر من أشكال الملاحظة.

٢- ملاحظة منظمة في مواقف مصطنعه: ويتمثل هذا الشكل فيما يقوم به الباحث من تجارب أما لتكرار أو تعديل بعض الظروف المحيطة به كما يحدث فى مجال العلوم الطبيعية وبخاصة فى معامل التجربه. ونشير هنا إلي أنه فى مجال البحوث الاجتماعية نجد أن الباحث يعتمد على مايعرف باسم التجربة السلبية أو غير المباشرة بمعنى أنه يتعذر على الباحث خلق موقف التجربة "المصطنع" وعليه أن ينتظر حتى يحدث الموقف حدوثا طبيعيا تلقائيا أو يبحث عن مواقف تتمثل فيها خصائص الموقف الذي يحاول دراسته.

ويرتبط بتقسيم الملاحظة المنظمة على النحو السابق إلي طبيعية ومصطنعه

على أساس للباحث من قدرة على التدخل لتهيئة أو إعداد موقف الملاحظة، تقسيما آخر لها يستند على أساس درجة مشاركة الباحث فى موقف الملاحظة. وفى ذلك تنقسم الملاحظة المنظمة - كالملاحظة البسيطه - إلي ملاحظة مشاركة وملاحظة غير مشاركة:

أ- أما الملاحظة المنظمة غير المشاركة فهى التى لايفصح فيها الباحث عن نفسه ليزيد من تلقائية أو طبيعية موقف الملاحظة ويحدث ذلك بإختبائه وراء جدار أو شاشة بصرية تمكنه من الملاحظة دون أن يراه أحد من المشاركين في الموقف.

ب- أما الملاحظة المنظمة المشاركة: يصدق عليها ماسبق أن أوضحناه بالنسبة للملاحظة البسيطة من حيث شروطها ومقومات نجاحها.

وسائل تسجيل الملاحظات

يعتبر الأسلوب الذى يحدده أو يختاره الباحث لتسجيل ملاحظاته إجراء منهجيا هاما لايقل فى أهميته عن الإجراءات المنهجية الأخرى مثل تحديد شكل الملاحظة أو جوانب موقف الملاحظة. ويتضح ما لأسلوب التسجيل من أهمية في ضوء مايتركه من آثار سواء في دقة البيانات التى يجمعها الباحث أو في توجيه الملاحظة فى مسارات دون أخري بل وحتى فى نجاح الملاحظة ذاتها كأسلوب ملائم لجمع البيانات "كثيرا ماتؤثر أساليب التسجيل المستخدمة فى البحوث فاستخدام المسجلات الصوتية أو الصور الفوتوغرافية مثلا قد يقلل إلي حد كبير من تلقائية أو طبيعية الموقف مما يؤثر بدوره في دقة البيانات التي يجمعها الباحث. ونود قبل المضى فى استعراض الأساليب المختلفة لتسجيل الملاحظات أن نشير إلي أن طبيعة الموضوع الذي يعالجه الباحث تحدد الشكل الملائم لتسجيل الملاحظات مثلما يحدد نوع الملاحظة كأداة لجمع البيانات ومثلما يحدد على نحو ماذكرناه منقبل المنهج الملائم والطريقة المناسبة للبحث.

وطبيعى أن تختلف الأساليب المستخدمة للتسجيل باختلاف نوع الملاحظة ذاتها ولذلك سنحاول أن نعرضها على هذا الأساس:

أولا: بالنسبة للملاحظة البسيطة:

نظرا لأن الملاحظة البسيطة أسلوب أو أداة استطلاعية فإن الباحث هنا يهمه فى المقام الأول أن يسجل أكبر قدر ممكن من المعلومات وفي هذا الصدد تترك للباحث بما لديه من مرونة منهجية - حرية الاختيار بين مايعرف باسم التسجيل الفورى أو التسجيل البصري للملاحظات.

أما التسجيل الفورى فهو قيام الباحث بتدوين ملاحظاته فى حينها أولا بأول على العكس من التسجيل البعدى الذي يبدأ فيه الباحث بعد الانتهاء كلية من موقف الملاحظة أو الانسحاب لفترة مؤقته من موقف الملاحظة والعودة إليه بعد ذلك.

ولكل من الطريقتين مزاياها وعيوبها حيث يتميز التسجيل الفوري بأنه طريقة تجنب الباحث أخطاء الذاكرة والنسيان والتحيز فى بعض الأحيان ولو أنها فى الوقت نفسه تفقد تلقائية أو طبيعية الموقف لما تثيره من شكوك أو مخاوف المشتركين فى موقف الملاحظة هذا بالإضافة أنها قد تشتت ذهن الباحث وتفكيره ما بين الملاحظة والتسجيل. وينطبق هذا التقييم السابق ولكن بصورة عكسية على التسجيل البعدي. بمعنى أنه قد يضمن طبيعية الموقف وتركيز الباحث لأبعاد أو عناصر الملاحظة ولكنه فى فى الوقت ذاته يجعل الباحث أكثر اعتمادا علي الذاكرة مما يزد احتمالات الوقوع فى خطأ النسيان أو التحيز أو التحريف المتعمد أو غير المتعمد للملاحظات.

كذلك قد يختلف أسلوب التسجيل تبعا للطريقة التي تسجل بها الملاحظات أى كيفية تدوين البيانات التى يتوصل إليها البحث من خلال الملاحظة وهنا يمكن أن نميز بين:

١- التسجيل الزمنى أو التاريخى للأحداث أى تدوين الملاحظات كما يحدث فى سياقها التاريخي أو الزمني منذ بداية موقف الملاحظة حتى نهايته.

٢- التسجيل القصصى للأحداث وفيه تدون الملاحظات على شكل مذكرات

قصصية يرويها الباحث وضمنها كل ماتكون من ملاحظته من أحداث أو وقائع.

٣- التسجيل التصنيفي: وفيه يقوم الباحث بتسجيل الملاحظات مصنفه إلي موضوعات أو فئات يحددها وفقا لطبيعة الموضوع الذي يعالجه.

غير أنه علي الرغم مما يتبع به الباحث من حرية اختيار الأسلوب الذي يراه ملائما لنوعية البيانات المطلوبة ولخصائص موقف الملاحظة ذاته إلا أنه ضمانا لدقة التسجيل يتعين عليه أن يضع فى اعتباره الاعتبارات التالية:

١- إن دقة البيانات تتوقف على درجة الموضوعية في تسجيليها وهنا يجب أن يكون الباحث على وعى تام بالفصل بين ملاحظه بالفصل من أحداقث "الجانب الموضوعي" وبين تفسيراته الشخصية لما لاحظه "الجانب الذاتى"، وتتأكد الأهمية المنهجية لهذا الاعتبار بصفة خاصة فى موقف الملاحظة بالمشاركة التى تتطلب اندماج الباحث فى موقف الملاحظة اندماجا شبه كليا مما يزيد من احتمالا غلبة لتفسيرات الذاتية على الجانب الموضوعى للملاحظات. ولو أنه يمكن للباحث تجنب مثل هذه الصعوبة بأدراكه أو تذكره الدائم بطبيعة دوره كباحث وبأهداف مشاركته في موقف الملاحظة.

٢- علي الباحث أن يقوم بتسجيل جميع التفاصيل التي تحدث فى الموقف حتي أن كانت مألوفة فكثيرا ما تكون للعناصر المألوفة للباحث دلالتها بما يخدم معالجته لموضوع البحث. وتتأكد أهمية هذا الاعتبار فى مواقف الملاحظة التى تجرى فى ثقافة الباحث أو مجتمعه علي نحو ما أسلفنا.

٣- يتعين علي الباحث أن يكون مدركا أو فطنا لنوعية الملاحظات التى جمعها ومدي كفايتها للإحاطة بجميع جوانب الموقف فإذا ماتبين له أن هناك نقصا فى جانب ما عليه أن يكمله قبل الإنتهاء من موقف الملاحظة.

٤- المراجعة المستمرة للملاحظات التي سجلها الباحث ويتم ذلك بوسائل عدة منها استخدام الباحث لمسجل صوتي يحتكم إليه فى مراجعته لتقرير

ملاحظته أو استخدام أكثر من ملاحظ لنفس الموقف للمقارنة بين تقاريرهم وتسجيل ما اتفقوا عليه واستبعاد ما اختلفوا حوله من بيانات أو تفسيرات، ثم أخيرا عن طريق عرض البيانات التي سجلها الباحث على ذوى الخبرة أو بموضوع البحث والإستفادة بآرائهم فى موقف الملاحظة وموضوعاتها ..الخ.

ثانيا: بالنسبة للملاحظة المنظمة:

إن كثيرا مما ذكرناه من طرق التسجيل واعتبارات تتعلق بدقته بالنسبة للملاحظة البسيطة ينسحب على الملاحظة المنظمة حيث نجد أن الملاحظة المنظمة تستعين شأنها شأن الملاحظة البسيطة بعدد من الوسائل لتسجيل عناصر الملاحظة منها المذكرات التفصيلية التى تتضمن دقائق الموقف الاجتماعى والصور الفوتوغرافية التى توضح جوانب الموقف في صورته الحقيقة وما يعتريه من تغير فى مراحل تالية، والخرائط .. الخ .. ولكن الملاحظة المنظمة نظرا لما تتميز به من دقة علمية وتحدد مسبق للجوانب التى يتعين على الباحث التركيز عليها أثناء الملاحظة فإنها تنفرد بعدد من وسائل التسجيل خاصة بها مثل استمارات البحث أو دليل الملاحظة وأسلوب الفئات ومقاييس التقدير.

أما استمارات البحث أو دليل الملاحة فهي استمارة تتضمن مختلف العناصر الرئيسية والفرعية التى يشتمل عليها موقف الملاحسظة والتى يركز عليها الباحث ملاحظاته دون غيرها لأن الباحث هنا ليس حرا فى اختيار مضمون الملاحظات بل يحدد مقدما وبوضوح موقف الملاحظة وأبعاده أو جوانبه التى تفيد فى معالجته لموضوع البحث.

أما نظام الفئات لتسجيل الملاحظات فيتمثل ببساطة فى تصنيف السلوك فى فئات مختلفة أو نماذج تصف موقف الملاحظة بطريقة كمية وشاملة. وتعتبر الفئة إطاراً مرجعيا يمكن الباحث من تحليل ملاحظاته فى بحيث يسجل الباحث سلوك أى فرد فى الجماعة ويصف فى إحدي هذه الفئات طبقا لخصائص أو تعريف كل فئة.

أما مقاييس التقدير فهو أسلوب للتسجيل الكمى للملاحظات يكمل اسلوب الفئات ويستخدم لتسجيل درجة مساهمة كل عضو من أعضاء الجماعة فى الموقف الذى يلاحظه الباحث ويأخذ هذا المقياس شكل التدرج ليحدد الباحث نقطة معينة تشير إلي درجة مساهمة كل فرد على طول هذا التدرج.

وبالإضافة إلي ذلك فإنه نظرا لأن الملاحظة المنظمة تعتمد على الدقة والقياس فإن إجرائها يتطلب شروطا أخرى بالإضافة للشروط التي ذكرناها فيما يتعلق بأجزاء الملاحظة البسيطة منها:

١- تحديد موضوعات الملاحظة المنظمة تحديدا واضحا وانتظامها فى نظام وترتيب دقيق.

٢- استخدام المقاييس المضبوطة التى تمكن من تحقيق أكبر قدر ممكن من ثبات النتائج وصحتها.

٣- احتياجها لباحثين تتوفر لديهم اليقظة ودقة الملاحظة.

الملاحظة فى الميزان:

تعتبر الملاحظة كما قدمنا بأنواعها العديدة وسيلة من الوسائل التى يشاع استخدامها لجمع البيانات في مجال البحوث الاجتماعية تتميز عن غيرها من الأدوات بأنها تمكن الباحث من جمع بيانات تتعلق بالواقع الفعلى أو الامبيريقي للظاهرة موضوع البحث. كما أنها بتنوعها أو تدرج أشكالها من ملاحظات بسيطة إلي ملاحظة علمية مقصوده تتلائم كأداة لجمع البيانات مع مختلف الدراسات الاجتماعية أيا كان مستواها كشفي أو وصفي أو تجريبي.

ومع ما للملاحظة العلمية من أهمية فى تقدم البحث العلمى فى مجال العلوم الطبيعية خاصة بعد التوصل إلى استخدام مقاييس أكثر دقة وموضوعية فى تسجيل الملاحظات إلا أن مجال استخدامها في نطاق العلوم الاجتماعية لايزال تمغة بعض الصعوبات فكثيرا ما يتعذر استخدامها فى دراسة بعض الموضوعات التى ترتبط بمواقف ماضية أو مستقبلية بل وأيضا فى بعض

المواقف الراهنة التى ترتبط بأنواع من السلوك لايكشف عنها القائمون بها كالسلوك الجنسى أو السلوك المنحرف أو الخلافات الأسرية. هذا فضلا عن أن أعتماد أجزائها على العنصر البشرى أى على مايتمتع به الباحث من يقظة وسلامة حواس وقدرة عقلية على التحليل وتذوق لما يلاحظه يجعلها أقل قدرة للوصول إلى بيانات دقيقة وموضوعية، ولو أن المهتمين بمناهج البحث يرون فى عملية تدريب الباحثين والاستعانة ببعض الوسائل الكمية للتسجيل أمرا من شأنه أن يزيد من صلاحية وكفاءة الملاحظة كأداة لها قيمتها فى جمع البيانات في المجل الاجتماعى.

التمارين والإجراءات العلمية للملاحظة المباشرة* Obsrvation

١- التمرين المقترح:

الموضوع المقترح للملاحظة هو التنشئة الاجتماعية. ولكى نواجه بالسؤال: أين يمكن ملاحظة التنشئة الاجتماعية؟ ، وطالما أن التنشئة تشير إلي عملية امتصاص وعرس الأنماط الجديدة من السلوك (والتى تشتمل أيضا الأفكار والانفعالات والأفعال الفيزيقية) فإنه من المنطقي أن أحسن طريقة لفحص وتحليل مستويات الاستراتيجيات المتنوعة للتنشئة الاجتماعية هو تحديد الأشخاص الذين يعتبرون أعضاء جدد فى الجماعة ولحسن الحظ فإن المجتمع ممتلئ بهذه الجماعات، ولعل أكثر هذه الجماعات وضوحا هو مدارس حضانة الأطفال الصغار. ويمكنك أخذ هذه الجماعات كموضوع لملاحظاتك، أو يمكنك أخذ جماعات مثل فريق كرة القدم أو طلاب الكليات العسكرية ولاحظ كيف يحصل الكبار في حالة كل جماعة لتطبيع الأشخاص على شكل الجماعة. ونفترض أنك سوف تقوم بدراسة حضانة للأطفال فإن مهمتك تنحصر في الملاحظة ووصف بعض جوانب طرق التنشئة الاجتماعية والتى يستخدمها المربين في تربية الأطفال من سن ٣ -١٠ سنوات ولذلك - يجب أن تكون ملاحظاتك مركزة حول:

(*) أعد هذا الجزء الدكتور محمد أحمد بيومى.

١- عرض منظم لعملية التنشئة الاجتماعية.

٢- وصف عام عن التفعلات التى تلاحظها.

٢- الإجراءات العملية للقيام بتمارين الملاحظة:

أ- قبل الذهاب إلي الميدان:

(١) حاول التعرف علي الموقف الذي سوف تلاحظه. بعض المواقف مث
محطات الاتوبيس مثلا مفتوحه لكل فرد، وهناك مواقف أخرى متعلقة وتشك
صعوبة للتعرف والنفاذ إاليها. فلو قمت ببحث لملاحظة النظام التعليمى وحجرة
الدراسة (على سبيل المثال) فأنت محتاج لأخذ موافقة من الجهات الرسمية،
ولكن يجب علي الباحث أن يضع فى اعتباره احتمال رفض طلبه لإجراء البحث
ولذلك يجب أن يكون لديه البدائل التي يرد ملاحظتها.

والتمرين المقترح هو لاحظة تلاميذ فى مدارس حضانة أو منزل صديق به
عديد من الأطفال.

(٢) ضيق موضوع بحثك، فندما تدرك كيف أن ظاهرة التنشئة الاجتماعية
أكثير تعقيدا فإنك سوف تدرك الحاجة إلي تركيز جهودك على أحد جوانبها
فقط.

ويمكن أن يكون تركيزك على بعض جوانبها مثل رد الفعل للسلوك
العدواني أو الغش أو الروح الرياضية.ويمكنك أيضا دراسة كيف يتعلم الأطفال
عادات الطعام واسلوك المناسب نحو الكبار والمعايير فى أخذ الأدوار والذين
يكسرون لعب الآخرين ..الخ.

وبطبيعة الأمر فإن عمليات التنشئة متنوعة ولكن يجب أن تتذكر أنك
مطالب بتحديد نفسك في واحد فقط من جونب التنشئة الاجتماعية.

فمن الافضل أن تقوم بمشروع بسيط عن أن تتناول مشروع مركب وتكون
النتيجة عدم الدقة.

(٣) قرر ماذا تريد أن تعرف عن الموضوع الذي اخترته. وهذا فى الحقيقة تحديد آخر للبحث هل تريد مقارنة بعض جوانب التنشئة للأطفال الذكور والاناث أو تريد أن تدرس رد فعل الأطفال لها. هل تريد أن تدرس استراتيجية التنشئة الاجتماعية للكبار في مقابل الاطفال هل أنت مهتم بدراسة المدخل الرمسي فى مقابل الغير رسمى أو الظاهر أو الكامن؟. هل تفضل أن تجمع أو تصف بالتفصيل المداخل المختلفة المستخدمة ونتائجهم المباشرة؟ هل تريد أن تأخذ جماعتين مختلفتين فى العمر وتقارن بين الاتفاق والاختلاف فى مداخل التنشئة الاجتماعية؟

(٤) اختار موقف يمكن أن يعطيك الفرصة لنوع الانشطة التنشئية الذى تريد دراسته. على سبيل المثال الأسباب التى تبين معيار أخذ الأدوار أو الألعاب الأخرى التى تبين معيار الغش وهكذا.

(٥) نظم ملاحظاتك وحاول أخذ بعض الملاحظات مسبقا. وضع خطة أولية لكيفية متابعة بياناتك. صمم جدول من ملاحظاتك حتي يمكنك تتبع الأفعال التى ترغب فى ملاحظتها والأشخاص الذين يقومون بها ورد الفعل لهم. وبطبيعة الحال فإن هذه الخطة وهذا الجدول سوف يعدل بعد النزول إلي الميدان ولكن هذه الخطة سوف تجبرك على التفكير فى أنواع الأنشطة التي تلاحظها وكيف يمكن تنظيم جمعهم.

(٦) حاول كتابة كل التفاصيل من التفاعلات التنشئية المناسبة وتفسيرك لها فى الوقت نفسه. وهذا يشمل التسجيلات الشفوية والأحاديث (حرفيا على قدر الاستطاعة) ووصف للمواقف الخاصة التي تعتمد عليها عمليات التنشئة الاجتماعية، ثم بملاحظة تفاصيل هذه التفاعلات دوريا أثناء قيامك بالملاحظة وذلك حتى لاتنسي. يجب أن تقرر أن كنت سوف تأخذ ملاحظاتك أمام الجميع أم أنك سوف تلجأ إلي مكان خاص لتسجيل ملاحظاتك.

ب- فى الميدان:

١) اختار الوضع الذى يمكنك أن تلاحظ فيه دون أن تؤدي إلي اضطراب

فى عمليات التفاعل.

٢) اختبر الخطة والجدول المصمم لتسجيل ملاحظاتك وتطورها.

٣) لوسمحت ظروفك فى الوقت الذي تلاحظ فيه أن تسجل وضعك وتفسيرك السوسيولوجي بمجرد أن يترامى لك فالأفكار المهمة التي قد لاتدونها قد لاتستطيع تذكرها فيما بعد بعد عندما تحاول كتابة تقرير ويوميات ماذا يحدث، ويجب أن تعطى تبصيرات عن الأنماط المتكررة للتنشئة.

٤) لو أنك حصلت علي بعض التبصيرات الخاصة لغير متوقعة للمشكلة السوسيولوجية التى تدرسها يجب أن تكون مرنا لمتابعتها في ملاحظاتك الوصفية المنتظمة حتى ولم تكن أصلا مخططا لذلك.

٣- عرض النتائج:

القيام بعمل ميدانى جيد يشكل نصف النجاح بالنسبة للمشروع ولكن الجزد الباقى يعتمد علي تنظيم وتقديم النتائج بطريقة سهلة ومفهومه "وملاحظات الميدان لايمكن أن تقدم التقرير النهائي ولكن تستخدم فقط في المقارنة.

وفيما يلي بعض النقاط التى يجب أن يشملها التقرير الجيد.

١- عبارة موجزة عن المشكلة الخاصة بالتنشئة التى تبحثها.

٢- وصف محدد للوضع الذى اخترته ولما اخترته. ويجب أن نشير هنا إلي المشاكل واجهتها في الميدان وماذا فعلت للتغلب عليها وكيف كان يمكن للنتائج أن تتأثر بذلك.

٣- تقديم ومناقشة النتائج. يحب أن تعطى القارئ شعور أو احساس ربما كان يجري في الموقف ويمكنك توضيح ذلك بالتحليل مع الوصف للمواقف والمحادثات أو كلاهما.

٤- جداول استخرجت من الجداول الميدانية التى تطورت لتسجيل الملاحظات وتطورها والأشخاص الذين يقومون بها.

٥- ملخص مختصر عن النتائج الهامة التنشئة الاجتماعية مصاغا في ألفاظ ومفاهيم النظرية السوسيولوجية. بالإضافة إلي أى فروض قد طورتها وترى أنها تستحق الاختبار فيما بعد. ويجب أيضا أن تقدر القوة والضعف فى ملاحظاتك وفي الملاحظة كوسيلة لجمع البيانات.

٦- اكتب تقريرك في ثلاثة صفحات. ويجب ألا يشتمل التقرير الملاحظات الميدانية ولكن الاهتمام مركز حول كيفية الملاحظة وجمع البيانات وتحليلها.

التمارين والإجراءات العملية للملاحظة بالمشاركة

Participant do servation

١- التمرين المقترح:

يمكنك إجراء على الجماعات الأولية. وفى هذا الصدد فأنت لست مطالب بالالتحاق بأحد هذه الجماعات من أجل ملاحظتها ولكن ماهو مطلوب هو تقديم تقرير متخصص عن التفاعل فى أحد الجماعات الأولية التي تنتمي أنت إليها مثل جماعة اللعب أو نادي معين مشترك فيه. هذا يشهل المهمة، حيث أن كل منا بطريقة أو بأخرى ينتمى إلى جماعة علي الأقل... ولهذا لن نضيع الوقت في محاولة النفاذ إلي أحد هذه الجماعات لدراستها. حتى ولوأنك تلميذ فى الجامعة. فإنه مما لاشك فيه أن لديك مجموعة من الأصدقاء. هذه الجماعة من الأصدقاء تصلح لأن تكون موضوع دراستك وملاحظتك حيث أنك عضو فيها وفى نفس الوقت تكون الملاحظ.

كذلك جماعات النوادي الإجتماعية فهى لاتصلح للقيام بالملاحظة بالمشاركة.

٢- الإجراءات العملية للقيام بتمارين الملاحظة بالمشاركة

أ- قبل الذهاب إلي الميدان:

(١) حدد ماهو الجانب الخاص فى الجماعة والذي ترغب في دراسته. وطالما أنت محدد بوقت معين للإنتهاء من ملاحظاتك فإنه من الأساسى أن تحدد

أنواع التفاعل الجماعى الذى ترغب في معرفته عن الجماعة. وسوف تستعرض بعض منها.

أ) ركز علي أنماط الإتصال في الجماعة فكل الجماعات تطور "لغة سوية" يواء باستخدام حركات أو إشارات لفظية أو غير لفظية.

ب) افحص أنماط القيادة: من هم وكيف يحتفظون بمركزهم؟

جـ) اعطي اهتماما لمشاكل هذه الجماعة وكيف تحاول الجماعة حلها.

د) اكتشف وسائل التعاون وعمليات التبادل ومن يقوم بها وماهى؟ ولمن؟

هـ) تعرف على الجزاءات أو العقبات للأعضاء الذين يتعدون على القواعد أو المعايير أو الذين يحاولون تغيير أدوار سلوكهم المتوقعة فأنت كعضوية يمكنك أن تغير سلوكك المعتاد حتي يمكنك قياس محاولة الأعضاء الآخرين لإرجاعك للسلوك القديم ولو أخذت بهذه افكرة فإنه من الواجب قبل القيام بذلك أن تلاحظ الجماعة بالنسبة لدورك العادي حتي يمكن أن تقارن بين اتجاهات الجماعة فى الحالتين.

(٢) حدد بوضوح أكثر جوانب موضوع دراستك. فكر في أنواع الظواهر الاجتماعية التى سوف تستخدمها علي أنها أمثلة حية للمشاكل، فعلي سبيل المثال لو أنك كنت مهتم بكيفية حل الجماعة لمشاكلها. يجب تحديد أولا مايعتبر مشكلة. وهل سوف يكون ضروريا لإتخاذ قرار مثل أن يدفع الاعضاء تذاكر للعب. أول هل من الواجب أن تهدأ التوترات الناتجة من المناقشات؟ وماهى حلولك المقترحة لهذه المشاكل؟

ولابد أن تعطى وقت كاف لدراسة هاتين الملاحظتين السابقتين قبل الذهاب للميدان.

ب- فى الميدان:

بكونك عضو في جماعة أولية فإنه من المستحيل أن تسجل ملاحظاتك فى نفس الوقت الذى تقوم فيه بدورك كعضو ومشارك ولهذا فإنه من الضروري أن

نبتعد من وقت لآخر أو كلما أمكن ذلك بعد كل ملاحظة لكي تكتب وصفك لها.

ويجب أن تحتفظ بيوميات الحوادث ويجب أن تفصل ملاحظاتك عن تفسيراتك.

عرض النتائج:

يجب أن يحتوي تقريرك علي الآتي:

١- عبارة إجمالية عن المشكلة السوسيولوجية الخاصة التي نبحثها.

٢- وصف لنوع الجماعة الأولية التي تبحثها والوضع أو الأوضاع التى تتخذها لملاحظتك المشاركة.

٣- فترة مختصرة تعطي تفاصيل تتعلق بالآتي:

أ- عدد المرات التى كنت فيها مع الجماعة.

ب- وماهو الوقت الذي قضيته في كل مرة.

٤- أدلة لكل نتيجة مثل وصف موضوعي مختصر عن التفاعلات أو المحادثات التى لاحظتها أو سمعتها.

٥- تفسير لنتائجك مستخدما المفاهيم السوسيولوجية. ماهى الملاحظات الأخرى والتى تريد القيام بها فيما بعد. حاول تكوين فروض يمكنك اختبارها فى أحد الجماعات الأولية غير تلك التى قمت بملاحظاتها.

٦- بعض المشاكل التى واجهتها فى على هذه الملاحظات وماذا فعلت للتغلب عليها وكيف كان من الممكن أن تتأثر النتائج بذلك.

٧- يجب أن تقدم تقريرك فى ثلاثة صفحات ويجب أن تلحق ملاحظاتك البدائية الميدانية التى تبين مهاراتك لملاحظة التفاعل الاجتماعي.

ثانيا: المقابلة

١- تعريف المقابلة.

٢- نماذج المقابلة.

٣- تصميم المقابلة وإجراؤها.

٤- تقييم المقابلة بمقارنتها بالملاحظة.

أدوات جمع البيانات

(٢) المقابلة Interview [١]

كثيرا مايتم موضوع ابحث ضرورة أن يعتعرض الباحث لتحليل بعض زنماط السلوك التى يتعذر عليه ملاحظتها لأنها تحدث على نحو شخصى أوخاص، فى مثل هذه الظروف يجد الباحث أنه من الأفضل أن يسأل جمهور الباحث لا من أن يلاحظ سلوكهم أن معتقدات الأفراد واتجاهاتهم أمور هامة يتعين علي الباحث معرفتها ولكنها في الوقت نفسه لايمكن أن ترى لأنها ليست أنماطا مشخصة للسلوك ولو أنها دوافع لها، كما أنها لايمكن أن تسجل كتابة ولايمكن للوثائق أو السجلات أن تقدم وصفا أو تحليلا لها من هنا يعد الباحث أن من أفضل الطرق الملائمة لجميع البيانات أن يذهب بنفسه للأفراد ليوجه إليهم بعض التساؤلات التى تفيد إجابتهم عليها فى القاء الضوء على هذه الجوانب غير الملموسة في المواقف - أو التى لاتخضع للملاحظة - وفي بعض الأحيان يكون من الممكن للباحث أن يسأل عدد قليل من الأفراد بل قد تمثل هذه الخطوة إجراءا منهجيا هاما على الأقل في المرحلة لاستطلاعية للبحث ولكن يندر أن يوفي الاعتماد على عدد قليل من الإخباريين بالنتائج المرجوة للدراسة خاصة وأن مايدلي به هؤلاء من معلومات لابد من مراجعتها والتأكد منها هذا بالإضافة إلي زنه كلما زاد مجتمع البحث تعقيدا أو إتساعا اضطر الباحث إلي الاعتماد علي عينة ممثلة له أما كيف تختار العينة والحجم الأمثل لها وأنواعها أو نماذجها فهذا سوف نناقشه بالتفصيل فى موقف لاحق ونركز هنا على توضيح الشروط والخصائص المنهجية لأسلوب المقابلة كأداة لجمع البيانات تختلف كما أوضحنا من قبل عن أسلوب الملاحظة بأنواعها المتعددة.

ويستطيع الباحث أن يجرى المقابلة عن طريق البريد أو عن طريق التليفون أو من خلال المواجهة المباشرة لهم. وتعتبر المقابلات التليفونية وسيلة أقل ذيوعا وانتشارا خاصة فى تلك البلاد التي تل فيها نسبة من يمتلكون هذا الجهاز فى

(١) هذا الفصل من إعداد د. السيد عبدالعاطى السيد.

منازلهم بينما نجد أن المقابلات البريدية بما لها من خصائص معينة قد تتفق مع ظروف خاصة للبحث حيث تفيد في جمع بيانات من أفراد مبعثرين جغرافيا على مدي رقعة سكانية شاسعة ومن مزاياها أنها تمكن الأفراد من الإدلاء بآرائهم دون حرج أو خوف فكثيرا مايدلى بعض الأفراد على حد تعبير بوسارد وبول بالقدر الكبير من المعلومات عن طريق استخدام الكتابة أكثر مما يصرحون به شفاهة أمام الباحث ولو أن من عيوبها أن كثيرا مايهمل الأفراد فى الإستجابة المباشرة لموضوع البحث ومن ثم البريدية أستمارات الأسئلة إلي الباحث وعلى ذلك يمكن القول أن مثل هذه البحوث البريدية يجب أن تحدد فى ضوء نوعية خاصة من جمهور البحث لمعالجة موضعات خاصة تجذب اهتمام الأفراد. بعبارة أخري يتطلب إجراء هذا النوع من المقابلات درجة معينة من الثقافة والتعليم.

غير أنه قد يتطلب إجراء بعض البحوث توجيه أسئلة لعدد كبير من الأفراد يختلفون فيما بينهم من حيث درجة أو مستوى التعليم الأمر الذى يجعل استخدام المقابلة المباشرة وجها لوجه بين الباحث والمبحوث إجراء ضروريا لجمع البيانات اللازمة للدراسة وربما كان الهدف الرئيسى لمثل هذا النوع من المقابلة فى العلوم الإجتماعية هو كما يقول جون مادج جعل الأفراد يتحدثون عن أنفسهم ولو أنها تجعل الباحث كما تقول مارجريت ستاس يعتمد تماما - متوسط - على النية الطيبة للمبحوث فالباحث فى مثل هذه الحالات يختلف عن الطبيب أو الاخصائى الاجتماعى أو المحامي(وكلهم يستخدمون أسلوب المقابلة) لأنه على العكس من هؤلاء هو الذي يحتاج إلي المبحوث وليس العكس فهو يحدثه عن موضوعات قد لاتهم المبحوث ولاتقدم له نفعا مباشرا الأمر الذي يجعل الباحث فى موقف "طالب المساعدة" لذلك كان على الباحث أن يبدأ المقابلة بطلب مساعدة المبحوث "حيث تبدأ المقابلة بقول الباحث هل الإدلاء بإجاباته حول تساؤلات الباحث بل يتوقع كما كشف عن ذلك عدد كبير من الدراسات أن تؤدى ممارسة الضغط أو القوة على المبحوث إلي الإدلاء ببيانات مضللة تضر نتائج الدراسة وأهدافها بقدر كبير ممايترتب عن الإمتناع

على الإجابة من أشرار.

وعلى أية حال، فإن المقابلة تهدف - كإحدي وسائل جمع البيانات - إلي التوصل إلي بيانات ومعلومات تتوفر لها درجة كبيرة من الثقة والصدق والثبات، ولكنها - بطبيعتها - أداة لجمع بيانات يدلى بها أفراد حول مادون الزام أو أجبار، كيف يستطيع الباحث اذن أن ينجز مهمته بنجاح، أى كيف يستطيع أن يضمن تعاون جمهور البحث معه ناحية، وكيف يتسنى له الحصول على معلومات يثق بها؟. لقد أشرنا من قبل إلى ضرورة أن يسهل الباحث موقف المقابلة "بطلب مساعدة" جمهور البحث لأداء مهمته، وتشير هنا إلي زهمية وضرورة أن يقوم الباحث بشرح أهداف دراسته بلغة يسهل على جمهور البحث فهمها أو متبعاتها. ذلك لأن المقابلة - على حد تعبير جود Good,M وهات Hatt - فى جوهرها عبارة عن عملية تفاعل اجتماعي يحتم على الباحث الإلمام بمشاعر البحوث واهتماماته، كما يحتم عليه تنمية قدرته على الاستبصار بمعنى أن يكون واعيا يقظا وحساسا لمختلف الدلالات العاطفية التى تظهر فى موقف المقابلة والتى تمكنه بدورها من التعرف - بدرجة ما - على مدي صدق مايلى بالمبحوث من بيانات ومن ثباتها أيضاً. وهنا يشير المؤلفان إلى بعض الخصائص التى ينبغى أن يتسم بها الباحث ضمانا للنجاح هذا الموقف التفاعلى منها اعتدال مظهره وحركاته وتعبيزاته - اللفظية والوجهة - أثناء المقابلة واعتدال استجابته لما يسمعه عن المبحوث من معلومات، واعتدال استخدام مهاراته لتقصى الحقائق من المبحوث، وأن يظهر فى النهاية احترامه وعدم تحيزه أى بعبارة أخرى التحكم في نزعاته التحيزية فلايحاول أن يفرض رأيا أو يدلى بحكم معين على أقوال المبحوث، بل عليه أن يشجع المبحوث على الإدلاء بآرائهم دون حرج أو خوف. وتعتقد شاسى أن تجلى الباحث بهذه الخصائص التى ذكرها جوود هات إلي جانب المامه وتمرسه على استخدام وسائل جمع البيانات - استخداما علميا منظما تمثل عوامل ذات أهمية خاصة لإنجاح موقف المقابلة.

مما تقدم نستطيع أن نعرف المقابلة بأنها:

"وسيلة لجمع اللبيانات تستخدم بكثرة فى البحوث الاجتماعية، تتمثل في إيجاد موقف مواجهة بين فردين (باحث ومبحوث) يرتكز على تفاعلى لفظى بينهما، فيه يحاول الباحث استمارة بعض المعلومات - أو التعبيرات - لدى المبحوث تدور حول خبرته، وآرائه ومعتقداته لاستغلالها فى بحث علمى - أى كانت طبيعة هذا البحث - كشفى كان أو شخصى أو علاجى."

ويعتبر هذا التعريف الذي قدمنا تعريفا علميا لمقابلة كأداة لجمع البيانات يصدق - بما تضمنه من عناصر أساسية ومميزة - على مختلف أنواعها وأشكالها، ولوأننا نعتقد أن وضع الحدود الفاصلة لكل شكل سيعمق من تعريفنا المبى السابق.

أنواع المقابلة:

يستطيع لن يطلع على مختلف المراجع والكتب - العربية والاجنبية - التى عنيت بمناهج وطرق البحث الاجتماعى، إن يقف عللى أشكال متنوعة للمقابلة واختلفت فيما بينها باختلاف "الاساس" الذى أستند إليه الكاتب أو المؤلف فى تصنيفه للأسلوب الذى تستخدم فيه المقابلة كوسيلة لجمع البيانات. ونستطيع من خلال ما أتيح لنا الإطلاع عليه من كتابات في هذا الصدد أن نلخص الأسس المختلفة للتصنيف وبالتالى أنواع المقابلة فيما يلى:

١- من حيث الهدف:

ويقابل هذا الأساس التصنيفى ببساطة السؤال التالي:

"لماذا يستخدم الباحث "المقابلة"، ولأى الأعراض، ثم كيف "يوظف" أو يستفيد الباحث من البيانات التى سينجم عنها موقف المقابلة. وفى هذا الصدد يمكن أن نميز بين:

أ- مقابلات بحثية Research interview : وهى التي يشاع استخدامها فى المراحل الأولى لتعميم البحث، حيث يستطيع الباحث من خلال مايقوم به من

مقابلات "استطلاعية" مع عينات من جمهور مجتمع البحث أو مع الخبرات ذات الصلة الوثيقة بموضوع بحثه أن يتوصل إلي صياغة أدنى لمشكللة البحث. وفى هذا النوع من المقابلات يبدو المقابلة "الكشفي" أو "الاستطلاعى - كهدف لها - واضحا بقصد التعرف على بيانات أو حقائق يجهلها الباحث وبالتالى تفيد كما قلنا فى تعريف الباحث على مختلف أبعاد الموقف موضوع بحثه.

ب- مقابلات تشخيصية وتفسيرية Diagnatic, explauatary:

وتعني أساسا بالتوصل إلي مجموعة من البيانات أو المعلومات التى تمكن الباحث من تفسير حالة أو وضع ما، ويعتبر هذا النوع من المقابلة أكثر تعمقا من النوع السابق لأن الباحث فى هذه الحالة - رغم محاولته لإستطلاع بعض الجوانب التى تفسر موقف ما - لايقتصر على الكشف والاستطلاع بل يستخدم مايتوصل إليه من معلومات فى "تفسير" الموقف موضوع بحثه.

جـ- مقابلات علاجية: treatment clinic

ويكثر استخدامها فى مجالات الطب النفسى و "التأهيل النفسى الاجتماعى" للمعوقيين والمنحرفين...الخ وإن كنا نعتقد أنه من الممكن استخدامها فى مجال "مواجهة مشكلات المجتمع المحلى" "و" فتنشيط المشاركة الاجتماعية للأفراد فى مجال تنمية المجتمع .... الخ وعلى أى حال فإن محور الارتكاز فى مثل هذا النوع من المقابلة يتمثل فى جمع البيانات والمعلومات من "الفرد" أو "الموقف" بقصد تشخيص "المشكلة" وتدبير الوسائل الملائمة لحلها ومواجهتها.

٢- من حيث دور كل من الباحث والمبحوث فى موقف المقابلة تنقسم المقابلة كما أشرنا من قبل إلى "المقابلة البريدية - المقابلة التليفونية - المقابلة المباشرة" وتكشف هذه الأنواع عن درجات متفاوتة لتدخل الباحث فى موقف الحصول على البيانات فتدخل الباحث فى المقابلة البريدية يكاد يكون معدوما كما سبق أن أشرنا ولو أننا نرى أن الباحث بتصميمه لأسئلة الاستمار البريدية يمارس نوعا من الدتخل غير المباشر خاصة لأنه يوجه اهتمام المبحوث نحو موضوعات

معينة، ويتدخل الباحث بدرج أكبر فى المقابلة التليفونية ولو أنه يتمكن كما أشرنا من ملاحظة مشاعر المبحوث أو انفعالاته بالنسبة لموضوعات البحث وهي كلها أمور لها أهميتها كما نعلم. فإذا ركزنا اهتمامنا على موقف المقابلة المباشرة نجد أن تدخل الباحث أن يتفاوت رغم مابينه وبين المبحوث من تفاعل ومواجهة مباشرة وفي هذا الصدد يمكن أن نقسم المقابلة المباشرة إلى:

أ- مقالة غير موجهة وتعرف باسم المقابلة البسيطة وفيها يترك لموقف للمبحوث ليتحدث عن نفسه ومشاعره وقيمه... الخ بحرية مستندة على مايعرف باسم تداعى المعانى أو التداعى الحر بعبارة أخرى يكون فيها موقف الباحث أكثر سلبيه لأنه لايحدد أسئلة أو استجابات بطريقة قبليه.

ب- مقابلة بؤرية أو محورية. وفيها يقوم الباحث بتركيز اهتمام المبحوث فى مجال معين أو خبرة معينة بحيث نجد أنه رغم مايتاح للمبحوث من حرية التعبير عن آرائه إلا ز توجيه موقف المقابلة يخضع لسيطرة الباحث وحده.

٣- ومن حيث عدد المشتركين فى موقف المقابلة يمكن أن نميز بين:

أ- مقابلات فردية: وهي موقف مواجهة مباشرة بين باحث واحد ومبحوث واحد فقط.

ب- مقابلات جماعية: تتعدد فيها أطراف المقابلة لتأخذ بدورها أشكالا مختلفة أما أن تكون بين باحث واحد وأكثر من مبحوث، وإما أن تكون بين مبحوث واحد وأكثر من باحث، وإما أن تكون عدد من الباحثين وعدد آخر من المبحوثين لتأخذ المقاببلة شكل المناقشة الجماعية.

٤- ومن حيث درجة الضبط أو مستوى التقنين عند إجراء المقابلة تنقسم المقابلة إلى:

أ- مقابلة حرة غير مقننة لاتتحدد فيها شروطا أو عناصر معينة لإجرائها "مثل تحديد أسئلة معينة يوجهها الباحث للحصول على بيانات معينة".

ب- مقابلة مقننة: وهى على العكس من الأولى يتحدد لها مقدما عناصر المقابلة وموضوعاتها وأسئلتها التى يتحدد عددها وصياغتها وترتيبها وطريقة القائها على نحو سابق لإجراء المقابلة.

تلك هى أهم الأسس التى تستخدم لتصنيف المقابلة أو تحديد نماذجها المتمايزة على أنها لن نهتم في هذه المحاضرات إلاّ بالأساس الأخير "ومستوى التقنين" لما له من أهمية خاصة فى تقييم المقابلة كوسيلة لجمع البيانات لذلك سنقتصر هنا على الحديث عن شكلين مختلفين من أشكال المقابلة هما كما نوهنا من قبل المقابلة المقننة وعير المقننة. ونود قبل أن نستعرض الخصائص المميزة لكل منهما أن نشير إلي أن كل من المقابلة المقننة وغير المقننة يمكن اعتباره طرفا لمتصل واحد وأنه قد توجد بين كلا الطرفين سلسلة كبيرة من درجات متنوعة للضبط الذى يمارسه الباحث عند إجراء اللمقابلة.

١- المقابلة المقننة: Structured interview

وهي كما ذكرنا عملية مواجهة تحدد فيها عناصر المقابلة وموضعاتها وأسئلتها وعدد هذه الأسئلة وكيفية صياغتها وترتيبها وطريقة القائها وأسلوب تسجيل الإجابة عليها بطريقة محددة من قبل ويكثر استخدام هذا النوع من المقابلات فى المراحل المتقدمة للبحث وبخاصة عندما يتطلب موضوع الدراسة إجراء مقابلات لعدد كبير من الأفراد "مقابلات جماعية" ويعنى التقنين هنا توجيه الأسئلة لجميع المبحوثين بنفس الكلمات والترتيب كما يهدف إلى التوصل إلي استجابة موحدة بنفس الأسئلة. وسنحاول فى الفصل التالى أن نوضح أسلوب صياغة الأسئلة وكيف أن هذه الصياغة تنطوي بدورها على درجات مختلفة من التقنين.

٢- المقابلة غير المقننة: Unstructurecl interview

ويشيع استخدامها فى المراحل الأولى وفى الدراسات الكشفية أو الاستطلاعية فيها يوضح الباحث الهدف من البحث كما يحدد موضوعه

"موضوع المقابلة" بطريقة عامة للمبحوث ويترك له الكلمة بالطريقة التى تروق للمبحوث وتضمن للباحث فى نفس الوقت الحصول على أكبر قدر من المعلومات والبيانات المرتبطة بموضوع البحث. ومن الطبيعى أن لاتسمح المقابلة غير المقننة بعقد مقارنات بين الاستجابات المختلفة للأفراد كما هو الحال بالنسبة للمقابلة المقننة كما أنها تتطلب قدرا من مهارة الباحث ومرونته أكبر مما تتطلبه هذه خاصة وأن على الباحث عند إجراء مقابلة غير مقننة أن يكون على وعى تام وفهم كامل لما يحدث ومايقال وميثار من موضوعات في موقف المقابلة. وفضلا عن ذلك فإنها تمكن الباحث - بما تتطلبه مرونه ومهارة - من التعرف بقدر أكبر على معتقدات ومشاعر واتجاهات المبحوث وتتيح له فرصة أكبر للتحليل بل واستنباط الفروض أو صياغتها.

وتعتبر المقابلة غير الموجهة أكثر أنواع المقابلة بعدا عن التقنين حيث يكون الهدف منها هو حث أو دفع المبحوث إلي الحديث عن نفسه بل واستمرار هذا الحديث ومن ثم تترك له حرية كاملة للكلمة والتعبير ويشاع استخدام هذا النوع من المقابلة فى العلاج النفسى بصفة خاصة ولو أن استخدامها في مجال البحوث الاجتماعية محدودا إلا فيما يعرف باسم الدراسات الكشفية أو الاستطلاعية. كذلك تعتبر المقابلة المحورية أو البؤرية Focused interview شكلا آخر من أشكال المقابلة غير المقننة أنها تمتاز بأنها أكثر رسمية أو صورية More Fomal فيها يحدد الباحث مقدما قائمة بأسئلة أو موضوعات معينة يتطلب معالجة موضوع بحثه أن يغطيها، كما تترك للباحث حرية توجيه الأسئلة أو مناقشة الموضوعات المحددة بالترتيب الذى يعن له ويراه ملائما لإنجاح موقف المقابلة كما تترك للمبحوث حرية التعبير عن آرائه ولكن فى إطار توجيه المقابلة الذى يحدده الباحث. ويفيد هذا النوع من المقابلات فى الدراسات التى تهتم بتوضيح وتحليل الخبرات والمشاعر والإتجاهات والدوافع أما بقصد اختبار فروض معينة أو بهدف الحصول على بيانات تساعد على صياغة فروض جديدة للبحث.

وكما أشرنا من قبل فإن المقابلات المقننة استخدامها فى المراحل الأولى أو الاستطلاعية للبحث، كما تستخدم وبنفس الكفاءة فى تلك الدراسات المركزة التى تتطلب فهمها أكثر لموضوع البحث.

تصميم المقابلة وإجراؤها

أيا كان النموذج الذي يختاره الباحث للمقابلة كأداة لجمع البيانات اللازمة للبحث فإن كفاءة هذه الأداة تتوقف على بعض الإعتبارات التى ترتبط بتصميمها وبطريقة إجرائها. والمقصود بالتصميم عملية تحديد نوع المقابلة التي سيجريها الباحث ووظيفتها ثم تحديد مضمونها أى مايشتمل عليه من موضوعات تطرح للمناقشة الحرة أو أسئلة تعطى الإجابة عنها جوانب هامة للبحث هذا بالإضافة إلي تحديد أفراد العينة أى الأفراد الذين سيجرى معهم المقابلة وتدريب من يستعان به من الباحثين لإجرائها أو تطبيقها. وبناء على ذلك فإن الباحث يجب أن يضع فى اعتباره مايلى:

١- تحديد نوع المقابلة هل هى مقننة أم غير مقننة وذلك بما يتفق وموضوع الدراسة فطبيعة الموضوع تحدد كما ذكرنا نوع المنهج والطريقة الأداة المستخدمة لجمع البيانات. كما أن نوع المقابلة المستخدمة يتحدد ليس فقط لطبيعة الموضوع بل وأيضا وفقا لأهداف الدراسة ومستويات التحليل المطلوبة وما وصلت إليه دراسات أخرى سابقة من مستوى معين من الوصف أو التحليل أو التفسير لموضوع اللدراسة.

٢- وكما يتحدد نوع المقابلة المستخدم فى ضوء هذه الاعتبارات السابقة فإن مايدور فيها من أسئلة يجب أن يحدد تحديدا واضحا عددا وصياغة وترتيبا ونوعا فى إطار موضوع البحث وأهدافه ونوعية مجتمع البحث.

٣- ولما كانت عبارة عن موقف تفاعلى بين باحث ومبحوث فإن نجاحها يتوقف إلى حد كبير على إنجاح موقف المقابلة ويعتمد ذلك بالدرجة الأولى على نوعية الباحث وما يستعين به من باحثين وعلى نوعية المبحوثين أنفسهم.

فمن ناحية يجب أن يضع الباحث في اعتباره حسن اختيار من يعتمد عليهم من الباحثين لإجراء المقابلة فيشترط فى هذا الصدد قدرا من المهارة والخبرة والمرونة والأمانة والاستبصار واليقظة لاختيارهم بعد ذلك على تنظيم برامج لتدريبهم موضحا لها أهداف الدراسة بوجه عام وأهداف المقابلة بوجه خاص لثير فيهم الاهتمام بتوفير المعلومات اللازمة للبحث كما يضع لهم بعض الإرشادات الخاصة التى تمكنهم من أداء مهمتهم بنجاح وتجنب كل ما من شأنه أن يعوق دون ذلك.

ومن ناحية أخرى يجب على الباحث أن يحدد عينة بحثه "أى الأفراد الذين سيجرى معهم المقابلة" وذلك بعد أن يتعرف على مستواهم الفكرى والثقافى وعلى ظروفهم وعاداتهم وتقاليدهم وقيمهم مما يمكنه فى نهاية الأمر من صياغة ملائمة للأسئلة أو تحديد ملائم للموضوعات المطروحة للمناقشة من ناحية كما ييسر له من ناحية أخرى تحقيق قدر من التكيف معهم يضمن تعاونهم واستجاباتهم وإدلائهم بمعلومات تفيد بحثه.

ومن ناحية أخرى يتطلب الإجراء الجيد للمقابلة بعض الشروط التى ترتبط بعضها بالباحث ويرتبط البعض الآخر بموقف المقابلة بما يتضمنه من موعد زمنى ملائم ومكان المقابلة ونوع الأسئلة التي تطرح. ونستطيع بهدف الإيجاز والتحديد أن نجمع هذه الشروط فيما يلى:

١- إن نجاح المقابلة يعتمد على كم المعلومات التي يحتل عليها الباحث من خلالها وأيضا على نوع هذه البيانات. ويتوقف نجاح الباحث فى تحقيق ذلك على توطيد علاقة صداقة بينه وبين المبحوثوبهذا مبرروه يتطلب أن يكون الباحث حذرا حساسا فطنا مرنا يعرف متى يترك للمبحوث الكلمة ومتى ينبغى عليه أن يتدخل لتوجيه المناقشة وعليه أيضا أن يعبر عن تقبله لما يدلى به المبحوث حتى يتيح له فرصة التعبير أو الكشف عن مشاعره وأفكاره واتجاهاته التي قد يحجم المبحوث عن الإفصاح بها للغرباء. وهنا

أيضا يجب على الباحث أن يكون مستمعا جيدا لأن الإنصات الذى يتوفر معه قدر من الاستبصار للباحث فرصة تحليل وتفسير مايسمعه.

٢- يتعين على الباحث أن يبدأ المقابلة بمقدمة مختصرة يشرح فيها موضوع البحث وأهدافه وأهمية الدور الذى تلعبه مايدلي به المبحوث من بيانات فى تحقيق أهداف البحث. وما أن يفرغ الباحث من ذلك عليه أن يبدأ بطرح بعض الأسئلة التي لاتثير ريبة المبحوث أو مخاوفه أو حرجه. وتفيد مثل هذه الأسئلة فى العادة فى تقديم خلفية للمعلومات التى يحتاج الباحث إليها ولذلك فليس من العبث أن يخصص الباحث فترة من الزمن لطرح مثل هذه التساؤلات وذلك قبل المضى فى الدخول بتساؤلات أكثر حساسية.

٣- يتعين على الباحث أن يستخدم بعض الأسئلة الموجهة حتى إذا كانت المقابلة غير موجهة فى الأصل ذلك أنه على الرغم من أن الأسئلة غير المقننة قد تفيد ذكرنا فى تعرف الباحث وأبعاد قد يجهلها إلا أنه يفضل أن يستخدم الباحث بين حين وآخر بعض الأسئلة الموجهة. والمقصود بالسؤال الموجه هو ذلك السؤال الذى يصاغ بطريقة قبلية على الأقل فى ذهن الباحث قبل بدء المقابلة. وتفيد مثل هذه الأسئلة فى العمل على استمرار المناقشة خاصة بعد أن يفرغ المبحوث من الحديث عن أحد الموضوعات الفرعية. فكأن الأسئلة الموجههة هنا تعتبر بمثابة حلقات وصل للموضوعات التي تطرح للمناقشة. كما أنها تجنب الباحث من التكرار غير المتعمد فى مناقشة أحد الموضوعات وأيضا تجنبه أغفال مناقشة أحد أحد الموضوعات التى ينبغى عليه مناقشتها، بعبارة أخرى تعتبر هذه الأسئلة وسيلة لبقة دبلوماسية للانتقال من موضوع فرعي لآخر كما أنها فى الوقت نفسه وسيلة ضمان لأن تعطى المقابلة كل الموضوعات الفرعية التى يتعين على المقابلة تغطيتها.

٤- على الباحث أن يتدرج فى مناقشته وأسئلته من العموميات إلى

الخصوصيات حتى يستطيع أن يحثل على معلومات تفصيلية عن موضوع المناقشة فقد يخطأ بعض الباحثين إذ يعتقد أنه بمجرد أن يطرح ويتلقى إجابة المبحوث عليه يكون قد انتهى من مهمته لنتقل إلي موضوع آخر ومن الأجدر على الباحث أن يطرح إجابة المبحوث عن سؤاله للمناقشة حتى يسلم بمختلف جوانب الموضوع الذى يناقشه كى لايعود لمناقشة مرة أخرى إذ من الأفضل أن يعيد الباحث إجراء المقابلة لاستكمال مناقشة موضوعات جديدة بدلا من أن يعيدها لاستيضاح أو استكمال بعض النقاط حول موضوع سبق له مناقشته مع المبحوث. بعبارة أخرى يجب أن يكون الباحث متيقظا لما يدلى به المبحوث من إجابات أو بيانات وماتحمله هذه الإجابات من معانى حتى إذا ما استغلق عليه فهمها طلب من المبحوث مزيدا من الايضاح والتفسير - الأمر الذي يؤدى فى النهاية إلي إثراء مايحصل عليه من معلومات سواء من حيث الكم والكيف. وتتضح أهمية هذا المطلب بصفة خاصة فى تلك المقابلات التى تجري مع ذوى الخبرات الفنية أو المتخصصة.

٥- على الباحث أيضا أن يكون فطنا للموضوعات التى يكشف فيها المبحوث عن شحنة انفعالية واضحة فكثيرا ماتساعد دموع المبحوث أو حرجه أو غضبه أو اقتناع وجهة على رؤية الباحث لمشكلة البحث من خلال عين المبحوث. كما أن الباحث فى موقف المقابلة لاينبغى عليه الاكتفاء بمجرد الاتصالات إلى مايقوله المبحوث عليه أيضا أن يدرك أو يتفهم كيفية استجابته للسؤال أو الموقف.

٦- يتعين على الباحث أن يعيد توجيه المناقشات التى يتضمنها موقف المقابلة إلي مجالات أو موضوعات أكثر خصوبة وثراء بالنسبة لموضوع البحث وخاصة فى الأوقات التى يشعر فيها أن المبحوث قد بدأ يدخل فى تفاصيل تافهه لاترتبط بموضوع البحث.

٧- على الباحث أن يأخذ بزمام المبادئة فى توجيه المناقشة وطرح الأسئلة على المبحوث وأن يكون لبقا فى إجابته على مايلقيه عليه المبحوث من أسئلة فقد يحدث أن تفض المناقشة إلي توجيه المبحوث ببعض الأسئلة إلى الباحث فى هذه الحالة نجد أنه من الخطأ أن يرفض الباحث الإجابة على هذه الأسئلة كما أنه من الخطأ أن يجييب الباحث عليها على نحو قد يؤثر فى استجابة المبحوث. ومن الأفضل أن يجيب الباحث علي هذه الأسئلة ولكن بشرط أن يتجنب الكشف عن رأيه الخاص فى موضوع المناقشة.

٨- على الباحث أن يضع فى اعتباره كيفية إنهاء موقف المقابلة وهنا يفضل أن ينهى المقابلة قبل أن يشعر المبحوث بتعب أو ملل أو ضيق لإصرافه عن عمل القيام به. كما يفضل أن ينهى الباحث موقف المقابلة بما يبقي على علاقة الصاداقة بينهما حتى يستطيع أن يعود أخرى للمبحوث إذا لزم الأمر. ومن ثم يجب على الباحث أن يكون لبقا وحريصا لإنتقاء العبارات اللللملائمة لإنهاء الموقف من ناحية ولمختلف الظروف الموضوعية التى تفرض إنهائه كإنشعال المبحوث في أمور أخري أثناء المقابلة أو وصول بعض الغرباء أو حلول مواعيد الصلاة أو تناول الطعام من ناحية أخرى.

٩- وإذا كانت كل هذه الاعتبارات السابقة شروطا ضرورية لإنجاح موقف المقابلة فإن هناك إعتبار آخر يجب أن يتنبه إليه الباحث هو أن اختياره لأسلوب أو كيفية تسجيل موقف المقابلة وما ينجم عنه من معلومات يعد شرطا أساسيا لنجاح المقابلة كوسيلة لجمع البيانات اللازمة لأن هذا التسجيل هو العائد النهائي الذى يحتاج إليه البحث والذي من أجله أجريت المقابلة، بل وأكثر من ذلك فإن أسلوب أو طريقة تسجيل المعلومات من شأنها أن تؤثر وبدرجات متفاوتة فى موقف المقابلة ذاته. وعلى أى حال فإن هناك عدة أساليب للتسجيل يتحدد استخدام بعضها دون البعض فى ضوء الهدف من البحث ونوع المقابلة ودرجة تقنينها ونوعية المبحوث ومدي استجابته لموقف المقابلة. ومن هذه الأسئلة نذكر:

أ- التسجيل البعدى: أى تسجيل الباحث للمعلومات عقب إنتهاد موقف المقابلة معتمداً على الذاكرة ولهذا النوع من التسجيل مزاياه وعيوبه حيث نجد أن اعتماد الباحث على الذاكرة من شأنه أن يزيد من احتمالات الوقوع فى أخطاء ولو أنه فى نفس الوقت يتيح فرصة أوسع للمبحوث أن يعبر عن آرائه بحرية دون خوف أو حرج أو تردد كما يتيح للباحث في الوقت نفسه القدرة على الاستبصار والتركيز وملاحظة الاستجابات الانفعالية للمبحوث.

ب- التسجيل الحرفي لكل مايدلى به المبحوث أثناء المناقشة أو المقابلة:

بنفس الترتيب الزمنى الذي اتخذته المناقشة ويكثر استخدام ذلك النوع من التسجيل فى المقابلات غير الموجهة بصفة خاصة أو غير المقننة بصفة عامة.

جـ- التسجيل الصوتي لموقف المقابلة ويكثر استخدامه فى مجال التحليل النفسى والطب النفسى بصفة خاصة ولو أن استخدامه فى مجال البحوث الاجتماعية كثيرا مايؤدى إلى معلومات خاطئة أو مضللة نظرا لما يثيره فى نفس المبحوث من ريبة أو خوف أو نظرا لما يبديه المبحوث من تصنع أو تملق أو تكلف الأمر الذي يؤدي فى النهاية إلي طبع موقف المقابلة بطابع رسمى غير طبيعى أو تصنع.

د- تسجيل المعلومات أو البيانات على هيئة إجابات عن أسئلة رتبت على نحو معين كما هو الحال فى استمارات الاستبيان.

ونعود مرة أخرى لنؤكد أن المرونة المنهجية التى تحتم على الباحث أختيار منهج دون آخر أو استخدام طريقة دون أخرى أو تفصيل أداة لجمع البيانات على أداة غيرها. تحتم فى الوقت نفسه اختيار أسلوب معين فى التسجيل دون آخر وذلك وفقا لما يتطلبه موضوع البحث من بيانات وما تحدده له من أهداف وما حدد للمقابلة ذاتها من مستوى لتقنين وما أتيح لموقف المقابلة من ظروف خاصة.

تقييم المقابلة بمقارنتها بالملاحظة كأدوات لجمع البيانات

ذكرنا فيما سبق أن طبيعة الموضوع الذى تدور حوله الدراسة تحتم على الباحث استخدام منهج معين لمعالجته واختيار الملائمة لجمع البيانات المرتبطة به. لذلك يمكن القول أن الوزن النسبي الذى يعطيه الباحث لأى من الملاحظة أو المقابلة أمر يتوقف على طبيعة الموضوع الذى يعنى الباحث بدراسته. وعلى وجه العموم فإن المقابلة تفيد كما أوضحنا فى الحصول على المعلومات والنطباعات والمشاعر التى يمكن التعبير عنا تعبيرا لفظا. وبالطبع يجب أن نضع فى اعتبارنا أن قدرا من التحريف أو التشويه يمكن أن يلم بالبيانات أو المشاعر أو الاتجاهات التى ينصح عنها المبحوث وهذا أمر يهمنا مناقشته بمزيد من الإيضاح.

نستتيع أن نحدد أسباب هذا التحريف أو تشويه المعلومات أو الانطباعات فيما يلى:

أ- قد يعدل المبحوث بطريقة لاشعورية من اتجاهاته ومشاعره عند إفصاحه بها ليجعلها أكثر تقبلا من الناحية الاجتماعية.

ب- كثيرا مايعدل المبحوث وبطريقة لاشعورية أيضا من تقريره اللفظى بدافع انفعالى لتشكيل الموقف بما يتفق وتصوراته. ذلك لأن وعى المبحوث بالحقائق أو الوقائع الحقيقية قد يسبب له قلقا ما ويحاول تجنبه بالإدلاء بمعلومات محرفة أو مشوشة.

جـ- قد يرجع تحريف مايدلى به المبحوث من بيانات إلي تحيز واضح أو مستتر لموضوع المناقشة.

د- كثيرا ماينسى المبحوث ماحدث ليدلى بما يتصوره أو يفترضه أنه قد حدث بالفعل ولذلك فإن اعتماد المبحوث على ذاكرته همد الإدلاء بالبيانات المطلوبة كثيرا مايصيب هذه البيانات بالقدر الكبير من التحريف أو التشويه.

والباحث الكفء يستطيع بما لديه من مهارة أن يتلمس مواضع اللتحريف أو التشويه فى تقرير المبحوث وقد يمكنه من ذلك مايظهره المبحوث من تحيز واضح فى بعض المواقف وما استطاع الباحث الحصول عليه من بيانات من مصادر أخري قبل إجراء المقابلة.

وتتميز المقابلة عن الملاحظة كوسيلة لجمع البيانات التى قد لايستطيع الباحث الحصول باستخدامه للملاحظة ومثال ذلك البيانات المرتبطة بأحداث وقعت فى الماضى أو التى ترتبط بمواقف خاصة بالمبحوث لايسمح للباحث بملاحظتها دون علم سابق له أو التى ترتبط بمواقف يثير تدخل الغرباء "الباحث الملاحظ" فيها تعديلا جوهريا فى أنماط السلوك التى تتضمنها.

وعلى الطرف المقابل تتميز الملاحظة عن المقابلة كأداة ملائمة لجمع البيانات اللازمة خاصة فى الكشف عن ميكانيزمات التفاعل وأنماط السلوك فأحيانا ماتكشف مشاهدة السلوك أو ملاحظته عن أكثر مما يكشف عنه التعبير عن هذا السلوك فى كلما أو ألفاظ يدلى بها المبحوث. وهنا تبدو أهمية الملاحظة فى تسجيل مختلف الاستجابات النفسية والانفعالية بل والجسمية أيضا التى تحدث فى موقف الملاحظة والتى يتعذر تسجيلها أعتمادا على مناقشة موضوعات ما فى موقف المقابلة فى الوقت الذي تسمح فيه المقابلة بالكشف عن دوافع هذا السلوك أو الأسباب الكامنة وراء هذه الاستجابات النففسية خاصة وأنها تمكن الباحث من الكشف عن دوافع المبحوث ومشاعره واتجاهاته وعقائده ورغباته وهى كلها أمور يصعب الحصول عليها أو معرفتها عن طريق الملاحظة.

وبغض النظر عن هذا التقييم المقارن لكل من الملاحظة والمقابلة فإننا نستطيع بالتركيز على المقابلة - التي هى موضو حديثنا فى هذا الفصل - أن نكشف عن نقاط الضعف فيها أو عن حدودها كأداة لجمع البيانات فيما يلي:

أ- مايشوب البيانات أو المعلومات التى تجمع من خلالها من تعريف أو

تشويه أو أحطاء يمكن أن تعرى فى جانب منها إلى المبحوث "وهذا ما أوضحناه من قبل" بينما ترجع فى جانب آخر إلى الباحث نفسه. ويعتبر تحيز الباحث وإنتمائه الأيدلوجى والطبقى من ناحية ثم اعتماد الباحث على ذاكرته فى تسجيل موقف المقابلة من ناحية أخرى وما يرتبط به من فروق واضحة بين الباحثين فى هذا الصدد فضلا عن الخصائص الثقافية والاجتماعية لمجتمع البحث والظروف المحيطة بموقف المقابلة نفسه كلها عوامل تؤثر بدرجات متفاوتة فى تلك الأخطاء أو التحريفات التى تلحق بنتائج المقابلة.

ب- مايرتبط بالمقابلة ذاتها كأداة لجمع البيانات من حدود أو قصور مثل:

١- بهاظة ما تتطلبه من تكاليف مادية وطول الوقت اللازم لإجارئها.

٢- ما تتطلبهمن باحثين على درجة من القدرة والمهارة بما يحتم ضرورة إعداد وتدريب القائمين بها.

٣- إن اعتمادها على المبحوث كطرف آخر للمواجهة يجعل نجاحها ودقة البيانات التى يحصل عليها الباحث من خلالها أمرا مرهونا بنوعية المبحوثون وتعاونهم معه.

٤- قد لايتحقق لبعض أنواعها - كالمقابلات غير المقننة - مستوى من التقنين يسهل عملية المقارنة الأمر الذي يجعلها تحتاج لوقت أطول فى تحليل بياناتها وإلى مهارات أكثر كفاءة للقيام بالتحليل والتفسير والمقارنة.

* * *

ثالثا: الاستبيان

١- تعريف الاستبيان.

٢- أشكال الاستبيان.

٣- خطوات تصميم الاستبيان وأجزاؤه.

تحديد نوع البيانات المطلوبة

تحديد شكل الأسئلة

الصياغة المبدئية للاستمارة

اختبار الاستمارة .

ثبات وصدق الاستبيان

٤- تمارين تطبيقية

أدوات جمع البيانات

(٣) الاستبيان questionaire [١]

هناك قدر كبير من الغموض والاضطراب حول تحديد طبيعة الإستبيان كأداة لجمع البيانات وتعيين الخصائص التى تميزه عن المقابلة، وربما كان الشاهد على ذلك هو التضارب الواضح فى معظم الكتب والمراجع الاجنبية والعربية التى تعنى بمناهج البحث الاجتماعى، حتى أن الكثير من المؤلفين فى هذا المجال يوردون الاستبيان مقترنا بالمقابلة كموضوع واحد متصل. ويهمنا فى هذا الفصل أن نلقي مزيدا من الضوء على هذه الأداة وكيفية استخدامها فى مجال البحوث الاجتماعية والخصائص التى تميزها عن غيرها من أدوات لجمع البيانات. ويهمنا بادئ ذى بدء أن نضع بعض الاعتبارات نعتقد أنها تفيدنا فى تحقيق ماسبق أن حددناه لهذا الفصل من أهداف.

١- إن الملاحظة كما سبق أن أوضحنا وسيلة لجمع البيانات تعتمد على تقرير لفظى عن موضوع الدراسة إلا أنها تتميز عن كل من المقابلة والاستبيان بأن الباحث هو الذي يقوم بتقديم هذا التقرير اللفظى عن موضوع الدراسة تسجيلا لمشاهداته أو ملاحظاته في الوقت الذي يعبر ما تتضمنه المقابلة والاستبيان من تقرير لفظى عن إجابات يقوم بها المبحوث ردا على أسئلة يوجهها إليه الباحث، بعبارة أخري في الملاحظة يكون الباحث هو صاحب التقرير أو الكلمة بينما يكون المبحوث هو صاحبه في كل من الاستبيان والمقابلة.

٢- يشترك الاستبيان والمقابلة فى أنهما وسيلتين للحصول علي معلومات تتعلق بمعتقدات الشخص ومشاعره ودوافعه وتوقعاته وطموحه وأنماط السلوك الخاصة به وغير ذلك من المعلومات التى يصعب الحصول عليها من خلال الملاحظة لأنها ترتبط بأمور لا تلاحظ بطبيعتها. بعبارة أخرى تعبر

---

(١) أعد هذا الفصل د. السيد عبدالعاطي السيد.

الملاحظة عن تقرير موضوعى لموضوع البحث بينما يعبر كل من الاستبيان والمقابلة عن تقرير ذاتى للمبحوث بالنسبة للموضوع مجال البحث.

٣- يختلف الاستبيان عن المقابلة فى مدي استنادهما إلي التقارير الذاتية التى يدلي بها المبحوث يمثل الاستبيان اعتمادا تاما على المبحوث حيث تقتصر المعلومات التي يحصل عليها الباحث على مايدلى به المبحوث من إجابات مكتوبة علي أسئلة يوجهها إليه الباحث، بينما تجمع المقابلة بين كل من خصائص الملاحظة والاستبيان حيث يعتمد الباحث علي إجابات المبحوث عن أسئلته من ناحية بالإضافة إلي إتاحة الفرصة للباحث من خلال موقف المواجهة المباشرة بالمبحوث للتعرض على بعض الجوانب والأبعاد "النفسية أو الانفصالية" التى يعجز الاستبيان عن تصويرها.

٤- تختلف المقابلة ذاتها - كما سبق أو أوضحنا عند الحديث عن صورها أو أنواعها - في درجة أعتمادها علي استمارات الأسئلة كوسيلة لجمع البيانات أو توجيه المقابلة. حيث يقل اعتماد الباحث علي أسئلة محددة فى المقابلة غير الموجهة أو الحرة بوجه خاص والمقابلة غير المقننة بوجه عام علي العكس من المقابلة الموجهة أو المقننة.

مماسبق نستطيع أن نعرف الاستبيان وهو فى أبسط صورة على أنه وسيلة لجمع البيانات اللازمة للبحث من خلال مجموعة من الأسئلة المطبوعة فى استمارة خاصة يطلب من المبحوث الإجابة عليها. سواء سجلت هذه الإجابات بمعرفة المبحوث وحده دون تدخل من الباحث " كالاستبيان لبريدي أو الاعلامي مثل الاذاعى أو التليفزيوني" أو سجلت بمعرفة بمعرفة الباحث نفسه أو مساعدته كما يحدث فى مواقف المقابلة المقننة علي نحو ماذكرنا.

والاستبيان شأنه فى ذلك شأن المقابلة تعدد أشكاله وفقا لأبعاد مختلفة:

أ- من حيث درجة فى ذلك التفنين الاستبيان إلي استبيان مقنن يحرص فيه الباحث على عرض وتوجيهها بصياغة وترتيب وأسلوب لتوجيهها متماثل لكل

الأفراد وسوف نري فيما يعد عند الحديث عن صياغة أسئلة الاستبيان أشكالا أخرى كالاستبيان ذو الأسئلة المغلقة النهايات والاستبيان ذو الاسئلة المفتوحة النهاية. أما الاستبيان غير المقنن فهو على العكس من ذلك لايراعى فيه أى تماثل سواء فى صياغة الاسئلة أو طريقة الإجابة عليها أو ترتيبها أو حتى طريقة توجيهها حيث تختلف كل هذه المسائل باختلاف المستوى الفكرى والثقافى للمبحوث.

ب- من حيث الإجراء والتطبيق ينقسم الاستبيان إلي استبيان يجري ذاتيا بمعرفة المبحوث دون تدخل الباحث مثل الاستبيان البريدي أو الاستبيان الذي يوزع باليد أو الذي ينشر فى أجهزة الاعلام كالراديو والتليفزيون والصحافة حيث يطلب من المبحوث الإجابة عليها بمفردها. واستبيان يجري منخلال موقف مواجهة مباشرة بين الباحث والمبحوث فيه يقوم الباحث بتدوين إجابة المبحوث على الاسئلة التى تتضمنها استمارة البحث وسنرى أن لكل شكل من هذه الأشكال مزاياه وعيوبه.

جـ- من حيث عدد المبحوثين قد ينقسم الاستبيان إلي استبيان يجرى بطريقة فردية لمبحوث واحد فقط " وهو يرتبط بالاستبيان الذي يدار من قبل أو تدخل الباحث" واستبيان جماعى يجرى بطريقة جمعية على أكثر من مبحوث فى وقت" وهو يمثل شكلا من الاستبيان يتوسط الاستبيان المدار ذاتيا من قبل المبحوث والاستبيان المدار من قبل الباحث فى هذه الحالة يوزع الباحث استمارة الاستبيان علي مجموعة من الأفراد يجتمع معهم في موقف مقابلة ويترك لهم فرصة للإجابة على الأسئلة أمامه". وتعتبر استمارة الاستبيان هى الدعامة الأساسية التى يعتمد عليها الباحث عند استخدامه لهذه الأداة لجمع البيانات كما هو الحال بالنسبة لبعض أنواع المقابلة المقننة لذلك نحاول هنا أن نوضح الخطوات الأساسية التى يجب على الباحث اتباعها عند تصميمه لاستمارة الاستبيان ونستطيع أن نحصر هذه الخطوات فيما يلى:

أولا: تحديد نوع البيانات المطلوبة:

أشرنا فى الفصول الأولي إلى أن تحديد مشكلة البحث تمثل نقطة البداية والانطلاق سواء لتحديد طبيعته أو منهجه أو الأدوات المستخدمة لجمع البيانات بل وأيضا لتحديد مصادر هذه البيانات. واستنادا على ذلك نقرر هنا أن على الباحث أن يحدد مقدما نوعية البيانات المطلوبة والتى يمكن أن تفى من خلال جمعها وتحليلها وتفسيرها بأغراض البحث بما يتفق وطبيعة الموضوع والمنهج المستخدم. بالتريكز على الاستبيان كأداة لجمع البيانات واستنادا إلي تعريفنا السابق لهذه الأداة على أنها طريقة لجمع البيانات من خلل الإجابة على أسئلة توجه للمبحوث نشير هنا إلي أن الباحث يجب أن يضع فى اعتباره مقدما ما نسميه بمحتوي السؤال أو مضمونه بما يتفق وطبيعة البيانات المطلوبة. وفي هذا الصدد نستطيع أن نميز بين أكثر من محتوى أو مضمون للأسئلة التي توجه للمبحوث وذلك على النحو التالى:

أ- محتوى يهدف أساسا إلي معرفة بعض الحقائق المرتبطة بالمبحوث.

ويستند هذا النوع من الأسئلة على حقيقة مايعرفه كل شخص بما يرتبط وبيئته من حقائق. وتعتبر الأسئلة التى تقدم "بيانات أساسية" عن الفرد مثل سنه وموطنه وديانته ومستوى تعليمه وجنسيته وحالته الزواجية ومهنته مثالا لهذه الأسئلة. كما يتضمن هذا النوع من الأسئلة تلك التى تهدف الكشف عن خصائص أو مميزات بعض الأفراد المعروفين للمبحوث كأفراد أسرته وأقاربه أو زملائه.

ونظرا لأنه من المتوقع أن يكشف مثل هذا النوع من الأسئلة بعض الحقائق المرتبطة بالمبحوث فإنه يتعين على الباحث أن يتأكد من صحتها. ويستطيع الباحث أن ينجز هذه المهمة بأكثر من طريقة مثل وضع أسئلة للمقارنة "وسنعود لهذه النقطة بالتفصيل فى مناقشتنا لثبات وصدق المعلومات" أو مقارنة الإجابات التى يدلى بها عدد كبير من المبحوثين.

ب- محتوي يهدف إلي الكشف عن المعتقدات:

ويعتبر هذا النوع من الأسئلة مكملا للنوع السابق. ذلك أن الباحث قد يهدف فى كثير من الاحيان إلي معرفة ما الذي يعتقده الأفراد بالنسبة لحقائق أو وقائع معينة والمثال علي ذلك أن الباحث يستطيع من خلال النوع السابق من الأسئلة أن يتوصل إلي بعض الحقائق المرتبطة بحجم الأسرة أو مستوى الأمية مثلا لكنه هنا يهدف إلي أن يتصرف على ما يعتقده المبحوث بالنسبة لمشكلة زيادة النسل أو إرتفاع مستوى الأمية.

جـ- محتوى يهدف الكشف عن المشاعر:

ويحاول هذا النوع من الأسئلة أن يكشف عن أسباب مايعتقده المبحوث حول مسألة ما وذلك من خلال استجلاء مشاعره الكامنة وراء هذا الاعتقاد. وفى هذا الصدد ترتبط هذه الأسئلة بمختلف الاستجابات الانفعالية كالخوف أو الكراهية أو التعاطف أو الأعجاب أو الاستهجان...الخ.

د- محتوى يهدف التعرف على معايير السلوك:

وهى تلك الأسئلة التى تكشف عن وجهة نظر المبحوث عما يجب القيام به من سلوك معين. وتفيد فى الكشف عن المعايير الخلقية للسلوك لدي الفرد من ناحية لأنها تدور أساسا حول أنماط السلوك التى يفضلها الفرد فى موقف ما مسترشدا بهذه المعايير الخلقية كما تفيد أيضا فى التعرف علي أنماط السلوك المفضلة لديه لإعتبارات عملية أو واقعية. الأمر الذي يمكن من تفسير أو تبرير سلوكه الخاص في موقف ما. بعبارة أخرى تفيد هذه الأسئلة فى الكشف عن أنماط السلوك المفضلة لدى الفرد سواء كانت إستجابة لنظره معيارية أخلاقية "ماينبغى أن يكون" أو الإعتبارات عملية "موجهات السلوك الواقعية".

هـ- محتوى يهدف التعرف على أنماط السلوك الفعلية للفرد:

ويمثله تلك الأسئلة التى تدور حول السلوك الفرد فى الماضي والحاضر

بالنسبة لموقف ما. وتفيد هذه الأسئلة في التنبؤ بسلوكه المستقبلي في موقف مشابه.

و- محتوى يهدف التصرف على أسباب معتقدات المبحوث ومشاعره ومفضلاته وأنمط سلوكه

وهذه الأسئلة تبدأ في العادة بكلمة "لماذا" وهي في النهاية تفيد في تقديم صورة متكاملة لوجهة نظر المبحوث أو تبريراته لما يعتنقه من معتقدات وما يشعر به من مشاعر خاصة وما يفضله من سلوك ثم أخيرا ما يقوم به من سلوك فعلي.

تلك باختصار النماذج المختلفة لمحتوي ما تتضمنه استمارة الاتبيان من أسئلة صنفت كما رأينا وفق نوع البيانات التى يحصل عليها الباحث عن طريق مايدلي به المبحوث من إجابات عليها. غير أننا نميل في الحقيقة إلى تمييز يكاد يكون أكثر بساطة لنوع الأسئلة الواردة باستمارة لاستبيان حيث نري أنه من الممكن أن نصنف هذه الأسئلة إلي فئتين كبيرتين:

تمثل الفئة الأولي مايمكن أن يطلق عليه اسم "أسئلة الواقع" وهي بطبيعة الحال تشتمل على الأسئلة التى تدور حول البيانات الأساسية للمبحوث إلي جانب الأنماط الفعلية لسلوكه في المواقف المختلفة. بينما تمثل الفئة الثانية مايمكن أن نطلق عليه اسم "أسئلة الاتجاه أو أسئلة المستوى" وتتضمن بدورها تلك الأسئلة التى تدور حول اتجاهات الفرد وآرائه ومعتقداته وقيمه ومفضلاته - ولنضرب لذلك مثالا فنقول - أننا لوكنا بصدد دراسته موضوع مثل تنظيم الأسرة فإن كل الأسئلة التى تدور حول عدد أفراد الأسرة الفعلي وعدد الأطفال الحاليين وأعمارهم ومدي ممارسة الأسرة لوسائل تنظيم النسل تعبر كلها عن أسئلة الواقع. بينما نجد أن سؤالا مثل ما رأيك في تنظيم الأسرة؟ أو ماهو العدد الأمثل للأطفال في نظرك؟ هل تفضل استخدام وسائل منع الحمل؟ .. الخ كلها يمكن اعتبارها أسئلة اتجاه أو مستوي.

وعلى أي حال فإنه يتعين على الباحث فى هذه الخطوة الأولي من خطوات تصميم استمارة الاستبيان أن يحدد مقدما نوع البيانات المطلوبة وذلك عن طريق تقسيمه للموضوع الأساسى لبحثه إلي بنود يغطي كل منها جانب من جوانب موضوع البحث ثم عليه بعد ذلك أن يتصور السؤال أو الأسئلة التى تتيح له الإجابة عليها معالجة مختلف النقاط التى يتضمنها كل بند من البنود الأساسية ويعمل فى النهاية على ترابط هذه الأسئلة فيما بينها بحيث تقدم فى النهاية مجموعة متكاملة من البيانات اللازمة لمعالجة موضوع بحثه.

ثانيا: تحديد شكل الأسئلة:

وهى خطوة تلي مهمة تحديد البيانات المطلوبة تبدو أهميتها إذا وضعنا فى الاعتبار أن الشكل الذى تتمثله استمارة الاستبيان يؤثر فى نوعية البيانات التى يمكن جمعها ومدي دقتها ومستوى تقنيها وهذا كله يؤثر بطبيعة الحال فى إمكانية تحليل البيانات وتفسيرها. وهنا نشير إلى أن شكل السؤال رغم ما له من هذا التأثير إلا أنه قد يخضع فى نفس الوقت لمؤثرات أخرى منها نوع الاستبيان "بريدى - أعلامي - مدار من قبل الباحث" وطريقة تطبيقه" استبيان مدار ذاتيا - استبيان مدار من قبل الباحث - استبيان فردي - استبيان جماعى "بالإضافة إلي خصائص جمهور البحث "المستوى الثقافى - التعليمى - الاجتماعى - الاقتصادى ... الخ. واستنادا على ذلك نجد أن هناك أكثر من تصنيف لأسئلة الاستبيان:

أ- تصنيف على أساس طريقة توجيه الأسئلة:

وفى هذا الصدد تنقسم الأسئلة إلى:

١- أسئلة مباشرة:

وترمى إلي الكشف أو الحصول على البيانات والحقائق بطريقة واضحة وصريحة لينفذ الباحث مباشرة إلي السؤال مباشرة عن مايريده من بيانات ويتدرج تحت هذا النوع من الأسئلة سؤال الفرد عن سنه أو مهنته أو مستوى

تعليمه أو عدد أفراد أسرته.

٢- أسئلة غير مباشرة:

وهي التي يستطيع الباحث من خلال الإجابة عليها أن يتوصل إلي مايريده من بيانات ولكن بطريقة غير مباشرة أى أنها تعتبر مؤشرات للموضوع الذي يعالجه الباحث فمثلا إذا أراد الباحث معرفة مدي ممارسة السلطة الأبوية فى الأسرة فإنه يستطيع أن يوجه بعض الأسئلة غير المباشرة التى تدور حول موافقة الزوج علي اشراك زوجته فى تدبير شئون الأسرة أو موافقته على اختيار ابنته لشريك حياتها ...الخ.

ب- تصنيف على أساس طبيعة صياغة الأسئلة:

وهذا الأساس يرتبط بدوره بما يعرف بمستوى التقنين فى صياغة الأسئلة كما يرتبط أيضا بمدي التدخل النسبي للباحث أو الحرية النسبية للمبحوث عند الإدلاء بآرائه أو مشاعره أو اتجاهاته وفي هذا الصدد يمكن أن نقسم الأسئلة إلى:

١- أسئلة مقيدة:

وهي تعرف باسم الأسئلة ذات النهايات المغلقة أو الأسئلة ذات المتغيرات الثابتة فيها يحدد الباحث مقدما بعض الاجابات أو التغيرات التى تمثل احتمالات الإجابة الممكنة على السؤال ويطلب من المبحوث أن ينتقي منه مايعبر عن موقفه. ود تتعدد أشكال هذه المتغيرات المحددة فتعرض بصورة كمية مثل الأسئلة التى توجه عن السن فتتحدد متغيراتها بفئات عمرية محددة "أقل من ٢٠، ٢٠/٣٠، ٣٠/٤٠...الخ. وقد تعرض أيضا فى شكل للنفى أو الإثبات "نعم" ، "لا" أو تأخذ درجات مختلفة من الموافقة أو الرفض "أوافق جدا، أوافق، ليس لي رأى، لاأوافق، لاأوافق بالمرة. وأخيرا قد تأخذ شكل التقييم المتدرج لموضوع السؤال "فسؤالا مثل هل تعتقد أن وسائل الاعلام تحقق رسالتها الحقيقية؟ يحدد له متغيرات مثل نعم وبدرجة ممتازة، نعم بدرجة جيدة،

بدرجة متوسطة، بدرجة أقل من المتوسط، بدرجة عادية، لاتحقق شيئا " كذلك فقد تأخذ هذه الأسئلة الأخيرة شكل الترتيب حسب الأفضلية بين بعض المتغيرات "مثل السؤال أى البرامج التليفزيونية تفضلها أكثر؟ ضع رقما حسب أفضليتها ١- ٢- ٣ برنامج كذا، برنامج كذا ...الخ.

٢- الأسئلة غير المقيدة:

وتعرف باسم الأسئلة المفتوحة وفيها لاتحدد احتمالات أو متغيرات الإجابة بل يترك للمبحوث حرية الإجابة عن السؤال بأسلوبه وبطريقته الخاصة وفى إطار خبراته أو إطاره المرجعي "مثل السؤال مارأيك فى كذا" ولكل من الأسئلة المقيدة "المقفولة النهايات" وغير المقيدة "المفتوحة" مزاياها وعيوبها فمن ناحية نجد أن الأسئلة المفتوحة يفيد بل يحتم استخدامها فى المراحل الاستطلاعية للبحث أو الدراسة حيث يفترض هنا أن الباحث يجهل لحد ما أبعاد موضوعه وبالتالي تتيح له الأسئلة المفتوحة التعرف على مختلف جوانب هذا الموضوع وذلك من خلال التعرف على أكبر قدر ممكن من الإجابات حول الأسئلة المرتبطة بموضوع البحث. بل أن هذا النوع من الأسئلة يكون خطوة أساسية لازمة لتصميم الاستمارات ذات الأسئلة المفيدة أو المغلقة لأن إجابة الأسئلة المفتوحة تنبع فى حقيقتها من واقع الحياة الاجتماعية ولاترجع لاجتهاد الباحث كما أنها لاتتأثر بخياله أو إطاره المرجعى "ولكنها أى الأسئلة المفتوحة تواجه بصعوبات التحليل والتقنين من نايحة أخرى. لأن ترك الحرية للمبحوث للإدلاء بإجابته بطريقته وأسلوبه وفى ضوء إطاره المرجعى يقلل إلي حد بعيد من إمكانية المقارنة بين الإجابات من ناحية يهبط بمستوى التقنين من ناحية ثانية وبالتالي يضعف من إمكانية المعالجة الاحصائية للبيانات المشتقاه من خلالها، فضلا عن أنه فى كثير من الأحيان قد يغفل المبحوث أن تتضمن إجابته بعض النقاط الهامة بالنسبة لموضوع البحث.

وفي الوقت الذى تتجنب فيه الأسئلة المقيدة أو المغلقة "كمزيا لها" عيوب

الأسئلة المفتوحة بما تمكنه من توجيه ذهن المبحوث فى اتجاه موضو البحث بحيث لايستطرد فى أمور لا تهم الباحث أو يغفل أمورا أخري أكثر أهمية، وأيضا بما تتجه من سهولة ويسر للمبحوث في الإجابة أو للباحث فى تسجيل الإجابات، وأيضا بما تتضمنه من مستوى للتقنين يساعد على إجراء العمليات الاحصائية وهذه كلها أمور قد لاتتوفر للأسئلة المفتوحة النهاية، أقول علي الغم من تميز هذا النوع من الأسئلة بما دكرنا من مميزات إلا أنها لاتخلو من بعض العيوب ويأتى فى مقدمتها أنها لاتسمح للمبحوث بحرية التعبير عن نفسه بل كثيرا مالا تتضمن فى متغيراتها المحددة مايتفق وموقف المبحوث ذاته الأمر الذي تجعل إجابة المبحوث كما لوكانت موجهة أو متحيزة خاصة وأن المبحوث فى هذه الحالة سيقتصر على ماهو موجود من متغيرات للإجابة دون أن يكون ذلك معبورا عن حقيقة موقفه وبالتالى يؤده الأمر إلى عدم صحة النتائج. وقد يفضل البعض إضافة متغير "أخرى" ليشير إلي رجابة للمبحوث قد لاتوفرها المتغيرات المحددة للسؤال. غير أن إجراء مثل ذلك يخفف من الصعوبة السابقة ولكن لا يقضى عليها تماما لأن الباحث لايستطيع أن يميز بين مختلف الإجابات التى درجت ضمن المتغيرات "الأخرى". كذلك فإنه من عيوب هذه الأسئلة المقيدة أنها بتحديد متغيرات إجاباتها تطلب من المبحوث رأيا فى نفيه أو موضوع لم يكن المبحوث فى كثيرا من الاحيان رأيا فيها. وقد يتجنب بعض الباحثين من هذه الصعوبة أيضا بالإضافة متغير لا أعرف إلا أن من خطورة هذا الإجراء أن كثيرا من المبحوثين يفضلون اختيار متغير لاأعرف سواء لأنهم لن يكوتون رأيا بعد عن القضية أو هربا من الإدلاء برأيهم. الأمر الذي يجعل الباحث فى النهاية يحصل على قدر كبير من الإجابات غير المحدده التي تسهم بقليل أو كثير من معالجة موضوع البحث.

ويستطيع الباحث أن يستفيد من الناحية الواقعية من مزايا هذين النوعين من الأسئلة كما يتجنب فى الوقت نفسه عيوبها باستخدامه لكلا النوعين ولكن فى مراحل مختلفة من مراحل بحثه. حيث يتمكن في المرحلة الاستطلاعية

للبحث أو في المرحلة الأولي لإعداد استمارة الاستبيان أن يعتمد على الأسئلة المفتوحة حتي يتمكن من معرفة الجوانب المختلفة لموضوع البحث بما يمكنه بعد ذلك من تحديد احتمالات الإجابة فى الأسئلة المغلقة (والتى يستخدمها فى مرحلة لاحقة بعد إجراء الاحتبار المبدئي للاستمارة) وذلك بهدف التقنين والمعالجة الاحصائية للبيانات.

ثالثا: الصياغة المبدئية للاستمارة:

بعد أن يفرغ الباحث فى الخطوتين الابقتين من تحديد نوع الببانات التى يتطلبها البحث، ومن تحديد الشكل الملائم للأسئلة بما يتفق ونوع البيانات المطلوبة من ناحية ومقتضيات طبيعة الموضوع الذى يدرسه من ناحية أخرى عليه بعد ذلك أن يضع التصميم الكلى للاستمارة وفي هذه الخطوة عليه أن يفرغ موضوع دراسته إلي موضوعات فرعية يغطى كل منها جانبا من جوانب هذا الموضوع. ويحدد بعد ذلك مختلف الأسئلة التى رتبط بكل موضوع فرعى والتى يتصور بما له من تزوق وخيال علمى وسوسيولوجى أن الإجابة عليها ستقدم له مجموعة من البيانات التي تكفى لمعالجة هذا الموضوع. وبطبيعة الحال فإن نجاح هذه الخطوة يتوقف على مدى استكمال الإطار النظري والتصورى لموضوع البحث فى ذهن الباحث "لأن ذلك يمكنه من تحديد جوانب الموضوع المختلفة. ربما كان ذلك هو السبب الذي يجعل المعالجة الامبريقية لموضوع البحث تلي تحديد الإطار النظرى والتصورى للموضوع. وإلى جانب تحديد الإطار النظرى والتصورى يستعين الباحث فى هذه الخطوة من خطوات إعداد استمار الاستبيان بعدد من الدراسات الميدانية التي أجريت حول هذا الموضوع وله فى ذلك أن يستعين بعدد من الدراسات الميدانية التي أجريت حول هذا الموضوع وله فى ذلك أن يستعين بما جاء فيها من استمارات للاتسبيان وماضمنته من أسئلة حول الموضوع أو جوانبه المختلفة ولو أنه من الأفضل أن يصنع الباحث عددا جديدا من الأسئلة التي يضيفها للاستمارات السابقة أو التى يضيف من خلالها أبعادا جديدة لمعالجة الموضوع.

على أنه يتعين على الباحث فى هذه المرحلة "الصياغة المبدئية للاستمارة" أن يضع فى ذهنه بعض الاعتبارات التى تمثل على حد كثير من المشتغلين بمناهج البحث مرشد الصياغة الاستمارة منها:

أ- مدي ملائمة السؤال وضرورته:

بمعني أن الباحث هنا يتصور ما إذا كان الموضوع "الفرعى" الذي يدرسه يتطلب إعداد سؤال خاص به أو أنه من الأفضل ادماجه مع سؤال آخر في موضوع آخر. وعليه أيضا أن يتصور ما إذا كان السؤال يتحقق بالنسبة للبحث أو أهداف. كما أن يتصور أيضا مستوى البساطة أو التعقيد فى السؤال بمعني أن يسأل الباحث نفسه ما إذا كان من الملائم أن يخصص لمعالجة الموضوع سؤالا واحدا يشمل كل البيانات المطلوبة أم يحتاج الأمر إلي تفريغ السؤال إلي عدة أسئلة أخري وعليه أيضا أن يضع فى اعتباره مستوى إمكانية الإجابة على سؤاله هذا بمعنى أن يتنبه الباحث إلي ضرورة تحديد الأسئلة بما يتفق وخبرة المبحوثين أو أطرهم المرجعية حول موضوع السؤال متصورا مختلفا لإستجابات التى يمكن أن يثيرها السؤال عند المبحوثين مثل الخجل أو التردد أو ارتباط السؤال بمسائل عاطفية.

ب- طبيعة صياغة السؤال:

وهو اعتبار يرتبط بتركيب السؤال نفسه من حيث لغته وطوله وقصره ...الخ. وفى هذا نجد بعض القواعد التي يجب علي الباحث اتباعها عند صياغة لأسئلة الاستمارة هى:

١- ضرورة أن تكون اللغة التى يصاغ بها السؤال سهلة بسيطة تتفق والمستوى الثقافى للمبحوث كما تتفق أيضا مع إطاره المرجعى حول الموضوع وذلك حتى يضمن الباحث فهم السؤال من قبل المبحوث.

٢- الابتعاد ما أمكن من الأسئلة المحرجة أو التى تتضمن وقائع شخصية أو ذاتية فإذا كانت طبيعة الموضوع تحتم ذلك كان على الباحث أن يدم

للمبحوث ضمانا لسرية ما يدلى به من معلومات وعدم استخدامها إلا فى أغراض البحث العلمى.

٣- تجنب أن توحي صياغة السؤال بإجابة معينة حتى لاتؤثر علي مستوى الحيادية أو الموضوعية وبالتالي على دقة النتائج.

٤- تجنب الصياغة الفضفاضة للسؤال حتى لايكون السؤال قابلا للتأويل بأكثر من معني.

٥- تجنب الأسئلة المعقدة التى تتطلب الإجابة عنيها جهدا فكريا من المبحوث.

٦- تحديد طريقة أو نوع الإجابة المطلوبة من المبحوث هل هي إجابة على هيئة وضع علامة معينة أمام المتغير أو رقم أو الإجابة بكلمة أو الإجابة بالتعبير الحر عن الرأي.

٧- صياغة بعض الأسئلة الهامة بأكثر من صيغة للتأكد من صحة الإجابات التى يدلى المبحوث. وهذه الأسئلة تعرف باسم اسئلة المقارنة أو المراجعة ويتعين صياغتها بشكل يخفي الهدف الحقيقي منها.

جـ- ترتيب الأسئلة أو تسلسلها:

وهو اعتبار لايقل أهمية عن الاعتبارين السابقين حيث تؤثر طريقة تسلسل الأسئلة وترتيبها فى إثارة اهتمام المبحوث بموضوع البحث وتسلسل أفكاره أو معلوماته أو تشتتها مما ينعكس فى النهاية على إنجاح المقابلة وما يتضمنه هذا الموقف من شعور بارتياح أو ملل أو تشتت للمبحوث كما تؤثر فى دقة البيانات التى يدلى بها.

وفى هذا الصدد يقيم الباحث أو لابترتيب الموضوعات الفرعية التى يتضمنها موضع البحث كما يقوم بالنسبة لكل موضوع فرعى بنفس الإجراء فيما يتعلق بالأسئلة الخاصة لكل موضوع. ومن الأمور المفضلة فى هذا الصدد أن يكون ترتيب الموضوعات الفرعية "البنود" مرتبة ترتيبا سيكولوجيا من وجهة

نظر المبحوث كما يتصورها الباحث وليس ترتيبا منطقيا تفرضه طبيعة دراسة الموضوع. ذلك لأن هذا الترتيب السيكولوجي يساعد على إثارة اهتمام المبحوث الموضوع ككل. وعلي الباحث هنا أيضا أن يتصور ترتيبا معينا للأسئلة يتفق والتدرج المتوقع فى العلاقة الودية بينه وبين المبحوث ليبدأ مثلا بسؤال عام ويتفرع بعد ذلك للأسئلة الضيقة أو المتخصصة أو الشخصية. وعلى أى حال فن الباحث في هذه الخطوة عليه أن يتصور ما إذا كانت إجابة سؤال ما تتأثر بمضمون أسئلة أخرى سابقة أولاحقه. وما إذا كان وضع السؤال تأخيرا أو تقديما مع أسئلة أخرى سنثير اهتمام المبحوث فقد تبين مثلا أن الأفراد يستجيبون فى العادة للأسذلة التى تدور حول سلوك أو مواقف فعلية أكثر من استجابتهم للأسئلة التى تدور حول اتجاهات ودوافع وأنهم يستجيبون للأسئلة التي تدرج من عموميات إلي خصوصيات أو من موضوعات هامة إلي موضوعات أقل أهمية. وأخيرا فإنه يجب على الباحث أن ينتهى من تصوره لترتيب الأسئلة أن يرقمها على نحو تسلسلي. وقد يأخذ هذا الترقيم شكلين: الأول هو أن ترقم سئلة الاستمارة مرة واحدة بتسلسل يبدأ من أول سؤال فيها وينتهى بالأخير وأما الشكل الثانى للترقيم فهو الترقيم الجزء وفقا لبنود الاستمار علي حدة ولو أنه من الأفضل استخدام الشكل الأول لسهوله التفريغ والجدولة والتحليل.

رابعا: اختبار الاستمارة:

وتعرف بمرحلة التجريب الميدني لاستمارة الاستبيان وذلك بهدف التأكد من صلاحيتها وملائمتها لأغراض البحث، ولو أنه من المفضل أن تسبق هذه الخطوة بخطوة أخري تتمثل فى عرض الاستماره علي ذوى الخبرة المنهجية والعلمية والميدانية فى موضع لبحث حيث تتاح للباحث فى هذا الصدد فرصة مراجعة الاستمارة سواء من حيث شكلها العام أو تفرعاتها إلى بنود مميزة أو ترتيب أسئلتها أو أسلوب صياغتها وغير ذلك مما يقوم به ذوى الخبرة المنهجية هذا من ناحية، وأيضا تمكن الباحث من التأكد من جديدة وسلامة الموضوعات التى

دارت حولها الأسئلة وارتباطها علميا بموضوع البحث وأهدافه الأساسية وهذه كلها أمور ينبهنا عرض استمارة البحث على ذوى الخبرة العلمية المتخصصة فى مجال البحث.

أما عملية الاختبار أو التجريب الميدانى للاستمارة فتتمثل ببساطة فى تطبيق استمارة البحث على مجموعة من أفراد البحث قبل تصميمها على كل أفراد العينة بشرط أن تكون العينة المختارة للتجريب متماثلة فى خصائصها مع عينة البحث المزمع إجرائه. وفي هذا الصدد يستطيع الباحث أن يتعرف مواطن الضعف والقوة فى استمارة الاستبيان من الناحية الواقعية حيث يتمكن من خلالها من معرفة الأمور التالية:

أ- مدى استجابة عينة البحث لأهدافه ولوسائل جمع المعلومات المستخدمة "الاستمارة".

ب- التعرف على الوقت اللازم لجمع بيانات الاستمارة.

جـ- مدى ملائمة أسلوب صياغة الأسئلة - لفظا وتعبيرا- لمستوى فهم أفراد البحث.

د- تقييم الأسئلة من حيث ضرورتها أو الحاجة إليها لخدمة أهداف البحث مما يضطر معه البحث استبعاد بعض الأسئلة أو إضافة أخرى إليها.

هـ- الكشف عن المصاحبات النفسية والانفعالية للاسئلة كالشعور بالحرج أو التردد فى الإجابة أو الأمتناع عنها.

وإلى جانب ما فى هذه الخطوة من فائدة فيما يتعلق بتعديل استمارة الاستبيان فإنه على حد تعبير البعض - مثل الدكتور جما ذكى والسيد يس - تعتبر تدريبا لجامعي البيانات أو الباحثين على الاستمارة فن توجيه الأسئلة ..الخ. فإذا ركزنا على استمارة الاستبيان فقط نجد أن هناج بعض المؤشرات التى يمكن الاهتداء بها لتعديل استمارة الاستبيان فى ضوء ماتكشف عنه

عملية التجريب المبدئى من نتائج أهمها:

أ- يعتبر عدم انتظام توزيع الإجابات - مؤشرا لخلل أو عيب فى نظام الأسئلة.

ب- يعتبر عدم تنوع إجابة الأفراد على سؤال أو أكثر "بحيث يجيب جميع الأفراد بنفس الإجابة "مؤشرا علي عدم ضرورة السؤال أو عدم ملائمة صياغة للموضوع الذى يدور حوله.

جـ- يعتبر غلبة الإجابات غير المحددة أو المحايدة مؤشرا على عدم كفاءة الأسئلة إما لصعوبتها أو لغموضها أو لمناقشتها لموضوعات حساسة محرجة بطريقة تجعل المبحوث يدلى بإجابة غير قاطعة.

د- يعتبر امتناع الكثير من المبحوثين من الإجابة على بعض الأسئلة مؤشرا لصياغة غير ملائمة لها أو لصياغة تثير حرج المبحوث أو تخدش حيائه.

وبوجه عام فإنه إزاء ماتكشف عنه عملية الاختبار المبدئي للاستمارة من مؤشرات مثل هذه يتعين على الباحث تعديل الأسئلة بما يجعلها تتجنب مما أشرنا إليه من معوقات أو عيوب وذلك إما عن طريق حذف بعض الأسئلة أو إضافة أخرى جديدة أو إعادة صياغتها أو تجديدها أو إعادة ترتيبها وتسلسلها. فإذا تبين الباحث أن ماسيدخله على الاستمارة من تعديلات سيمس تصميمها أو صياغة عدد كبير من أسئلتها وجب عليه أن يقوم بعملية تجريب أخرى للاستمارة بعد ادخال هذه التعديلات حتي يضمن أو يتأكد أنها بهذه الصورة تحقق باسم الثبات والصدق المنهجى وتلك نقطة سنعود إليها فيما بعد.

عند هذا الحد تدخل استمارة الاستبيان مرحلة إعدادها فى الصورة النهائية التى تتضمن بعض الاعتبارات المرتبطة بمضمون الاستمارة وشكلها وترتيب أسئلتها "بترقيمالأسئلة" ومظهرها العام ونوع الورق المستخدم وطباعتها ووضوح تنسيقها "استخدام عناوين فرعية واضحة" وغير ذلك من المتطلبات الشكلية التى تجعل الاستبيان جذابا وغير غامض. هذا إلي جانب اعتبارات

أخرى تختلف باختلاف نوع الاستبيان المستخدم حيث يراعى بالنسبة للاستبيان البريدى مثلا شرح أو توضيح المصطلحات المستخدمة فى الاستمارة وتحديد الطريقة المطلوبة للإجابة إلي جانب إعداد استمار الاستبيان بطريقة تيسر على المبحوث مهمة ردها للباحث كأن يلحق بها بها مظروف مدون عليه عنوان الباحث "وخالص رسم البريد" لعدم إرهاق المبحوث ماديا. بينما نجد أنه بالنسبة للاستبيان الذى يقوم بإجرائه الباجث يفضل أن يلحق بالاستمارة بعض التعليمات لجامعى البيانات تتضمن مختلف الإرشاردات التى تساعدهم على أداء مهمتهم أثناء ملء الاستمارة كما يشترط أن تتوافر فى هذه التعليمات قدرا كبيرا من البساطة والإيجاز والوضوح وقد تتضمن هذه التعليمات فكرة موجزة عن الغرض من البحث والتعريف بالمصطلحات وتعليمات عامة عن الدراسة وتعليمات خاصة بملء الجداول.

ثبات وصدق الاستبيان كأداة لجمع البيانات:

أشرنا إلي أن طبيعة موضوع الدراسة قد تحتم على الباحث اختيار منهج معين للبحث وأداة دون أخرى لجمع البيانات اللازمة غير أنه جدير بالإشارة هنا أن درجة الدقة العلمية التي تحققها معالجة الباحث لموضوع البحث على النحو الذي يحقق الأهداف المنوط به أمر لايتوقف على مجرد اختيار أنسب المناهج المستخدمة بل يتوقف أيضا على كفاءة الأدوات التي يستخدمها الباحث لجمع البيانات اللازمة لبحثه أى من الأهمية بمكان أن يتعرف البحث على مدى الثقة فى البيانات التى يحصل عليها من خلال استخدامه لهذه الأدوات. وترتبط درجة الثقة فى البيانات التى يجمعها الباحث بمشكلة منهجية هامة تعرف باسم مشكلة الثبات والصدق.

والمقصود بثبات البيانات هو مدى الاتساق بين البيانات التى تجمع في كل مرة يعاد فيها الأداة على نفس الأفراد وتحت نفس الظروف، بمعنى أنه إذا ماتمخضت إعادة تطبيق الأداة عن نفس النتاذج التى كشف عنها الاستخدام

الأول لها كانت الأداة ثابتة وفى هذا يشير الثبات إلي معنين متكاملين حيث يشير إلي الاستقرار فى النتائج التي يكشف عنها تطبيق الأداة في كل مرة من ناحية كما يشير أيضا إلى موضوعية النتاذج المستقاه منهما اختلفت شخصيات من يستخدم هذه الأداة.

وكثيرا ما تستخدم بعض الوسائل الاحصائية لقياس درجة الثبات فى المقاييس أو الأدوات المستخدمة فى جمع البيانات منها:

أ- طريقة إعادة الاختبارات وتتلخص ببساطة فى تطبيق المقياس أو الأداة "الاستمارة" على مجموعة من الأفراد فى فترتين زمنيتين متتالتين والمقارنة بين النتائج "البيانات" التي يكشف عنها التطبيق فى كل مرة. ويعتبر مدى اتفاق النتائج أو البيانات فى كلا المرتين مؤشرا لدرجة ثبات المقياس أو الأداة. ولو أنه يؤخذ على هذه الطريقة أن اختلاف النتائج بين مرات التطبيق كحد لايرجع بالضرورة إلي عدم ثبات الأداه بل قد يرجع إلي بعض العوامل التى يحتمل تدخلها فى الفترة الزمنية الفاصلة بين التطبيق الأول وإعادة التطبيق.

ب- طريقة التجزئة النصفية وتستخدم ما دكرناه من صعوبات ناجمة عن تدخل بعض العوامل التى تعير من نتائج تطبيق الأداة فى فترتين زمنيتين مختلفتين أو تغير الظروف المحيطة بعملية التطبيق فى كل مرة وذلك بتقسيم النتاذج إلى جزئين متناظرين واستخلاص معامل الارتباط بينهما وبالتطبيق علي استمارة الاستبيان نوهنا أنه يفضل أن يكرر الباحث بعض الأسئلة ولكن بصور أو صياغات مختلفة للتأكد من ثبات البيانات التى يدلى بها المبحوث.

أما الصدق فيشير إلي معاى الصحة أو الصلاحية بالنسبة للمقياس أو الأداة أو بعبارة أخرى يشير إلي مدى تحقيق الأداة للهدف الذي وضعت أو اختبرت من زجله أى مدي قدرتها على جمع البيانات اللازمة لموضوع البحث.

وللصدق كما يشير الباحثون فى مناهج البحث وأنواع عدة منها:

أ- الصدق الظاهرى: ويمكن الكشف عنه من خلال بحث محتويات المقياس أو الاختبار "الاستمارة" بمقارنتها بأهداف البحث ونوعية البيانات المطلوبة وهذا يعنى أن الأسئلة الوارد باستمارة الاستبيان يجب أن تنصب مباشرة على مناقشة أو توضيح موضوع الدراسة ومايتفرغ عنه من موضوعات جانبية.

ب- الصدق التجريبى: وهو ببساطة يشير إلي مدى اتفاق نتاذج الاختبار أو المقياس "أو الإجابات" التى يدلى بها المبحوث علي أسئلة استمارة الاستبيان "مع الوقائع الخارجة المرتبطة بالموقف موضوع الدراسة سواء كانت معروفة من قبل فى شكل بيانات احصائية موثقة أو وقائع يستطيع الباحث ملاحظتها بسهولة ويسر.

وتثير مسألة صدق وثبات أدوات البحث أو جمع البيانات فى المجال الاجتماعى كثيرا من الجدل بين الباحثين والمشتغلين بمناهج البحث الاجتماعي. والشائع بينهم أن هناك بعض العوامل التى تحول دون تحقق الثبات والصدق فى أدوات البحث الاجتماعى بنفس الدرجة التى تتحقق فى المقاييس أو الاختبارات الاحصائية والسيكولوجية من هذه العوامل انصراف الباحثين في المجال الاجتماعى عن إعادة تطبيق الأداة بهدف التأكد من ثباتها وصدقها واكتفائهم بمجرد مايكشف عنه الاستخدام الأول لها من نتائج توفيرا للجهد والوقت. ومنها أيضا مانطرحه حقيقة أن التغير أمر واقع بالنسبة للمواقف الاجتماعية من صعوبة استخدام مقاييس الثبات والصدق فى أدوات البحث الاجتماعي "مثل إعادة استخدام الأداة فى ظروف مشابهة" لتعذر تكرار الموقف بنفس الظروف والملابسات. غير أن ذلك لايعنى عدم الثقة فى صحة مايتوصل إليه الباحثون من نتائج فى مجال البحث الاجتماعى بل يلاحظ كما أشرنا أن عمليات الاختيار أو التجريب المبدئي للأداة" "استمارة الاستبيان أو المقابلة" تعد جزءاً منهجيا ضروريا يجنب الباحث مصادر الخطأ والتحيز ويمكن

من الحصول على بيانات يتوفر لها قدرا لا يستهان به من الثبات والصدق.

٤- التمرين المقترح للطالب*:

عرفنا أن "المقابلة" هى أكثر أدوات جمع البيانات استخداما وقابلية للتطبيق فى مجال البحوث التى تكون فيها وجهة النظر الشخصية للمبحوثين أو مشاعرهم أو اتجاهاتهم نحو غيرهم ذات أهمية خاصة لموضوعها أو أهدافها. ولذلك فهى من أكثر الأدوات استخداما فى مجال الانحراف والسلوك الانحرافى "كمقابلة البغايا ومدمني المخدرات والشواذ جنسيا...الخ. كما أنها تستخدم بكثرة فى دراسات التفاعل الأسرى حيث تكون الاتجاهات والمشاعر والأحاسيس أمورا حيوية وهامة، كما تستخدم علمى المستوى التنظيمي لمعرفة اتجاهات الأفراد ومشاعرهم وموافقتهم تجاه مختلفة المسائل التنظيمية مثل "إتجاهات العمال تجاه أعمالهم ورؤسائهم ونظام المصنع ...الخ. كذلك يعتبر مجال العقائد والمشاعر الدينية من المجالات الهامة التى تستخدم فيها المقابلة كأداة لجمع البيانات، حيث يستطيع الباحث من خلالها أن يوضح دور المبادئ الدينية فى حياة الأفراد وسلوكهم وانشطتهم اليومية.

ولقد سبق أن أوضحنا أنه يتعين على الباحث أن يجري مابين عشرة وخمس عشرة مقابلة حتى يضمن حصوله على المعلومات الكافية التى تغطى مشكلة البحث، غير أنه ونظرا لضيق وقتك، حاول أن تجري ثلاث مقابلات حول موضوعات تختارها داخل مجال الدين والنظام الدينى.

وها هي بعض الخطوات التى تسترشد بها لإجراء هذا التمرين المقترح:

أولا: عليك قبل نزولك للميدان (أى قبل أن تجري المقابلة) أن تقوم:

١- بتحديد الموضعات التى سيتناولها بحثك فى مجال الدين والنظم الدينية.

٢- صياغة عدد صير من الأسئلة الواضحة والمحايدة التى تضمن لك حصولك

---

* أعد هذا الجزء د. السيد عبدالعاطي على السيد.

على معلومات تحتاجها وترتبط بموضوع بحثك، وسجل هذه الأسئلة على نحو مختصر فى مفكرة خاصة به (كدليل للمقابلة).

٣- تحديد نوعية الأشخاص الذين ستجرى معهم مقابلاتك. وتذكرك هنا أن هناك نوعيات مختلفة من الأشخاص التى يمكن إجراء المقابلة معهم فى هذا التمرين المقترح، وعليك أن تحدد النوعية الملائمة لأهداف بحثك، حيث يمكنك أن تجري مقابلتك مع:

أ- جمهور المشاركين في الفعل الاجتماعى مثل أعضاء الطوائف الدينية، والأشخاص الذين لاينتمون لطوائف دينية محددة، والموظبون علي تأدية الطقوس والشعائر الدينية، والأشخاص الذين لايهتمون بأداء هذه الطقوس أو الشعائر والعبادات، والذين لايؤمنون أصلا بعقيدة دينية محددة.

ب- المشاركون فى أوضاع السلطة، مثل رجال الدين، وزعماء الطوائف الدينية والمسئولون بالتنظيمات والمنظمات والأجهزة الدينية كوزارة الأوقاف وشئون الأهر..الخ.

جـ- الإخباريون، وهؤلاء يمثلهم كبار السن والفضوليون ومروجوا الشائعات وغيرهم ممن يحرصون على معرفة أخبار الفير، فهؤلاء يعتبرون مناجم غنية بالمعلومات.

ولكن عليك أن تقوم بتمحيص أو "غربلة" مايدلون به من بيانات لتنتقي منها ماتراه ملائما لموضوع بحثك.

د- الساخطون والهامشيون، ويقصد بالساخطين أولئك الأشخاص الذين يشعرون بعدم الرضا بالجماعة التى تقوم بدراستها ويكونون أكثر وعيا بفشلها ونقاط ضعفها ومسالبها وبالمقارنة بالأعضاء العاديين. أما الهامشيون فهم الأشخاص الذين يحاولون الدخول فى هذه الجماعة ولم يتقبلوا بعد كأعضاء فيها، وهم غالبا مايكونو على وعى أكبر بمزايها عن غيرها من الأفراد.

٤- تحديد الأشخاص الفعليين الذين ستجرى معهم مقابلاتك وأعلم أن مقابلتك عبارة عن تفاعل لفظى (حديث) يتم بينك وبينهم للحصول على معلومات تدور أ- حول أنفسهم وتفاعلاتهم مع غيرهم، ب- حول غيرهم من الأشخاص المألوفين لديهم.

ثانيا: عليك عند نزولك للميدان أن تراعى مايأتى:

١- أن تتصل بالأفراد الذين لهم خبرة فى موضوع بحثك، وهنا ينبغى عليك أن تعرفهم بموضوع بحثك، وأهمية ماسيدلون به من معلومات لإنجاح البحث.

٢- احرص على أن تكون دمثا مهذبا مع المبحوث أثناء المقابلة، وأن تهتم بكل ماتقوله، وأن تكون محايداً لاتسفه رأيه أو تنتقده حتى وإن كانت آرائه مخالفة لآرائك ومعتقداتك.

٣- سجل الإجابات تسجيلا حرفيا ما أمكنك ذلك. وهذا يعنى أن تسجل أقوال المبحوث أو من تجرى معه المقابلة بلغته هو، وتجنب أن تقوم بتلخيص ماجرى فى المقابلة من حديث، لأنك إن فعلت ذلك فإنك قد تعطى أفكاره ومعلوماته معانى ومدلولات قد لاتتضمنها أو لاتحتملها بالفعل.

٤- إذا شعرت أن تسجيل الإجابة سيعوق استمرارية المقابلة أو انتظامها، فإنه من المفيد أن تعلم من تجرى معه المقابلة أنك تحرص على تسجيل كل أقواله حتى لايشعر بملل أو يفكر فى تأجيل المقابلة. فإذا لم تفلح هذه الطريقة عليك بتسجيل المقابلة بعد إنتهاء موقفها مسترشدا بدليل المقابلة.

٥- عليك عقب كل مقابلة أن تقرأ وتراجع ماسجلته عنها وذلك قبل أن تقوم بالمقابلة، واحرص في كل مرة أن المقابلة لم تخرج عن النقاط التى حددتها من قبل. أو أنها قد استوفتها جميعا.

ثالثا: كيف تعرض نتائج بحثك:؟

بعد أن تفرغ من مقابلاتك، عليك أن تقرأ وتراجع ماسجلته عنها في مجموعها واحدة بعد زارى مع مراعاة النقاط الأساسية التى اشتمل عليها دليل المقابلة. ويفضل أن تختار بعض المقتطفات من أقوال من أجريت معهم المقابلة لتستخدمها كشاهد فى تحليل نتائج بحثك. وما أن تفرغ من ذلك كله أبدا بإعداد تقريرك مشتملا على النقاط التالية:

١- وصف مختصر للجانب أو المظهر الخاص من النظام الدينى الذي قمت باختياره (كموضوع للمقابله).

٢- قائمة موجزة بالأسئلة التى طرحت بنفس النظام الذى وجهت به أثناء المقابلة مبتدءاً بالأسئلة التمهيدية العامة إلي الأسئلة الأكثر تخصصا.

٣- مناقشة للنتائج التى توصلت إليها، مستعينا بالشواهد التى اقتبستها من أقوال من أجريت معهم المقابلة.

٤- عرض ومناقشة بعض مجالات البحث أو الموضوعات أو الفروض التي تطرح كموضوعات لبحوث ودراسات أخرى مستقبلية.

٥- توضيح ومناقشة الصعاب التى صادفتها أثناء إجراء المقابلة مع طرح اقتراحاتك بصدد التغلب عليها مستقبلا.

الفصل الثامن
"الاثنوميثودولوجي"

تمهيد

أ- معني الأثنوميثودولوجي

ب- الطرق التي تستخدمها الأثنوميثودولوجي

جـ- المبادئ والتصورات الأساسية في الأثنوميثودولوجي

د- سمات الأثنوميثودولوجي

هـ- قضايا عامة عن الأثنوميثودولوجي

أ- تمهيد:

تعتبر الأثنوميثودولوجيا أحدث التطورات النظرية والمنهجية في علم الإجتماع، وقد إرتبط هذا المصطلح في بداية ظهوره باسم "جارفينكل" الذي يعتبر المؤسس الأول له وبخاصة بعد أن أصدر كتابه "دراسات في الأثنوميثودولوجيا" عام ١٩٦٧ ولقد ذكر في هذا الكتاب المقصود بالمصطلح وذكر أنه يعني دراسة الطرق والإجراءات التي يستخدمها الأفراد في المجتمع والتي تساعدهم علي إعطاء معني لعالمهم الإجتماعي وقد بدأ الأثنوميودولوجيون إفتراضاتهم بأن المجتمع موجود ومستمد وجوده من وجود الأفراد ذاته، فهم إذن يركزون علي وجهات نظر الأفراد وتفسيرهم للحقيقة الإجتماعية، فالأثنوميثودولوجيا مثلها مثل الفينومينولوجيا ولكنها منظور أكثر تطوراً منها، لأنها أكثر شمولا لأنها تجمع كل وجهات النظر الخاصة بهاتين المنظورين(١).

فالأثنوميثودولوجيا تعتبر أذن أحدث التطورات النظرية والمنهجية في علم الإجتماع (ويرجع إنتشار هذا الإتجاه وذيوعه إلي عام ١٩٦٧، وتكمن أهميته فيما آثاره من قضايا نظرية ومنهجية تبدو راديكالية، وفيما يتخذه من مواقف نقدية تجاه النظريات البنائية والوظيفية والتبادلية، ويبدأ هذا الإتجاه من رفض الأفكار المسبقة حول طبيعة النظام الإجتماعي، لأن معظم النظريات السائدة إمنا تبني نظرية ضيقة ومحدودة للفعل الإجتماعي، بينما كان من الأفضل أن نبحث عما يفكر فيه الناس حول مايفعلونه، وأن نتعرف علي معتقداتهم وتصوراتهم وإتجاهاتهم نحو سلوكهم، والواقع أن الأثنوميودولوجيا قد نشأت من الناحية التاريخية كرد فعل للوظيفة السوسيولوجية وتأكيدها علي العلاقات الإجتماعية البنائية وأدوارها في المجتمع، فالوظيفة بهذا المفهوم قد منحت المجتمع أولوية خاصة بحيث يفرض علي الأفراد والسلوك الجمعي متطلبات

يتعذر رفضها أو التخلي عنها وهذا الإتجاه يطرح تساؤلا حول مكانة الفرد داخل هذا الإطار(٢).

وبناء علي ذلك نجد أن الأثنوميثودولوجيا قد إستعارت أفكارها من كل من النزعة التفاعلية الرمزية والفينومينولوجية، ومن إمتداد أفكار هاتين المدرستين نجد أن الأثنوميثودولوجيا بدأت في معارضة وجهات النظر المختلفة عن العالم وإستخدامها في الفكر البديل في علم الإجتماع لتقدير قيمة هذا الفكر وكيف أنه يختلف عن الأشكال التقليدية في النظرية السوسيولوجية(٣).

ويري علماء الأثنوميثودولوجيا أن المعرفة هي التي تعمل علي تكوين العالم الذي نعيشه، فالمعاني الموضوعية للأفراد هي التي تعمل علي خلق الحقيقة في هذا العالم، وهنا نجد أن قمة البحث في الأثنوميثودولوجيا تكون ذات خطوط فكرية يمكن أن يستخدمها علماء الإجتماع التقليديون كمصدر لهم، وقد أكدت الأثنوميثودولوجيا علي ضرورة معالجة مشكلات العالم الإجتماعي والتركيز علي تصورات البناء الإجتماعي وتشخيص عملية الإحساس بالبناء الإجتماعي، وطبيعة المنظورات التي نتبعها في تحليلنا لنعرف ماهي المصادر المختلفة للأحساس العام لطبيعة البناء الإجتماعي، فالاثنوميثودولوجيا يمكن تشيخصها عن طريق الأفراد وأحساسهم بالموضوعات وبابنية النشاطات الإجتماعية وليسعن طريق تأثير النشاطات الإحتمالية علي الأفراد (٤).

أ- معني الأثنوميثودولوجي:

يتكون مصطلح الاثنوميثودولوجيا Ethnomethodology من مقطعين أثنو ويعني جماعة أو سلالة، وميثودولوجي ويعني منهجا، ويتصف هذا المفهوم مثل غيره من المفاهيم الفينومينولوجية بموقفه النقدي الرافض لتركيز علم

الإجتماع علي دراسة المظاهر أو الأحداث أو السلوك الظاهر لأن ذلك لا يشكل جوهر الحياة الإجتماعية، وينادي أصحاب هذا الإتجاه بالتركيز علي المعاني الحقيقية التي توجد في عقول الأفراد، نتيجة لمواقف إجتماعية مختلفة والتي تعتبر من الأشياء المسلم بها وهي المسئولة عن وجود تفاعل اجتماعي يتصف بالثبات، فأساس الحياة الإجتماعية وسبب تماسكها هو الفهم الضمني الذي يشترك فيه الناس(٥).

فالاثنوميثودولوجيا تهتم بالطريقة التي يمكن أن تساعد الأفراد علي تفسير النشاطات التي يمارسونها في حياتهم اليومية، فهي إذن لا تعتبر منهجا جديداً يساعد علي حل المشاكل التي تظهر في المنظورات النظرية التقليدية، ولكنها منظور نظري يركز علي مجموعة الإختلافات الكاملة لمشاكل البحث السوسيولوجي، فهي تحاول فهم هذه المشكلات عن طريق إستخدام بعض الطرق الخاصة بها والتي تختلف عن الطرق المتبعة في المنظورات السوسيولوجية التقليدية(٦).

وتختلف الأثنوميثودولوجيا عن كل المداخل السوسيولوجية التقليدية وبخاصة تلك التي تهتم بمسألة النظام في المجتمع، فعلماء الإجتماع يرون حقيقة النظام الإجتماعي بإعتباره شيئا خارجاً عنا، أما حقيقة ما بداخل الأفراد فهذا يمكن معرفته من خلال المعايير الإجتماعية التي تعكس ثقافتهم، أما علماء الأثنوميثودولوجيا فهم يرون أن النظام يتكون من خلال مشاركة الأفراد للموقف الذي يصادفهم وتفسيرهم له، فالأثنوميثودولجيا تركز علي دراسة نشاطات الحياة اليومية للأفراد، وفي عرض جارفينكل لهذا المنظور وضح لنا كيف أنه يعارض التصور السوسيولوجي لمسألة النظام، حيث أن النظام في رأيه يتكون من المعايير التي علي أساسها يشعر الأفراد بعالمهم الإجتماعي(٧).

ولهذا فإن علم الإجتماع الذي يتبع الأثنوميثودلوجيا يجب أن يجعل موضوع إهتمامه الأفراد العاديين ويدرس الأنشطة اليومية الروتينية لهم ليكشف عن المعاني الخفية التي وراءها والتي تعتبر جوهر الحياة الإجتماعية، فهو يهدف إذن الي فهم المواقف الإجتماعية من الداخل كما تبدو للناس الذين يعيشونها أو كما يحسونها، وقد رأي "جارفينكل" أن أهم جانب في الحياة الإجمتاعية هو ذلك الجانب غير المرئي الذي لا نحس به ويتم هذا عن طريق مخالفة تلك القواعد أو المباديء الضمنية غير المدركة طريقة مفاجئة تجلعنا تدرك أنها هي التي وراء سلوكنا مع أن مخالفة هذا المألوف في رأيه هي التي تكشف عن وجوده أن منهج جارفينكل يهتم بالمواقف الحياة اليومية وكيفية تصور الناس لها بحيث يصرف الإهتمام عن أي شيء يتصل بالبناء الإجتماعي، فالأثنوميثودولجيا دعوة الي تغيير الذات بدلا من تغيير النظام أو هو مواجهة فردية صغيرة ومقاومة غير عتيقة للوضع القائم لاتزيد عن كونها تمردا رمزياً يستجيب لمشاعر الشباب ليعبروا عنه بالعنف، ويري جارفينكل أن العالم الإجتماعي يقع خارج نطاق الزمن، وهو لايهتم بمعرفة كيفية تكوين هذه المعاني عند الأفراد، أو سبب تكونها أو تعريفات الواقع الإجتماعي في ذهنهم في فترة زمنية معينة دون أخري، أو سبب اختلافها بإختلاف المجموعات الإجتماعية وبإختلاف المكان، ولكن هدفه كان محصوراً في الوصول الي تعميمات عامة جدا لا ترتبط بزمن معين ولا بثقافة معينة(٨).

ولم يتفق جارفينكل مع وجهة نظر دور كايم عن الحقائق الإجتماعية والتي يري فيها أن المادة الذاتية لعلم الإجتماع ذات حقيقة موضوعية لها خاصية ذاتية، علي العكس من ذلك نجد جارفينكل يري أن الحقيقة الموضوعية للحقائق الإجتماعية يمكن الوصول اليها عن طريق تفسير نشاطات الحياة اليومية، فالاثنوميثودولوجيا لا تعالج النظام بإعتباره خارجا عن الأفراد ومستقلا عن خبراتهم، كما أنها لا تهتم بما تهتم به التفاعلية الرمزية وهو كيف يمكن

لتوقعات الدور أن تخلق عمليات التفاعل، ولكنها تهتم بدلا من ذلك بالعمليات التي يستخدمها الأفراد في تفسير سلوكهم وتفسير مواقف التفاعل، وهي لا تهتم بتسيير السلوك الإنساني، ولكنها تركز علي الوصف وكيفية إستخدام الأفراد لأحساسهم في تفسير عالمهم الإجتماعي فهي إذن تهتم بتفسيرات الأفراد للموقف الإجتماعي(٩).

ولقد قدم لنا جارفينكل أخيراً أربعة تعريفات للأثنوميثودولوجيا يمكن حصرها فيما يلي:

١- تهتم الدراسات الأثنوميثودولوجية بتحليل نشاطات الحياة اليومية لأعضاء المجتمع من أجل جعل هذه النشاطات عقلية ومقررة صالحة لأي غرض عملي، فدراستها هنا موجهة لغرض كيفية إستخدام النشاطات اليومية لأعضاء المجتمع كطرق للوصول الي معرفة علمية للأبنية الإجتماعية والوصول الي تحليل سوسيولوجي للظروف المحيطة بهم في المجتمع.

٢- والتعريف الثاني للأثنوميثودولوجيا يتمثل في أن هذه الدراسة إنما تهتم بمعالجة النشاطات العملية والظروف والأسباب السوسيولوجية العملية كموضوعات للدراسة الأمبيريقية وذلك بدفع هذه النشاطات السائدة في الحياة اليومية Daily life لفهم ظواهر المجتمع.

٣- والتعريف الثالث لمصطلح الاثنوميثوولوجيا إنما يشير الي البحث عن الخاصية العقلية للتعبيرات الرقمية والأفعال العملية بإعتبارها هي المسئولة عن نظم الحياة اليومية. فالدراسات الاثنوميثودولوجيا تهتم بدراسة الظواهر الموجودة في الحياة اليومية عن طريق معرفة خصائصها العقلية.

٤- أما التعريف الأخير لمصطلح الاثنوميثودولوجيا فيشير الي دراسة الأفعال العملية طبقا للمواقف السياسية المحيطة بالظاهرة والطرق التي تصاحب إستخدام هذه الظاهرة(١٠).

وإذا حاولنا تفسير هذه التعريفات التي أشار اليها جارفينكل نجد أنها:

أولا: جميعا تركز علي نشاطات الحياة اليومية للتفاعل الإجتماعي والتي تتخذ طابعاً نظامياً ومنسقاً.

ثانيا: أن هذه الدراسات الاثنوميثودولوجية بدأت من رفضها للتمييز التحليلي السوسيولوجي بين الأحداث والنشاطات الهامة في الحياة الإجتماعية وبين الأحداث والنشاطات العادية في الحياة الإجتماعية، حيث أنهما متساويان في الأهمية بإعتبارهما موضوعات للدراسة الاثنوميثودولوجية.

ثالثا: لقد إعتمد مصطلح الاثنوميثودولوجيا في التمييز بين نوعين من التعبيرات الرقمية Idexical والموضوعية objective اللذين يكثر إستخدامهما في التفاعل الإجتماعي وفي التحليل السوسيولوجي، فالتعبيرات الأولي تشير الي الموضوعات التي توصف بأنها نوعية أو فريدة Unquenss، أما التعبيرات الموضوعية فهي تشير الي الموضوعات التي توصف بأنها لها خاصية عامة، وتمييز جارفينكل بين هذين النوعين من التعبيرات علاقة بتميزه بين النشاطات العادية والنشاطات فوق العادية فالنشاطات التي تتميز بأنها عادية تستخدم معها التعبيرات الرقيمة أما التعبيرات الموضوعية فهي تستخدم في النشاطات فوق العادية فهي تحاول أن تكون القضايا العامة التي تمثل جانباً هاماً للمادة الذاتية.

رابعا: أن هذه التعريفات للاثنوميثودولوجيا إنما توضح لنا أن علم الإجتماع يهتم بدراسة كل جوانب الحياة الإجتماعية اليومية سواء كانت نشاطات أو فوق العادية Extra ordinary(١١).

ولقد حاول "جارفينكل" أن يحدد مجال إهتمام الاثنوميثودولوجيا ويبين كيف أنه ينحصر في دراسة كيفية تنظيم المواقف العملية في الحياة اليومية

بطريقة إجتماعية، وكيف يستوعبها الأفراد ويتعاملون معها كمجموعة متصلة من الأحداث الفعلية والتي يفترض فيها الفرد أن أعضاء الجماعة يعرفون بنفس الطريقة التي يعرفها هو بها، فالحياة الإجتماعية في نظر جارفينكل ماهي إلا مشروع عملي يشارك فيه كل فرد يعيش في هذه الحياة، فالأنشطة التي يقوم بها الأفراد في حياتهم العادية تكون منظمة، وعن طريقها يستطيع أعضاء الجماعة أن يخلقوا مواقف الحياة اليومية ويتحكموا فيها، فهي ترتبط بمحاولات الأفراد في جعل هذه المواقف قابلة للتفسير، ولقد وضح لنا جارفينكل الفرق بين المنهج الاثنوميثودولوجي والمنهج الوصفي التجريبي، فالأول يسعي الي فهم الأفراد من الداخل من خلال تصورات هؤلاء الأفراد والتي يكونوها عن طريق علاقاتهم التفاعلية مع الآخرين ومن خلال المعاني الذاتية التي يضفيها الأفراد علي أفعالهم، فالأفراد لا يمثلون حقيقة واقعية تخضع للدراسة كالظاهرة الطبيعية ولكنهم كائنات لها أفكارها وتصوراتها الخاصة التي تختلف بإختلاف ثقافاتهم وبيئتهم الإجتماعية وأي معرفة سوسيولوجية لا يكون لها أي فائدة إذا لم تبن علي أساس تصورات الأفراد في حياتهم اليومية(١٢).

ومن هنا بدأ جارفينكل في تحديد المقصود بالاثنوميثودولوجيا حيث ذكر أنها تحلل أنشطة الحياة اليومية تحليلا يكشف عن المعاني خلف هذه الأنشطة، وتحاول أن تسجل هذه الأنشطة وتجعلها مرئية ومنطقية وصالحة لكل الأغراض العلمية، وتركز هذه الدراسة في الكشف عن الطرائق التي يسلكها الأعضاء خلال حياتهم اليومية لتكوين نوع من الألفة بالأحداث والوقائع، فنحن نقوم بالأنشطة المختلفة علي نحو يجعل هذه الأنشطة متاحة للآخرين من أجل فهم طبيعتها دون مشكلات، بحيث تصبح هذه الأنشطة وضاحة لكل المشاركين في الموقف، وهذه المظاهر المألوفة لأحداث الحياة اليومية هي نتاج الإحساس، ومن خلالها يتحقق العالم الإجتماعي العام وفي هذا العالم يستطيع الآخرون أن

يدركوا طبيعة أفعالنا، غير أن ذلك لا يعني مطلقاً أن هناك إتفاقاً مطلقاً، وإما هو يذهب الي أنه بنفس الطرق التي يلجأ إليها أعضاء المجتمع للإفصاح عن طبيعة نشاطاتهم أمام الآخرين، ويمكن أن يتضح ايضا وجودنوع من عدم الإتفاق كأن يعترض البعض علي مانقوله، ومهمة الباحث هنا هي الكشف والتفسير للطرق التي يلجأ اليها أعضاء المجتمع حين يقيمون عالمهم الإجتماعي(١٣).

وهكذا أراد جارفينكل أن يصوغ تصورا حول طبيعة موضوع الدراسة في علم الإجتماع، وذلك الموضوع الذي أصبح يسيراً ومألوفاً لكل أعضاء المجتمع، فبدلا من الصياغات المجردة عن البناء والأنساق والنظم يتجه البحث الإجتماعي نحو أساليب الناس العامة في إنتاج عالمهم الإجتماعي، وبذلك يدرس علم الإجتماع وقائع الحياة اليومية وأحداثها كما يفهمها الناس ويمارسونها ويتبادلون إدراكها، وعلي عالم الإجتماع أن يأخذ الأفعال الملموسة والمألوفة لدي الجميع وأن يفحصها لكي يتبين كيف تقع ولماذا؟ ولسوف يتضح لنا أن هذه المناهج التي يلجأ اليها الناس بالغة التعقيد والتنوع ولكنها عامة بين أعضاء المجتمع، ومن هنا فإن الاثنوميثودولوريجا تعني المناهج أوالطرائق الشعبية أو الأساليب التي يتبعها الناس في التعبير عن أنشطتهم وتوصيلها للآخرين، وربما كان ذلك السبب في تبني مصطلح "مناهج الشعوب" للإشارة الي مثل هذه الطرائق العامة لأعضاء المجتمع التي تظهر في كل لحظة وترتبط بكل واقعة من وقائع الحياة اليومية(١٤).

ولقد إعتبر "جوفمان" المسرح النموذج لفهم الحياة الإجتماعية، ولذلك يحدد نقطة الإنطلاق في تحليله في دخول الفرد ذاته علي الآخرين، ويركز علي ماحدث في هذا الموقف من تصرفات وسلوك يعبر بها الفرد عن ذاته بقصد أو بغير قصد، ومدي تأثر الآخرين بهذا السلوك، ويذهب جوفمان الي أن الأفراد

في هذا الموقف يناضلون من أجل توصيل صورة مقنعة عن ذواتهم الي الآخرين بمعني أنهم لايحاولون عمل شيء بقدر مايحاولون أن يكونوا شيئا ما، ويعتبر إذن الموقف أساس فهم الحياة(١٥).

علي أن جوفمان قد أفاد في صياغة إتجاه المسرحيDramatical approach وبخاصة في الزعم بأن التفاعل القائم بين الأفراد يسعي كل منهم الي السيطرة علي الإنطباعات التي يكونها الآخر، ويعتبر جوفمان أن هذا هو بالفعل مايحدث في حياتنا اليومية، فنحن نقنع الآخرين الذين نعيش معهم بالطبيعة النوعية لذواتنا وبماهية شخصياتنا، ونلجأ في سبيل ذلك أيضا الي عدد من الترتيبات، فالمسكن الذي نقيم فيه والزي الذي ترتديه وطريقة الحديث وأسلوب المعاملة هي كلها تعبيرات ومظاهر تدل علي الأدوار والسمات الشخصية، والمكانة الإجتماعية والإتجاهات، وأما العملية التي أسهمت في تكوين الذات والوعي بالأدوار التي يقوم بها الفرد علي مسرح الحياة الإجتماعية هي عملية "التنشئة الإجتماعية".

فعملية التنشئة الإجتماعية هي عملية تعلم مستمرة خلال مختلف مراحل الحياة تبدأ من الطفولة وتستمر خلال الشباب والنضج والكهولة فالفرد مخلوق اجتماعي ينشأ عن التفاعل بين معطياته الخاصة وبين الظروف الإجتماعية التي يندمج فيها، ويعنينا من خلال تفاعله مع الآخرين أنه يتعلم من المجتمع وفي نفس الوقت يتغير هذا المجتمع من خلال إستخدام عقله(١٦).

ومن هنا نري أن جوفمان مثل جارفينكل يعتبر أن كل الأفراد يشتركون في خلق معاني العالم، وقد كان جوفمان يأمل أن يستخدم النظريون الإجتماعيون طرق الوعي الذاتي لأن الحقيقة الإجتماعية تعمل علي خلق النشاطات الدنيوية للإنسان العادي وقد بحث جوفمان عن فهم المواقف الإجتماعية من الداخل وكما تظهر للأنسان الذي يعيش فيها(١٧).

وقد إتفق جوفمان مع جارفينكل في أن العالم الإجتماعي عالم تاريخي ذو تعميات غير محددة، ولقد حاول جارفينكل أن يبين الطريق الذي تعرف به الحقيقة الإجتماعية، حتي يمكن إقامتها فذكر أن العملية التي أصبح فيها الحقيقة الإجتماعية معرفة ومقامة، تظهر في الأشكال المتعددة للقيم بين الجماعات سواء من الناحية السياسية أو الأيديوولجية، فالعلم الإجتماعي يظهر في بعض المظاهر مثل الجنس والدين والمدرسة(١٨)

ب- الطرق التي تستخدمها الاثنوميثودلوجيا:

أن هناك طرقاً متعددة يستخدمها الاثنوميثودلوجيون في عملية التحليل ومن هذه الطرق المقابلات المتعمقة Depth Interviews والملاحظة بالمشاركة Participant observation والطرق التوثيقية في التفسيرThe Documentery وأخيرا الخبرات الاثنوميثودولوجيةEthnomethodological Experiments فمعرفة المعني الذي يضفيه الأفراد علي مواقف الحياة اليومية يعتبر من أول الأشياء الهامة التي يهتم بها الاثنوميثودولوجيون ولذلك فإن إستخدام المقابلة المتعمقة مع هؤلاء الأفراد تعتبر طريقة مثلي لجمع المدلولات التي توصلنا لهذا المعني الذاتي(١٩).

وتتحد المقابلة المتعمقة مع الملاحظة بالمشاركة حتي أنها تسطتيع أن تضيء لنا الطريق لمعرفة حياة الأفراد اليومية سواء المرئي منها أو غير المرئي، فكلاهما يساعد علي إظهار كل مايتعلق بحياة الأفراد اليومية، أما الطريقة التوثيقية فهي تستخدم لمعرفة الطرق الثابتة والمتسمرة التي قسر بها الأفراد نشاطاتهم، والطريقة الأخيرة التي يستخدمها الاثنوميثودولوجيون هي إستخدام الخبرة الاثنوميثودولوجية التي يهتم فيها الباحثون باحساس الأفراد بالموقف ليتمكنوا من فهم النظام(٢٠).

جـ- المبادىء والتصورات الأساسية في الأثنوميثودولوجيا.

بينما ركز "الفريد شوتز" علي حقيقة أساسية وهي توضيح كيف يمكن أن يكون سلوك الأفراد هو الذي يخلق قضايا الحياة اليومية، نجد أن علماء الاثنوميثودولوجيا كانوا أقل إهتماماً بمعرفة وجود حقائق متعددة، حيث أن إهتمامهم الأكبر كان مركزاً علي تطوير التصورات والمبادىء التي تساعد في تفسير احساس الأفراد بالحقيقة، وكيفية بنائها وثباتها وتغيرها، وفي تلك الفترة التي كانت الاثنوميثودولوجيا تعمل علي تنمية القضايا أو التصورات الفريدة، نجد أن تلك القضايا بدأت تتبلور في تصورين أساسيين:

الأول: الفعل المنعكس والتفاعل:

أن الفعل المنعكس هو ذلك الفعل الذي يساعد علي ثبات وجهة النظر الحقيقية التي إذا كانت الحقيقة تبدو متناقضة للإنتقادات السائدة، حيث أن التفاعل الإنساني يساعد علي تثبيت الحقيقة. وتصور الإنعكاسية فيه يركز علي: كيف أن الأفراد في تفاعلهم يعملون علي ثبات الإفتراضات التي تحكمهم عن طريق الحقيقة، ولذلك فأن أكثر البحوث في الاثنوميثودولوجيا تركز علي: كيف يمكن للتفاعل الإنعكاسي أن يحدث وماهي المبادىء والتصورات التي تنمو لكي تفسر حالات الأفعال النمعكسة المختلفة التيتحدث من بين حالات التفاعل(٢١).

الثاني: المعاني الدالة:

أن الإشارات والحركات والمعلومات التي تنتقل بين الأجزاء المتفاعلة لابد أن يكون لها معني في المحتوي الخاص، فالحقيقة في عملية التفاعل إنما تدل علي هذه التصورات الإحتوائية، وحينما تقول الإحتوائية إنما نقصد بها التأكيد علي معاني التعبير التي ترتبط في المحتوي الخاص بها، فظاهرة الإحتوائية تركز

إنتباهنا علي مشكلة وهي: كيف أن الفاعلين في أبنية المحتوي لهم وجهة نظر حقيقية؟ وقد حاول علماء الاثنوميثودولوجيا أن يبينوا كيف أن الفاعلين يحاولون بالتعبيرات الإحتوائية والجمل والإشارات أن يخلقوا الإفتراض الذي يري أن الحقيقة هي التي تحكم شئونهم، ومع هذين التصورين الإحتوائية والإنعكاسية حاول الاثنوميثودولوجيون تشخيص عمليات الإتصال الرمزي والذي إستمر في فينومينولوجية "شوتز" حينما وضح لنا كيف أن الفاعلين يستخدمون آشارات معينة لخلق عالم الحياة. أو مايعرف باسم "الإتجاه الطبيعي" فالتركيز هنا ليس علي محتوي عالم الحياة، ولكن علي المناهج أو العمليات التي يستخدمها الفاعلون لخلق الحقيقة وثباتها، فالاثنوميثودولوجيا هي الإجراءات التي تكمل لنا معرفة الحقيقة(٢٢).

د- سمات الاثنوميثودولوجيا:

نسطيع أن نذكر بعض سمات الاثنوميثودولوجيا والتي تمثل فيما يلي:

١- أن النظام الإجتماعي العام بكل ماينطوي عليه من رموز ومعاني لا وجود لهم مستقلا عن ممارسة أعضاء المجتمع لمختلف أنشطة الحياة اليومية والتركيز هنا لا ينصب علي هذه الأنشطة في حد ذاتها وإنما علي العمليات Processes التي يندمج فيها أعضاء المجتمع لتنمية وتدعيم احساسهم بالبناء الإجتماعي.

٢- أن الاثنوميثودولوجيا طالما أنها تسلم بأن الواقع الإجتماعي إنما ينبثق من خلال إرتباطاته بأوضاعنا الخاصة داخل الأطر الإجتماعية والثقاية، فإن ذلك معناه دراسة التفسيرات التي ينسبها الناس لأنماط سلوكهم خلال التفاعل المتبادل والطرق أو المناهج التي يستخدمونها في هذا التفسير، ويؤدي ذلك كله الي نوع من الإلتقاء بين الاثنوميثودولوجيا والتفاعلية الرمزية، ويتخذ هذا

الإلتقاء صور الإهتمام المشترك بالإستبطان التعاطفي والبحث بإستخدام الملاحظة بالمشاركة(٢٣).

هـ- قضايا عامة عن الاثنومشيودولوجيا:

١- أن النظام الإجتماعي يمكن المحافظة عليه عن طريق إستخدام بعض العمليات التي تعطي الفاعلين الإحساس بأنهم يشاركون في الحقيقة العامة.

٢- تختلف الاثنوميثودولوجيا عن كل المداخل التي درست مسألة النظام في المجتمع، فعلماء الإجتماع يرون حقيقة النظام الإجتماعي بإعتباره يمثل وجود بعض الأشياء الخارجة عنا والتي يعرفها الأفراد من خلال المعايير الإجتماعية التي تعكس ثقافتهم، أما علماء الاثنوميثودولوجي فهم يرون أن النظام يسهم عن طريق مواقف المشاركة، فالأفراد يحاولون عن طريق إحساسهم أن يعملوا النظام فالاثنوميثودولوجيا يمكن تشخيصها عن طريق دراسة نشاطات الحياة اليومية للأفراد وخاصة في الجوانب المسلم بهاTaken for Granted للتفاعل الإجتماعي، وتحاول الاثنوميثودولوجيا أيضا أن تشخص كيف يمكن للأفراد أن يكونوا لديهم الإحساس بعالم الحياة اليومية، فلقد وصف الاثنوميثودولوجيون الطريق الذي يستطيع الأفراد عن طريقة أن يصفوا حقيقتهم وذلك عن طريق اللغة والمعني التي يصل اليها الأفراد عن طريق الرموز والتي تعتبر في الوقت ذاته مصدرا للتعبيرات الدالة(٢٤).

٣- أن الاثنوميثودلوجيا عند "جارفينكل" تتعارض مع المصدر السوسيولوجي الأساسي عن النظام order فالنظام في رأيه يمكن اقامته طبقا للمعايير التي تحكم الناس بعالمهم الإجتماعي ، هذا فقط حينما تكون الحقيقة متعارضة مع الإحساس أو حينما يصبح النظام خارج المعالم، وهذه العملية يمكن توضيحها علي أساس تحليل العمليات التي عن طريقها نوضح كيف أن

الأحساس هو الذي يفسر الوجود (٢٥).

٤- الاثنوميثودلوجيا تدرس كيف يمكن للأفراد أن يساعدوا بعضهم البعض في رؤية العالم الإجتماعي، وذلك عن طريق إهتمامهم بالطرق المعقدة التي يشعر بها الأفراد وتكون مطابقة أو ثابتة أو متغيرة في إحساسهم بالحقيقة الإجتماعية والنظام الخارجي(٢٦).

٥- تري الاثنوميثودولوجيا أن النظام لا يمكن المحافظة عليه عن طريق المجتمع الخارجي ولكن عن طريق إقناع الأفراد بأن المجتمع خارجي عنهم، وأكثر من ذلك أن وجهات نظرهم عن المجتمع لاتكون هامة في ثبات النظام، ومن هنا نجد أن الاثنوميثودولوجيا تري حلاً لمشكلة النظام يختلف إختلافا جذريا عن أغراض التيارات النظرية، فالاثنوميثودلوجيون يركزون إنتباههم وجهودهم لتنيمة البناء المجرد والحالات النظرية المختلفة لكيفية إستخدام الفاعلين لأدوار بناء الإحساس بالنظام الإجتماعي، فالإحساس بالنظام لايكون عن طريق، كيف يمكن أن يكون المجتمع ممكناً. ولكن في قدرة الإنسان ومهارته لخلق المناهج وإستخدامها لإقناع الأفراد بأن هناك عالما حقيقيا، ولذلك فإن الاثنوميثودولوجيا تحاول أن تقنع الأفراد بوجود طرق تصورية للعالم الإجتماعي(٢٧).

٦- أن الاثنوميثودولوجيا تعتبر منهجا لعالم الحياة اليومية، هذا المنهج يعمل علي تفسير السلوك الذي يرتكز علي قياسات الرجل العلماني للحقائق التي تصادفه في هذا العالم، وهذه القياسات تعتبر نشاطاً إنسانياً ومعيارياً في الطبيعة،في البحث يتضمن إذن كلا من منظورات الباحث والفاعل، فالنظرية السوسيولوجية تعتبر نظرية لهذه النشاطات، أما الاثنوميثودولوجيا فهي تدرس الطرق التي نصل من خلالها الي المحتويات، فهي تفسر المتغيرات النظرية ولذلك عن طريق الرجوع الي المتغيرات الدالة(٢٨).

فالاثنوميثودولوجيا منهج كيفي من أكثر المناهج ملائمة لعلم الإجتماع وللمادة الذاتية التي يدرسها، حيث أنه يمدنا بصورة صادقة للخبرة الذاتية وتفسير العالم الذي نعيش فيه(٢٩).

٧- أن مجال إهتمام الاثنوميثودولوجي ينحصر في دراسة كيفية تنظيم المواقف العملية في الحياة اليومية بطريقة إجتماعية وكيفية إستيعاب الأفراد لها وتعاملهم معها كمجموعة متصلة من الأحداث الفعلية، فالحياة الإجتماعية ماهي إلا مشروع عملي يشارك فيه كل فرد يعيش في هذه الحياة فالأساس المنهجي الذي يقدمه هذا الإتجاه هو محاولة لكسر الحواجز التي تفصل بين ذات الباحث وموضوع بحثه بحيث يتمكن من الغوص في أعماق الذات لكي يستخلص منها المعاني والتصورات المختلفة ولكي يفهم صورة التفاعل بشكل أعمق(٣٠).

٨- أن الاثنوميثودولوجيا لم تفلح في توضيح مصادر التعريفات والمعاني التي تعتبر حاسمة في فهمنا للسلوك الإنساني، كما أن هذا الإتجاه قد فشل في وضع استراتيجيات ملائمة لتقدير عملية التفاعل وقياسها، فإذا كانت الاثنوميثودولوجيا هي إحدي الصور الأساسية للتفاعلية الرمزية، فإنها أقل إتجاهاتها فائدة وأكثرها بعدا عن التصور السوسيولوجي. أن جاذبية هذا الإتجاه ترجع الي أنه يبدو من خلال أعماله أنه إتجاه إنساني يهتم بكل ماهو ملموس ومباشر إلا أننا حينما نفحصه بدقة قد نجد أنه لا يتضمن هذا الإتجاه الإنساني المزعوم بكل أبعاده، فحينما ركزت الاثنوميثودولوجيا علي وعي الأفراد تكون قد إختارت تجريدا غير ملائم فيه تساير الفينومينولوجيا من حيث أنها تشبه النزعات المثالية حيث تتحاشي المقومات التاريخية والبنائية للواقع الإجتماعي، وتحليل الدراسة السوسيولوجية الي بحث عن الوعي الفردي، كما أنها تخلو من الإهتمام السياسي ثم أنها غير تاريخية وغير اقتصادية وتتبني

تصورات خاطئة عن القوة الإجتماعية والتنظيم الإجتماعي. أن هذا الإتجاه يتجاهل المجتمع الي حد كبير بوصفه نسقا وباعتباره بناء طبقيا، يرجع ذلك الي ميله نحو إبراز الجوانب الصغري من الحياة الإجتماعية دون أدني محاولة للإهتمام بالتنظيم الشامل للمجتمع، حيث أن البحث في هذا الإتجاه لابد أن يبدأ من مفهوم البناء الإجتماعي والتنظيم الإجتماعي لمجتمع، فالاثنوميثودولوجيا تمثل نظرة ضيقة للحياة الإجتماعية كما تكشف عنها العلاقات الشخصية المتبادلة في موقف محدود وخال من البعد التاريخي والبعد النظامي والبنائي(٣١).

٩- أن هذا الإتجاه ينقصه التصور الصحيح للتنظيم الإجتماعي وحينما لايوجد هذا التصور فإنه يتعذر فهم المجتمع سواء من حيث النظم الإجتماعية الرئيسية أو الفرعية، أو من حيث القدرة علي تقديم معالجة ذات قيمة حقيقية للحياة الإنسانية الإجتماعية، والواقع أن الإتجاه السوسيولوجي الضيق النطاق قد غلب علي معظم مثلي هذا الإتجاه وأتخذ شكل التمييز علي نحو عاق قدره الانثوميثودولوجيين علي إدراك الطبيعة الحقيقية للمجتمع الإنساني(٣٢).

١٠- أن تركيز الاثنوميثودولوجيا علي تفاعلات الأفراد داخل المواقف الإجتماعية المختلفة (تمثل منظوراً موقفياً) يعجز عن ربط الظواهر والأحداث الإجتماعية بالبناء الإجتماعي، وبالتالي تضعف إمكانية إسهامه في عملية التغير الإجتماعي.

١١- تركيز الاثنوميثودولوجيا علي الفرد بعدها عن تقديم أي نظرية أو تفسير سوسيولوجي لأسباب النظام الإجتماعي، وأرجعت ذلك الي أن فردية المواقف الإجتماعية وتميزها يجعلها تتجه الي شكل يصعب التنبؤ به، الأمر الذي يحول دون إمكانية وضع أسباب عامة للنظام.

١٢- وبرغم الإنتقادات التي وجهت الي الاثنوميثودولوجيا إلا أننا نري

أنها قد أضافت الي الإتجاهات الإنسانية التي إستندت اليها، وذلك من خلال إخضاعها لفكرة الحياة اليومية وظاهرة الفهم للدراسة الامبيريقية، ومن هنا فهي تعتبر تطوراً هاماً في علم الإجتماع لأنها تركز علي مجموعة القضايا التي لم يتم معالجتها بشكل كاف من جانب علم الإجتماع التقليدي وهي دراسة الحياة اليومية - والتركيز علي اللغة بإعتبارها عنصراً أساسيا في تشكيل الأبنية والتنظيمات الإجتماعية(٣٣).

هوامش

(1) Michael Haralambas, Sociology, Themes and Perspective, University tutarial press, London, 1981, P. 552.

(2) Ibid, p. 265.

(3) Ibid, P. 266.

(٤) محمد علي محمد، وآخرون، مجالات علم الإجتماع المعاصر، دار المعرفة الجامعية اسكندرية، ١٩٨٢.

(5) Barry Smart, Sociology, Phenomenology and Marxian analysis, Routledge and Kegan Paul, London, 1967, P.112.

(6) Janathan H. Turner. The Sturcture of sociological Theory, The Dosey press, London, 1978, PP. 407 - 410.

(7) Barry Smart, op.cit., P. 112.

(٥) سمير نعيم أحمد، النظرية في علم الإجتماع، دار المعارف بمصر، ١٩٧٧، ص ٢٤٥.

(9) Ruth A Wallace, Contemporary Sociological Theory, Prentice - Hall, Inc., London, 1980, P. 263.

(10) Margrat M. Polma, Contemporary Sociological Theory, Free press, New York, P.181.

(١١) سمير نعيم، مرجع سابق، ص ٢٤٦.

(13) Ruth, W. Wallace, Op.cit., P. 269.

(14) Paul Filmer and others New Directions in Sociological Theory, Callier - Macmillan Publishers, Londn, 1972,P. 206.

(15) Ibid., PP. 208-210.

(16) Garfinkel, Studies in Ethnomethodology, England 1967, P. 291.

(١٧) محمد علي محمد، مجالات علم الإجتماع المعاصر، مرجع سابق، ص ٦٣.

(١٨) مرجع سابق، ص ٦٣.

(١٩) المرجع السابق ص ٦٤.

(20) Ahvin W. The Comming Crisis of Western Sociology Heine Mann, India, 1971, P. 391.

(21) Ibid., P. 391.

(22) Barry Smart, op.cit., P. 112.

(23) Janathan H. Turner, op.cit., P.410.

(24) Ruth A .Wallace, op.cit., P.275.

(25) Ibid., P. 275.

(26) Janathan H. Turner, Op.cit., P. 411.

(27) Ibid, P. 412

(27) Margret M. Polma, op.cit., PP. 181-182.

(28) James W. Vonder, Sociology, The Ohio State University ,1961, P. 18:20.

(29) Charles C. Lemert, Sociology and twilight of man, Kingsport press, new York, 1960. P.121.

(30) Ibid, P. 171.

(31) Colin Flecher, Beneath the Surface, Account of three Styles of Sociological Research, Routledge and Kegan Paul, London, 1975, P. 124.

(٣٢) احمد زايد، علم الإجتماع بين الإتجاهات الكلاسيكية والنقدية، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٨١، ص ٤٤٢.

(٣٣) محمد علي محمد وآخرون، مجالات علم الإجماع المعاصر، مرجع سابق، ص ٧٧: ٨٢.

(٣٤) المرجع السباق، ص ٨٣

(٣٥) زينب محمد شاهين ، الأسس العامة لإتجاه الواقعية المنهجية (رسالة دكتوراه غير منشورة) إشراف أ.د محمد الجوهري القاهرة، ١٩٨٢، ص ١٦٨.

مراجع مختارة في البحث الإجتماعي

أولا: بالعربية

١- دكتور إبراهيم ابو لغد ودكتور لويس كامل مليكة، البحث الإجتماعي، مركز التربية الأساسية، سرسس الليان، ١٩٥٩.

٢- دكتور جمال زكي والسيد يس، أسس البحث الإجتماعي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٢.

٣- دكتور حامد عمار، المنهج العلمي وضعه وحدوده، جامعة ادول العربية ١٩٦٠.

٤- دكتور حامد عمار بعض مفاهيم علم الإجتماع، جامعة الدول العربية ١٩٦٠.

٥- دكتور عبد الباسط حسن، أصول البحث الإجتماعي، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة ١٩٦٦.

٦- دكتور محمد طلعت عيسي، نعميم تنفيذ البحوث الإجمتاعية، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٧١.

٧- دكتور لجيبب آسكندرر وآخرون، الدراسة العلمية للسلوك الإجتماعي، مؤسسة المطبوعات الحديثة، ١٩٦٠.

٨- دكتور غريب سيد أحمد، دكتور عبد الباسط محمد، البحث الإجتماعي الجزء الأول - المنهج والقياس، دار الكتب الجامعية ١٩٧٤.

٩- دكتور غريب سيد أحمد، دكتور عبد الباسط محمد - البحث الإجتماعي الجزء الثاني، التعميم والتنفيذ ، دار الجامعات المصرية ١٩٧٢.

١٠- دكتور محمود قاسم - المنطق ومناهج البحث، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٨.

١١- أميل دور كايم، قواعد المنهج في علم الإجتماع ترجمة دكتورمحمود قاسم مكتبة النهضية القاهرة.

١٢- دكتور محد عاأرف عثامن، المنهج في علم الإجتماع، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٥/

١٣- كارل بوبريه عقم الذهب التاريخي، وترجمة دكتور عبد الحميد صبرة، ١٩٥٩.

١٤- دكتور محمد طلعت عيس، البحث الإجتماعي مبادئه ومناهجه، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة ١٩٦١.

١٥- دكتور السيد محمد خير الاحصاء في البحوث النفسية والتربوية الإجتماعية دار النهضة العربية، ١٩٧٠.

ثانيا: المراجع الأجنبية

1- A. Aron; Method & Mea surement in sociology, London: 1964.

2- W. Good P.Hatt, Methods in Social research, London, 1952.

3- M. Jahoda, et al., Research Mehtodsin social relations, N.Y.1951/.

4- C. Sellize et al, Research Methods in social Relations N.Y.1963.

5- G. Lunderberg,Social research, N.Y. 148.

6- G. Moser, survey methods in social investigations, London,1969.

7- S. nagi, R. Corion, The social context of research N.Y.1972.

8- A.N. Oppenheim, Questionnarie sesign, & Uttitude Measurement London, 1968.

9- M. Stacey, Methods of Scoial research, M.y> 1969.

10- P. Young, Scientific Social survey research N.y> 1966.

11- G. Casthope, History social research, Londno, 1974.

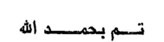
12- Ram DAs, Action REsearch and its importance in udner developed Econoy, Flauing REsearch and ACtion instittue, U.P Lacknow, 1962.

13- Wiseman, J.R. and Aron N.S Field projects for Sociology STudents, Cambneleg, Mass Schenkamn pubbschci Company Inc., 1970.

14-Doby, J.T, (ed.) an Introduction to Scoail Kesearch and edition New York, Appletion century crofts 1967.

15- Lipset, S.M. Areal Hostadter, R. (eds) Saciabgy and Histroy Methods New York, LXclm, Boox Irc 1968.

المحتويـــات


تــم بحمـــد الله